رحلتي مع الصحافة

57 عاما

بين بيروت والكويت

حمزة عليان

منشورات
ذات السلاسل
الكويت

رحلتي مع الصحافة

57 عاماً

بين بيروت والكويت

حمزة عليان

منشورات
ذات السلاسل
الكويت

المكتبة الخاصة للباحث
والإعلامي اللبناني
حمزة عليان
إهداء إلى
المكتبة الشرقية
الجامعة اليسوعية
بيروت - لبنان

حمزة عليان
رحلتي مع الصحافة 57 عاماً بين بيروت والكويت
الكويت: ذات السلاسل، 2023
288 ص ؛ 23.5 سم.
الردمك: 978-9921-788-86-0

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
1444 هـ - 2023 م

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها، من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع

منشورات
ذات السلاسل
الكويت

الناشر ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع P.O.Box 12041 Al-shamiyah, 71651 Kuwait

Thatalsalasil
Thatalsalasilbookstore
www.thatalsalasil.com.kw
+965 22466266/55
+965 22438304
info@thatalsalasil.com.kw

إهداء

إلى والدي ذاك الأب الذي غمرني بإنسانيته وإستقامته.

إلى والدتي التي تعبت بقدر ما أعطاها الله من قدرات لترعاني مع إخوتي في ظروف صعبة.

إلى أعز ما أملك في هذه الدنيا إلى أولادي الذين ضاقت عيناي لحضنهم وبذلت كل ما أستطيع في سبيل أن يعيشوا حياة كريمة بعد أن وفرت لهم سبل التعليم الذي يستحقونه.

إلى رانية وفؤاد وإيمان وسلمان نور عيني ووالدتهم التي كانت تحميهم وترعاهم.

تقديم

محمد جاسم الصقر
رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت

إبن المهنة ورجل التوثيق

لم تنقطع علاقتي بالزميل حمزة عليان في مرحلة ما بعد إنتهاء مهمتي كرئيس لتحرير «القبس» من العام 1983 إلى العام 1999، بل كنت أرى فيه ذاك النشاط والعطاء المتجدد في مجال التوثيق والبحث والكتابة .. فقد زاملني لمدة سبعة عشر عاماً وكان واحداً من الكوادر الذين أثروا تجربتنا بتطوير ونهضة «القبس» إلى جانب أقرانه من العاملين في الصحافة، فمركز المعلومات والدراسات الذي تولى إنشاءه وإدارته بلغ مستوى متقدم بالإداء والإنتاجية يضاهي ما هو موجود في «الأهرام» و «النهار» و «الحياة» .

كذلك دوره في إصدار القبس الدولي» من لندن وهي تجربة غنية عززت من مكانة وتأثير «القبس» الأم ومساهماته التحريرية على مدى 47 سنة من عمله في «القبس» و «الجريدة» .

لقد أظهر لنا قدرات مهنية عالية لا سيما في مجال التأليف وإصدار مجموعة من الكتب المرجعية ذات المصداقية والقيمة التاريخية، جاء هذا الكتاب الذي يروي فيه فصولاً من سيرته الصحفية وفي عدد من المؤسسات التي عمل فيها ومن بينها «القبس» و «الجريدة»، نتمنى له المزيد من العطاء.

المقدمة

أثناء فترة «الحظر» الذي فرضته جائحة العصر «كوفيد 19-» والبقاء في المنزل طيلة شهر كامل عام 2020 ألزمت نفسي ببرنامج يومي كي لا أشعر بالملل أو الضجر .

وأنا في خضم ورشة عمل لترتيب أوراقي والملفات التي تراكمت في مكتبتي الخاصة عبر سنوات العمل ، ولم يكن عندي الوقت الكافي للنظر بأحوالهم ... في تلك الأجواء جاءتني فكرة الكتاب ، لماذا تبقى حبيسة الأدراج ؟

أشركت أبنائي بالمشروع ووجدت الترحيب والتشجيع، منهم من حثّني على كتابة حكايات حصلت معي أثناء رحلتي مع الصحافة، لها قيمة ومعنى وفيها شيء من الإثارة والغرابة؟ سألت أحدهم، لماذا التركيز على هاتين النقطتين أجابني: لأن الناس تريد أن تتعرف على تلك الجوانب في حياتك المهنية.

شرعت في الكتابة ، كلما راودتني فكرة أصحو باكراً لتدوينها ، وهكذا يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر ، إلى أن تجمعت عندي الأفكار وصار بالإمكان إصدارها في كتاب يحكي عن تجربتي وأهم المحطات التي لازمتني في تلك الرحلة.

ليست مذكرات ولاهي بسيرة ، بل صفحات من الذاكرة وأوراق من العمر، كنت أحرص على تسجيلها والاحتفاظ بها ، تناولت جوانب منها وما قد ينفع الناس وأهل المهنة والأصدقاء والأبناء وتركت ما عداه في طي النسيان.

حمزة عليان

الكويت أوائل عام 2023

الفصل الأول

«القبس»
تكبرني بأربع سنوات

» لماذا وكيف صدرت «القبس» ؟ بين الفكرة والتأسيس

» الانطلاقة الكبرى

» التجديد الثالث عام ١٩٩٩

» رواية أول مدير تحرير لقصة الصدور

» «مسيو» قبيسي جمع بين الإدارة والصحافة

» حديث المطابع والعصر الذهبي

» أقدم العاملين ورحلة ٤٨ عاماً

» أسماء ومواقع

» تجربتي في بناء مركز المعلومات والدراسات

» خمس سنوات في المطبخ الصحفي كسكرتير تحرير

» فريق العمل

» الراحلون من رفاق المهنة والعمل

لماذا وكيف صدرت «القبس» ؟ بين الفكرة والتأسيس

الحديث عن القبس لا يجاريه الحديث عن أي مؤسسة إعلامية أخرى عملت فيها.
هي كالحبيبة أقرب الأشياء إلى نفسي من أي شيء آخر.
لقد أمضيت فيها قرابة الثلاثة والأربعين عاماً وأفنيت فيها «زهرة العمر» كما يقال، أعتز بها كاعتزازي بحبيبتي التي لا تفارقني، من الصعب أن أجامل في هذا المقام، كانت بالنسبة لي الفضاء الرحب الذي فيها وجدت نفسي وأعطتني الشيء الكثير بقدر ما أعطيتها وأكثر، كبرنا سوياً رافقتها في خطواتها المتواصلة قدمت لها بإخلاص ومحبة، إلى أن بَلَغَتْ الدرجات الأولى في عالم الصحافة.
كنا من جيل تربي على العطاء والولاء للمؤسسة التي ننتسب إليها، حياتي العملية توزعت بين بيتين، بيتي الأول وهو أسرتي وأبنائي وبيتي الثاني أي «مبني القبس» في الشويخ الذي ارتبطت به حواسي بحيث أصبح «الكيان» جزءاً مني ...
في هذا الفصل حاولت أن أروي ما كنت شاهداً عليه، شعرت أن ما أملكه من معلومات قد يتعرض للنسيان، لذلك كنت أحرص على تسجيل وتدوين ما أرى أنني قد أحتاجه يوماً ما ...
آثرت أن تكون البداية عن نقطة الانطلاقة ومرحلة التأسيس وكيف نشأت وتحت أي ظروف.
نالت «القبس « امتياز الصدور في أواخر سبتمبر 1971 وهو ما يستوجب بحسب قانون المطبوعات أن يتم الصدور في مهلة أقصاها ستة أشهر وإلا تتعرضَّ الى سحب الامتياز من قبل وزارة الاعلام، وهي الجهة المانحة للترخيص.

كان لابد من إصدار العدد الأول قبل 25 فبراير 1972 وبالفعل خرج إلى النور بتاريخ 22 فبراير 1972 وكانت العملية أشبه بالإقلاع الاضطراري كما يعبر عنها مدير التحرير الأستاذ رؤوف شحوري.

أما لماذا صدرت صحيفة بإسم «القبس» فتلك قصة أخرى، بخلاف إفتتاحية العدد الأول والتي عادة ما يتم فيها شرح الأهداف والرسالة الإعلامية التي تتوخاها من وراء ذلك.

وفق رواية العم المرحوم محمد يوسف النصف وفي حوار أجراه معه الزميل يوسف الشهاب ونشر بتاريخ 13 مارس 1984 «بالقبس» تناول فكرة الإصدار وجاءت على شكل سؤال وجواب، يقول فيها:

• كنت وراء تأسيس جريدة «القبس»، فكيف كان التفكير فيها؟

- (يرد بعد فترة تأمل).. تريد قصة التفكير في «القبس»، لقد فكرنا في اصدارها بعد دراسة كل الجوانب، سواء الاجتماعية منها أو السياسية او الاقتصادية أو العلمية.. كل هذه الجوانب كانت أمامنا ونحن ندرس فكرة اصدار «القبس». ثم اننا كنا ولا نزال حريصين على أن تكون هذه الجريدة نقية بيضاء تنبع من ضمير هذا المجتمع وتنطق بلسانه. وكان علينا أن نبعدها عن أي اتجاه سياسي وأي فكر عقائدي لا يخدم الكويت أو العروبة. وفعلنا لأننا نريد لـ «القبس» أن تكون جريدة كل قارئ تصافحه كل صباح. الصحافة كالسلاح في يد الجندي في المعركة، فالصحافي سلاحه قلمه، وحين يجهل أي منهما كيفية استعمال هذا السلاح، فان الهزيمة آتية، والصحيفة النقية التي لا تتبع أي فكر أو عقيدة سياسية هي التي نريدها. كان في امكاننا أن نسخّر «القبس» لأنفسنا ولمصالحنا التجارية، وكان بإمكاننا ان نضع ما نعتقد انه يتمشى مع مصالحنا بما فيها الاجتماعية، لكننا رفضنا ذلك، واردنا ان تكون هذه الجريدة لكل الناس من دون النظر إلى مكانتهم الاجتماعية أو المالية..

اقول لك: «القبس» للقارئ لا لأصحابها، ولو كانت غير ذلك لكانت صورنا

تغطي صفحاتها كل صباح، لكننا أردناها للقراء، وسوف تبقى هكذا.. هذا هو هدفنا في «القبس» ولا شيء عندي بعد ذلك.

• وهي شركة مساهمة مقفلة؟

- هي كذلك كما قلت، (ويتناول «أبو يوسف» عقد التأسيس، ثم يبدأ بقراءة بعض ما جاء فيه).. نحن خمسة مؤسسين في الجريدة: محمد البحر، جاسم الصقر، عبد العزيز الشايع، ومحمد الخرافي، بالإضافة إليَّ رئيساً لهذا المجلس.

• ورأس المال؟

- (بعد فترة تأمل).. قد لا يصدق أي انسان حين يعرف رأس المال الذي بدأنا فيه وما وصلت إليه «القبس» اليوم.. كانت البداية برأسمال قدره 15 ألف دينار وزع علينا نحن اعضاء مجلس الإدارة الخمسة، أما عدد الأسهم فكان 20 ألف سهم وزعت علينا, وكان نصيب كل واحد منها 4000 سهم، أما أول عدد فقد صدر في 22 فبراير 1972 .

إضطلع العم محمد يوسف النصف بدور المحرِّك الأبرز للحصول على الامتياز، وهذا ما سمعته من السيد عبدالله برهم أول مدير للمطبعة فقد أوكلت إليه -أي إلى أبويوسف- مهمة التفاوض وترتيب الشركاء والذين ينتمون إلى طبقة التجار وكانوا على خلاف بالتوجهات السياسية مع صاحب دار «الرأي العام» عبدالعزيز المساعيد.

وإستناداً إلى معلومات أول مدير تحرير للقبس وهو الأستاذ رؤوف شحوري وجزء منها تم نشره في مجلة «الصياد» اللبنانية، فالقصة كما أبلغني إياها مسّجلة على شريط كاسيت بدأت كالتالي:

بعد استقلال دولة الكويت 19 يونيو 1961 وإعلان الدستور 11 نوفمبر

1962 شنت صحيفة «الرأي العام» حملة على مجموعة من العوائل الكويتية، عندها ذهب وفد يمثل تلك العوائل إلى الأمير الشيخ عبدالله السالم يشكون له تلك الحملات ، فأجابهم «هذه هي الديمقراطية».

تلك كانت البذرة الأولى للفكرة، وبعدما حصلت انتخابات نيابية عام 1967 ، وفي حينه أعدَّ مجموعة من التجار بياناً شديد اللهجة لينتقدوا فيه تلك الانتخابات رفضت صحيفتي «الرأي العام» والسياسة» نشره، وكانت بمثابة الصدمة لهم، وهو ما دفع بعضهم التفكير بتأسيس صحيفة يومية، فـ «الراي العام» شنت حملة إعلامية ضد «بيان المرشحين الفاشلين» و «السياسة» إستنكرت ما يكتب عن «إشاعات التزوير» .

رواية أخرى منسوبة لأحد أصحاب «القبس» مدوّنه في كتابه «أصداء الذاكرة» وهو العم المرحوم عبدالعزيز الشايع، يورد فيها ما نصه « نشأ المشروع على أيدي مجموعة متقاربة على مختلف الصعد، كالتجارة والموقف السياسي المتجانس.. وقد تكونت هذه المجموعة المترابطة اساساً من كل من عبدالعزيز الصقر وجاسم الصقر ومحمد وحمود النصف وعبدالعزيز الشايع. وكانت لنا الكثير من العلاقات والصلات مع الكثير من الأصدقاء من أعضاء غرفة التجارة وغيرهم. وقد شعرنا في ذلك الوقت بضرورة أن يكون هناك صوت اعلامي قوي يمثلنا كمجموعة مترابطة من الاقتصاديين والسياسيين الكويتيين، ويكون ذات مصداقية ويضع مصلحة الكويت فوق كل اعتبار، لذلك جرت بعض المحاولات لإصدار صحيفة إلا أن وزارة الإعلام لم تصرح لنا بذلك، إذ كان هناك حظر على الترخيص للصحف لكن العلاقة الطيبة التي كانت تربط كلاً من محمد النصف وعبدالعزيز الصقر مع السلطة، وخصوصا مع الشيخ جابر الأحمد والشيخ صباح الأحمد ساعدتهما في الحصول على ترخيص بإنشاء جريدة، وذلك في سبتمبر 1971.

وبعد الحصول على الترخيص، رأينا التوسع في ملكية الجريدة فأصبح الشركاء خمسة، وهم عبدالعزيز وجاسم الصقر ومحمد يوسف النصف

وعبدالعزيز الشايع ومحمد عبدالمحسن الخرافي ومحمد عبدالرحمن البحر. وهكذا تم تأسيس الجريدة على ايدي الخمسة: الصقر والشايع والنصف والخرافي والبحر.

وعند تأسيس أول مجلس ادارة للجريدة التي اتفقنا على تسميتها «القبس» أصبح محمد يوسف النصف رئيسا لمجلس الإدارة، تحديدا في يوليو سنة 1972، وكنت أعاونه، فصرنا أكثر أعضاء مجلس الإدارة فعالية في التأسيس الفعلي. فكنا نجتمع عصر كل يوم في مبنى الإدارة، ويشاركنا عبدالعزيز الصقر في أغلب الأحيان»

ولكي تكتمل أركان الصورة جاءت رواية السيد ماجد جمال الدين مستشار غرفة تجارة وصناعة الكويت والتي أوردها في كتاب «جاسم حمد الصقر – سيرته السياسية والثقافية» والصادر عن مركز البحوث والدراسات الكويتية ومن إعداد فيصل عادل الوزان، يروي فيها أن المرحوم العم جاسم الصقر استدعاه عام 1981 بعدما أسندت اليه رئاسة مجلس الإدارة وتمنى عليه تدوين مذكرة موجزة عن خطوات التأسيس ، يقول فيها أنه طرح على العم عبدالعزيز الصقر رئيس غرفة التجارة والصناعة ان يكون للمجموعة التي يشترك معها في الآراء الاجتماعية والسياسية والإقتصادية صحيفة يومية تعكس مواقفها من القضايا الكويتية والعربية ، وكان ذلك عام 1971 ، ثم عاود طرح فكرته على مسامع العم محمد يوسف النصف وكان في مكتبه عبدالعزيز الصقر ، بعدها بثلاثة أشهر استدعاه محمد يوسف النصف ليسلمه خطاب موجه الى الصقر يتضمن ثلاث نقاط ، الأول صدور ترخيص صحيفة باسم محمد يوسف النصف والثاني ان يتم نقله الى اسم الشركة التي ستؤسس لإصدار الصحيفة والثالث الطلب من العم أبو حمد سرعة العودة للبدء في العمل.

وفي أكتوبر 1971 تم تكليفه بزيارة كل من : محمد الخرافي ومحمد البحر ويوسف إبراهيم الغانم ليشرح لهم موضوع إصدار الصحيفة وان يكونوا

شركاء بها، وافق البحر والخرافي واعتذر الغانم، ثم كلف بالسفر الى بيروت والقاهرة مطلع يناير 1972 لإختيار مدير التحرير وكذلك للتفاوض على شراء إفتتاحية جريدة «النهار».

وبالفعل تحققت أهداف الزيارة وفي نهاية فبراير 1972 أنهى مهمته وعمله بالقبس وعاد الى موقعه بغرفة التجارة بعد حوالي ثلاثة أشهر وأستمر بتحرير الصفحة الاقتصادية لمدة شهرين بعد الصدور.

وبالعودة إلى الجريدة الرسمية «الكويت اليوم» فقد نشرت في عددها رقم «869» عقد التأسيس والذي حدَّد في مادته السادسة رأسمال «شركة دار القبس للصحافة والطباعة والنشر» بمبلغ 15 ألف دينار كويتي مقسماً إلى ألفي سهم قيمة كل سهم سبعة دنانير وخمسمائة فلس.

توزعت الأسهم على الخمسة المؤسسين بالتساوي وهم : محمد يوسف النصف، محمد عبدالمحسن الخرافي، محمد عبدالرحمن البحر، عبدالعزيز الشايع، جاسم حمد الصقر.

ودفع المؤسسون كامل قيمة الأسهم وقدرها خمسة عشر ألف دينار كويتي باسم الشركة ولحسابها في بنك الكويت الوطني.

وبالفعل صدرت «القبس» بامتياز خاص بها، بعد إغلاق باب التراخيص في أوائل الستينات لتنظم إلى زميلاتها الصحف اليومية ، وهي «الرأي العام» و»الوطن» و«السياسة».

الإنطلاقة الكبرى

عقد الثمانينات كان بمثابة الانطلاقة الكبرى «للقبس» ففي هذه المرحلة شهدت قفزات نوعية جعلت منها الصحيفة الأولى والأكثر تأثيراً على مستوى الكويت وفي المحيط العربي..

هويتها المهنية تشكلت من عدة مدارس صحفية عربية لكنها اصطبغت بالمدرسة الصحفية اللبنانية، فقد أخذت بالتجديد كلما رأت ذلك ضرورياً.
أول تغيير حصل كان على مستوى رئاسة التحرير فقد أختير الأستاذ محمد جاسم الصقر كثاني رئيس تحرير عام 1983 بعد الأستاذ جاسم أحمد النصف وكان ذلك عنواناً لعهد جديد مختلف عما قبله.
خلال ثمان سنوات وبعد خروج رؤوف شحوري عام 1984 تناوب على كرسي مدير التحرير الزميل رفله خرياطي وكان الزميل عبدالكريم البيروتي يشغل منصب نائب مدير التحرير ثم جاء الزميل فادي الحسيني قائم بأعمال مدير التحرير بالوكالة عام 1986 أثر ذهاب عبدالكريم البيروتي إلى مصر وإستمر بهذا المنصب إلى ديسمبر 1989 حين عاد الزميل رفله من لندن ومن جديد كمدير للتحرير وبقي لغاية الغزو العراقي عام 1990 .
بعد تلك السنة وفي العام 1991 عين الزميل أحمد طقشه مديرا للتحرير واستمر الى العام 2014 أي مدة 24 سنة تقريباً.
معالم الطريق رسمت في مكتب رئيس التحرير وفريق العمل الذي ترجم الأفكار الى واقع، فالتغييرات بدأت بإستقطاب أسماء لامعة في عالم الصحافة العربية والتوسع بالصفحات المتخصصة وإبرام اتفاقات مع دور صحفية عالمية مثل «لوموند» الفرنسية و»نيويورك تايمز» الأميركية ...
كان القارئ يجد مبتغاه من حيث المواد السياسية والإقتصادية والتحليلات، فقد التقى على الصفحة الأخيرة كل من رسام الكاريكاتير ناجي العلي وعبدالله المحيلان «بالكاميرا والكلمة» وصلاح الساير وخالد العمر ومشاري العميري والشاعر أحمد مطر في «لافتته» الشعرية.
سجلت القبس العديد من السباقات الصحفية وفي طليعة الزملاء كان الأستاذ محمد جاسم الصقر الذي أجرى لقاءات وحوارات مع رؤساء دول عربية وأجنبية لاقت صدى جيد ورفعت من مستوى الصحيفة وزادت عدد القراء والمشتركين لديها.

أَصْدَرْت الدار عدة كتب بإسم القبس توزع مجاناً مع الصحيفة اليومية، أقدمت على فتح ملفات ساخنة، وكانت افتتاحياتها مدار تفاعل سياسي واجتماعي.

خلال عقدي الثمانينات والتسعينات وفي اطار المنافسات التي دارت بين الصحف كانت القبس تتقدم خطوات بحيث صنفت من أهم دور الصحف العربية والخليجية ويمكن إيراد مجموعة من الوثبات التي عززت من دورها والتأثير الذي تركته في شارع الصحافة ، وكان الشعار السائد لدى العاملين في بلاط صاحبة الجلالة «نحن والقبس» دلالة على المساحة التي تشغلها قياساً للأخرين الذين دخلوا في سباق دائم معها.

من تلك المحطات الفاصلة في تاريخ القبس ما يلي:

1983 – 1984 إصدار الملاحق الأسبوعية المتخصصة وقضايا القبس:

بعد توقف «مجلة القبس» بتاريخ 30 نوفمبر 1983 ، وفي محاولة لتجديد خدمة صحيفة متميزة ، صدرت «قضايا القبس» في الأول من ديسمبر 1983 ، صباح كل خميس وبـ 40 صفحة وفي أواسط 1984 وفي صباح كل يوم جمعة، أصدرت أربع صفحات إضافية داخل العدد تحت عنوان «ويك أند القبس» وهي صفحات ملونة وضاحكة، ثم أصدرت ملحق «القبس الرياضي» الأسبوعي بتاريخ 29 أكتوبر 1983 وبأربع صفحات ملونة داخل العدد .

16 نوفمبر 1984 الإخراج والطباعة :

أول عدد من القبس يصف على الكمبيوتر كاملاً مع تبويب وإخراج مميزين، كان بتاريخ 16 نوفمبر 1984 .

وفي مطلع 1986 تم استخدام وحدتين طباعيتن جديدتين للماكينة العملاقة «كومباكتا» وذلك من أجل زيادة عدد الصفحات الملونة بالجريدة وملاحقها واصبح عدد الوحدات الطباعية 12 وحدة.

مايو 1984 مركز التدريب الصحفي :

إنشاء مركز للتدريب الصحفي في مبني القبس خصص لتدريب وتعليم الشباب الكويتي، ومدة الدراسة والدورة سنتين، تم الاستعانة بالخبير الإعلامي الدكتور بشير العريضي ليشرف على المركز.

20 مايو 1985 القبس الدولي :

إصدار صحيفة القبس الدولي من لندن، لتكون أول صحيفة كويتية تصدر من الخارج وتوزع في جميع أنحاء العالم استمرت بالصدور لغاية 1990/8/2 ، وتوقفت بسبب الغزو العراقي ثم صدر العدد الأول منها بتاريخ 1990/8/11 واستمرت بالصدور تحت اسم القبس الدولي لتاريخ 31 أغسطس إلى ان تولت إصدارها حكومة الكويت والتي تتخذ من مدينة الطائف مقراً لها، تحت اسم «صوت الكويت» وكان ذلك بتاريخ 1990/11/1 .

22 أبريل 1988 أعلى رقم توزيع

سجلت القبس أعلى رقم توزيع في تاريخها وتاريخ الصحافة الكويتية حيث بلغ ما طبع منها 118,029 نسخة .

1980-1988 الحرب العراقية -الإيرانية:

تميزت بالتغطية الإعلامية الواسعة لهذه الحرب التي اشتعلت على تخوم الكويت وأصابها الضرر الكبير في مصالحها.
كانت القبس تنقل تقارير ميدانية عن الجبهات العسكرية بفريق عمل مهني متكامل.

0991-1991 نهب وسرقة المكائن وإعادة التجهيز:

تم نهب وسرقة المكائن الطباعية وكل الأجهزة والمعدات الفنية في القبس على يد الاحتلال العراقي وأعيد بناء الدار وتجهيزها من جديد عام 1991 – 1992 .

17 يونيو 1991:

أعيد اصدار القبس من الكويت بعد التحرير وكانت هي والزميلة «السياسة» أول صحيفتين تصدران في حينه.

29 أبريل 1992 استجواب من قبل أمن الدولة :

استدعاء محمد جاسم الصقر، رئيس تحرير القبس من قبل نيابة أمن الدولة واستجوابه لمدة ست ساعات مع الزميل الصحفي خضير العنزي ثم الإفراج عنه بكفالة مالية بعد التحقيق معه بتهمة نشر أسرار عسكرية.
وبتاريخ 1993/4/10 أصدرت محكمة أمن الدولة حكماً يقضي ببراءة القبس في القضية المرفوعة ضدها من قبل وزارة الدفاع لنشرها الهيكل التنظيمي لتشكيلات الجيش الكويتي.

21 فبراير 1992 جائزة الحرية :

منحت لجنة الدفاع عن الصحافيين وهي أول لجنة من نوعها في الولايات المتحدة الأميركية الى الأستاذ محمد جاسم الصقر ، جائزة حرية الصحافة تقديرا لدفاعه الثابت والقوي عن حرية الصحافة والديمقراطية في الكويت وتسلم الجائزة في احتفال جرى لهذه الغاية بمدينة نيويورك بتاريخ 21 فبراير 1992 وعين عضواً فيها.

1993 – 1999 أهم سبق صحفي :

كشفت عن «سرقة العصر» وما يعرف باختلاسات ناقلات النفط واستثمارات الكويت في الخارج والتي تسببت بمحاكمة وزراء وقياديين واستمرت مفاعيلها على مدى سنوات وواجهت القبس تحديات وضغوطات ، لكنها مضت في المتابعة ولم تتوقف.

مارس 1995 مركز المعلومات:

تطوير مركز المعلومات والدراسات بإستخدام الكمبيوتر والبرامج الإلكترونية بحفظ المعلومات وإصدار أقراص cd-rom، لأول مرة بتاريخ الصحافة الكويتية والخليجية .

12 يوليو 1997 الإنترنت :

وضعت القبس، على الانترنت تسهيلاً للمشتركين في هذه الخدمة الالكترونية الجديدة .

25 يونيو 1998 حبس رئيس التحرير والايقاف عن الصدور:

قرار من المحكمة بسجن رئيس التحرير محمد جاسم الصقر لمدة ستة

أشهر وإيقاف الصحيفة عن الصدور لمدة أسبوع بسبب نشر طرفة «أي نكتة» إعتبرت مساساً بالذات الإلهية ثم صدور حكم ببراءة رئيس التحرير بتاريخ 1999/1/12 واسقاط الحكم بإيقاف القبس عن الصدور.

التجديد الثالث عام 1999

التجديد الثالث في تاريخ القبس حصل عام 1999 بتعيين الأستاذ وليد عبداللطيف النصف رئيساً للتحرير.

هذا العهد كان بمثابة الجسر الذي يربط بين ما انتهت إليه القبس وبين التصورات المقترحة بالتجديد، فالبناء أصبحت له ركائز ثابته، وصار بالإمكان التوسع والتطوير والإضافة، فلا تراجع الى الوراء، بل مزيد من الخطوات نحو ترسيخ مكانة الصحيفة التي إحتلتها بفضل جهود العاملين فيها وعلى مدى 28 سنة من التأسيس.

أقلع الأستاذ وليد النصف «بالقبس» بطاقم من الزملاء المهنيين ، وعلى رأسهم مدير التحرير الزميل أحمد طقشه الذي واكب المسيرة واستمر لتاريخ 20 ديسمبر 2014، ليخلفه جاسم أشكناني (بالوكالة) ثم بشارة شربل (من 2016/2/4 الى 2019/1/13) ومن بعده منير يونس .

طوال تلك السنوات فتحت لها مسالك وأبواب جعلتها دروساً تكرس لأهداف مهنة الصحافة وتطويرها وأثراءها بجهود العاملين فيها والقائمين عليها، ومن بينها :

- عالم تكنولوجيا الصحافة 2005-2009 :

أدخلت تكنولوجيا صناعة الصحافة في صلب عملها اليومي وكان لها الباع الكبير في سهولة التنفيذ والتوسع، واستعانت ببرامج «الناشر الصحفي»

و»الفوتوشوب» و»إن ديزاين» ومع بداية 2009 أدخلت نظام «الإيزي نيوز» والذي يعتبر نقله نوعية بمراحل التحرير والإنتاج والتجانس بين الأقسام التحريرية ومن أحدى خصائصه إلغاء جميع المراحل الورقية. أما في العام 2005 وهو عام التحول الجذري في عالم الإنتاج مع ظهور برامج على الكمبيوتر واستخدامات جهاز (C.T.P) والذي يحول الصفحات الى «PLATE» منهياً بذلك الأعمال اليدوية.

- شبكة مراسلين :

أنشأت القبس مكاتب دائمة في أهم عواصم القرار العربية والدولية وإستعانت بعدد من المراسلين الأكفاء، وغطت بذلك الدول صانعة الاحداث كواشنطن ولندن وباريس والقاهرة وبيروت، بحيث انتشرت شبكة المراسلين في مختلف المدن العالمية ووصل عدد المراسلين الى العشرات.

- كتاب الشهر : 2002-2010

دأبت القبس على تقديم مادة صحفية ذات طابع معرفي وثقافي بمستوى جيد وقدمت كتاب الشهر مجاناً، عبارة عن سلسلة من كتب التراث والثقافة والتاريخ.

موقع القبس الإلكتروني :

عام 1997 كان عام التحول إلى الصحافة الالكترونية، حيث تم إدخال «القبس» على الانترنت، وأصبح في امكان القارئ في أي بقعة من العالم متابعة المواد المنشورة في الصحيفة.

وفي عام 2002 تم تطوير الموقع، وصار في مقدور المتصفح قراءة الصحيفة كاملة، مع إمكان البحث بالنص، وكذلك اقتباس ما يشاء من المواضيع .

اتبعت إدارة التحرير خطة تطوير على مراحل، فقد واكبت الأحداث الطارئة وشكلت فريق تحريري وفني للمتابعة وبث الأخبار الساخنة، نذكر منها الانتخابات النيابية في الكويت ومباريات البطولات الدولية الرياضية مثل كأس العالم، ونتائج الانتخابات الرئاسية الأميركية وغيرها من الأحداث..

يعتبر الموقع من أهم المواقع الصحفية المحلية والعربية كما أنه يعتمد كمرجع مهم، نظرا إلى الكم الهائل من المعلومات المتوافرة على الموقع وسهولة البحث فيها، وعلى مدى سنوات تم استحداث أجهزة خاصة بالموقع خارج الكويت، لتسهيل عملية تصفح الجريدة لزوار أوروبا وأميركا، مما زاد في سرعة البحث وتصفح الأخبار، كذلك تم اجراء تغييرات عام 2008 طالت الشكل وسهولة الانتقال بين الموضوعات، حيث يمكن تصفح الأخبار الداخلية من دون الحاجة إلى الخروج من الصفحة الرئيسية .

الجديد في الموقع انه صار بامكان المتصفح استعراض صفحات «القبس» بتقنية E_Paper النسخة الورقية وشريط اخبار متحرك، يعرض آخر التطورات، وإمكانية التصويت في أكثر من موضوع، وإظهار العناوين والمقالات للكتاب بنقرة واحدة.

- خدمة مميزة للقارئ (2006) Le monde Diplomatique:

أضافت عام 2006 خدمة مميزة للقارئ وهي الطبعة العربية لصحيفة Le monde Diplomatique الشهرية، والتي تزخر بتحليلات سياسية واجتماعية وتتناول الشؤون الدولية.

- اخراج فني بثوب جديد (2010) :

في ذاك العام استكملت صورة الإخراج الجديدة وهي ثاني عملية فنية شاملة بعد مرور تسع سنوات تقريبا، وانضمت بذلك الى ركب الصحف العالمية التي تعتمد أسلوب النماذج المسبقة والتي توفر خيارات متعددة لكل صفحة، مع هوية اخراجية واحدة.

- تقسيم الصحيفة الى اربعة أجزاء (2000) :

إستعانت القبس بخبراء إنكليز عام 2000 وتقرر في حينه تقسيم الصحيفة إلى أربعة أجزاء (العدد الأم – الاقتصادية- الرياضة-المجلة) إستمر العمل بهذا التقسيم لعشرة أشهر عادت بعدها لتصدر جريدة واحدة متكاملة بتاريخ 15 نوفمبر 2001 .

-صلاحيات مدير التحرير والوظائف الإشرافية (2001) :

شعرت رئاسة التحرير أن المرحلة تتطلب تنظيم العمل في إدارة التحرير بشكل أوضح وعليه جرى تحديد صلاحيات ومهمات مدير التحرير لأول مرة وبشكل مكتوب وكذلك بقية الوظائف القيادية من حيث المتابعة والإشراف التحريري والإداري وصلاحيات نائب مدير التحرير وسكرتير التحرير ورؤساء الأقسام.

-أول عدد على برنامج (InDesign 2008) :

أول عدد من القبس يصدر بعد بدء العمل ببرنامج «إن ديزاين» بدلاً من برنامج «الناشر الصحفي» وبـ 72 صفحة كان ذلك يوم 2008/1/6 .

- الإيداعات المليونية (2011) :

كشفت في تحقيق صحفي عن مبالغ قدرت بـ 17 مليون دينار وضعت في حسابات عدد من نواب مجلس الأمة في البنوك المحلية مما أربك المصارف والجهات الرقابية بالدولة واعتبرت من أكبر الفضائح المالية الموسومة بالرشوة السياسية وكان ذلك بتاريخ 20 أغسطس 2011 ، وبعد التحقيقات تم حفظ القضية من قبل النيابة العامة بسبب قصور في التشريع.

رواية أول مدير تحرير لقصة الصدور

يوم الأول من مارس 1984 غاب إسم رؤوف شحوري كمدير تحرير عن الصفحة الأولى حيث كان يوضع في رأس الصفحة مقابل إسم رئيس التحرير.

هذا التقليد كان معمولاً به في معظم الصحف والمطبوعات الكويتية، أي أسماء مدراء التحرير والمدراء العامين ومدراء المطابع على الصفحة الأولى والأخيرة لكنه غاب تماماً مع تنامي «حالة التكويت» وإستبعاد العنصر الوافد أولاً وبسبب تعديلات أدخلت على قانون المطبوعات ثانياً وحصرت مسؤولية النشر والتمثيل أمام المحاكم ولدى الجهات الرسمية وإدارات الدولة برئيس التحرير ومن ينوب عنه شرط أن يكون كويتياً.

ومنذ السنة الأولى من صدور القبس كان اسمه يعلو رأس الصفحة الأولى، كبقية الصحف الأخرى تقريباً ، شاءت الظروف أن يغادر الكويت يوم التاسع والعشرين من شهر فبراير عام 1984 بعد ان أمضي فيها (12) عشر عاماً متفرغاً كمدير للتحرير، ومنذ ذلك التاريخ انتهت مهمته بعد أن حضر إليها أواخر العام 1971، واشترك في مرحلة التأسيس.

قبل مغادرته زار أصحاب القبس مودعاً كما ودع أسرة التحرير في لقاء جَمَعَهُ بهم لم يستغرق أكثر من ربع ساعة راوياً لهم عن تجربته من خلال خمسة مشاهد استحضرها عن تلك المرحلة.

لم تكن العلاقة التي نشأت بيني وبين الأستاذ رؤوف شحوري في إطار العمل والوظيفة «ممتازة» على طول الخط بل تخللتها حالات من المد والجزر، أحيانا تطفو على السطح وأحياناً تخبو، لكنني تعلمت منه الكثير وإستفدت من خبرته التي أمدتني بالتحدي وجعلتني على مسافة قريبة جداً منه .. وهذا ما سأتعرض إليه عند الحديث عن عملي بتأسيس مركز للمعلومات والدراسات وكان مرافقاً لي وداعماً بعد معاناة وصدمات.

كنت أحرص على إبقاء التواصل معه والسؤال عنه في كل فصل صيف عندما أزور بيروت أذهب إليه في مكتبه في منطقة الحازمية على أطراف مدينة بيروت، بدار الصياد، تكررت هذه العادة وكنا نلتقي كل صيف تقريبا وبصحبة الزميل حسين سلامة والذي بقي ملازماً له أثناء عمله في القبس وعودته إلى لبنان وعمله بدار الصياد.

كانت القبس حاضرة دائماً في الأحاديث المشتركة بيننا وهذا ما شجعني على طلب إجراء مقابلة مسجلة معه، يحكي لي فيها عن تجربته فيها... لم يستجب في المرة الأولى ولا الثانية لكن تحت إلحاح منّي تواعدنا على لقاء خاص إمتد لعدة أيام وجلسات وفي دارته الصيفية ببلدة « شوكين» الجنوبية ثم في منزله الخاص في «منطقة المزرعة» بيروت وكان ذلك في شهر سبتمبر عام 2012 زودني في حينها بوثائق ومعلومات، منها ما يمكن نشره ومنها ما نتحفظ عليه ونتركه للتاريخ، لأنني أؤمن بالحكمة التي تقول «المجالس في الأمانات».

قال ((سوف نتحدث عن الرحلة بدون ترتيب.. خلال وجودي في الكويت واحتكاكي الدائم مع أهل القبس ومؤسسيها الخمس .. خاصة مع العم أبو يوسف رحمه الله ..))

• تقصد محمد يوسف النصف؟

- محمد يوسف النصف.. أبو يوسف.. لماذا قرروا إصدار القبس.. مع أنه كان هناك «الرأي العام» و»السياسة».. كان أستاذي الحقيقي في الكويت

لمعرفة الكويت وتاريخها وتقاليدها.. كان يحدثنا دائما بهذه المواضيع.. بالثقافة الكويتية لأنها تهمه شخصياً.. حدثني عن مرحلة ما قبل النفط وعن أسرة آل الصباح قديماً.. كان الوضع أشبه بنظام أبوي كلما اختلفوا على شيء يرجعون إلى بيت الصباح.. وتجار الكويت في مرحلة ما قبل النفط بحكم أنهم يملكون الثروة والمال كانوا يتحملون الجزء الأكبر من الإنفاق على البلد.. أرسلت مجموعة منهم بياناً بشأن موقفهم السياسي لصحيفتي «الرأي العام» و»السياسة» حول الوضع السياسي الداخلي وبعد انتخابات عام 1967 مكتوب بأسلوب رزين .. على حسب ما قيل لي أن هاتين الصحيفتين رفضتا نشر البيان.. من هنا بدأت فكرة إصدار صحيفة تبين وجهة نظرهم بالشأن الكويتي والعربي ولم يكن بعد هناك إسم للجريدة الموعودة.

• في البداية لم يكن لديك خلفية عن هذا الجانب؟

- كان الموضوع بينهم ولم يكن أحد يعلم عنه شيئاً .. قرروا إصدار جريدة يساهم بها هؤلاء الخمسة .. البراغماتية أي العقل العملي الكويتي كان وراءه.. أولا ماذا سوف نسميها وبما أنهم ليس لديهم خبرة تم تكليف ماجد جمال الدين المدير المساعد في غرفة التجارة والصناعة والعم عبدالعزيز الصقر كان رئيس غرفة التجارة والصناعة .. وكانوا ملتفين حوله بحكم أنه رئيس الغرفة ..

• وهو شخصية متنورة وقيادية..

- قام ماجد جمال الدين باقتراح العديد من الأسماء.. معظمها أسماء سورية.. أسماء جرائد سورية بحكم معرفته بها.. من بينها كان اسم القبس.. وهي

كلمة مذكورة بالقرآن الكريم ولها تاريخ وتكلم عنها وكان مؤسسها نجيب الريس ..

• صحيفة سورية؟

- نعم صحيفة سورية.. وفيما بعد وبالعدد الأول كتبنا لماذا اسم القبس.. قبل نجيب الريس كان اسم القبس موجوداً.. فتقرر أن يتم تسميتها «القبس».. ثاني سؤال اقترحوه على أنفسهم لا أذكر التاريخ الزمني ولكن قبل الصدور. قالوا... نحن قادمون على مهنة ليس لنا خبرة فيها.. ولذلك علينا الاستناد إلى أهل الخبرة ثم طرحوا السؤال.... أين يوجد صحافة بالعالم العربي لنحضر منها الخبرة .. قالوا في مصر ولبنان .. هنا نرى العقل الكويتي التجاري المنفتح.. إذا أخذنا من مصر بها صحافة عريقة يجوز أن لا نجد صحافة حرة بتفكيرها.. بمعنى أن يكون هناك من يؤثر عليه .. أو نأخذ من لبنان لأن صحافتها حرة وأيضا هناك مخاطر من التأثير عليها .. فوقع الاختيار في المرحلة الثانية على لبنان وليس من مصر ..

• وكان هذا النقاش بين أصحاب القبس الخمسة ؟

- نعم هم .. ليس في إجتماعات رسمية بل في دواوينهم .. مَنْ مِنْ لبنان .. نحن لا نعرف أحداً بعينه.. كيف نعرف المواصفات لهذا الصحفي .. إذا أحضرنا أحد الأسماء الكبيرة من مصر مثل هيكل أو من لبنان أمثال سليم اللوزي أو سعيد فريحة هؤلاء (مافينا عليهم) ..إذا أحضرنا درجة ثانية أو ثالثة أو رابعة نخاف أن نفشل نريد شخصية متوسطة العمر ولديها تجربة ويكون واع ولديه شهادات لنجاح هذه المهمة .

• يقصدون أمثال علي هاشم مراسل «النهار» الدائم هنا والمتواجد غالباً في الكويت؟

- علي هاشم مراسل النهار الدائم .. كان على علاقة بهم لم يخبروه بنيتهم لإصدار جريدة ولكن سألوه عن أسماء محررين وليسوا أصحاب صحف .. وهو بالمناسبة من نزلاء فندق الشيراتون الدائمين.

• حددوا خياراتهم وباتوا يعرفون ماذا يريدون..

- طلبوا من علي هاشم أن يرشح لهم ثلاثة أسماء .. من بينهم كان إسم رؤوف شحوري .. ولم يكونوا على عجلة.

• ومن هم الإسمين الآخرين ؟

- لم أعرفهم .. سوف أخبرك القصة.. ملحم كرم ورياض طه .. في أوقات مختلفة أيضا طلبوا منهم ترشيح ثلاثة أسماء .. تكرر إسمي عند ملحم كرم .. ولم يرد إسمي لدى رياض طه .. كان لدي معركة مع رياض طه.. كانت صلتي أقرب مع ملحم .. عندما تكرر إسمي عندهم قرروا الاستعلام عني سياسيا ومهنياً .. ولم أعرف نتيجة استقصاءاتهم، المهم قرروا البدء مع رؤوف شحوري بحيث يكون تحت رقابتهم وليس له أي ارتباطات سياسية وهو مهني حر .. وفي لبنان هناك رئيس تحرير وسكرتير تحرير ومدير تحرير ..وفي الغرب المايسترو المهني هو مدير التحرير.

• في الفترة التي كنت فيها مدير تحرير ..كانت القبس إحدى الصحف التي تضع في الصفحة الأولى اسمك، انتهت هذه المرحلة أواخر الثمانينات ولم يعد يوضع بالصحف إسم مدير التحرير .. فقط رئيس التحرير، برأيك ما هب الأسباب وهل هناك علاقة بالغزو وتداعياته أم ماذا؟

- سوف أذكر لك شيئاً آخر وقصة أخرى عن تاريخي المهني... ذات يوم قرر أصحاب الجريدة أن يكون هذا الشاب هو المناسب .. أي رؤوف شحوري وطلبوا دعوته للتعرف عليه .. أرسلوا ماجد جمال الدين إلى بيروت وإتصل بي أخبرني أنه قادم من الكويت ويرغب بزيارتي .. وكنت آنذاك في دار الصياد سنة 1971.. كل المناصب التي شغلتها من بداية عملي في المهنة ببداية الستينات كنت بموقع سكرتير التحرير .. بدأت العمل سكرتير تحرير بدون خبرة سابقة.. كان طموحي أن أصبح قاضيا وكنت أدرس القانون بالجامعة اليسوعية وقدمت طلب وظيفة والعمل كمساعد قضائي .. حصل إضراب في قصر العدل وكنت أوزع الأخبار على الصحف ومنها صحيفة «الجمهورية».. كانت صحيفة مهمة لأنها ناطقة باسم الكتلة الوطنية .. أو مقربة من الكتلة الوطنية .. أخذت مني الخبر بعنوان «الإضراب يقرع أبواب قصر العدل « عندما قرأ المسؤول الخبر ويدعى هنري الأسمر وهو إبن سجيع الأسمر صاحب الجريدة ورئيس التحرير كان متفاعلاً سألني من الذي كتب هذا العنوان والخبر .. فقلت له أنا .. قال لي ماذا تفعل يا إبني مساعد قضائي ما هذه الوظيفة هل هذا هدفك ؟. فقلت له أريد أن أكون قاضٍ .. قال لي شحاذ يعني .. قلت له كيف هذا؟ معقول أن يكون القاضي ... شحاذ؟ .. قال لي يا إبني أنت صحفي ما لك بمهنة القضاء .. سوف أعلمك الصحافة وتعمل لدينا فقلت له لا ... أريد أن أصبح قاضياً .. ومضى الوقت وعملنا الإضراب الوحيد في تاريخ قصر العدل .. وكان عددنا 300 شخص وكلنا جامعيين وتم تعييننا دفعة واحدة .. كلنا نعرف بعضنا عملنا الإضراب لرفع الرواتب وضد الرشوة .. كان الراتب 175 ليرة .. في عهد صائب سلام طلب طردنا.. وقد كنت من الأوائل وصورتنا ظهرت بالصحف .. فتذكرت هنري الأسمر .. وذهبت إليه وعندما رآني أول ما قاله لي «طردوك» قلت له نعم فقال لي «أهلا لقد وصلت « أجلسني مكانه ولم يكن هناك طاقم عمل بالجريدة ومن هناك بدأت القصة والذي أشرف علي كان مدير المطبعة أنيس المر .. ومن هنا إنتقلت إلى منصب سكرتير تحرير .. وكنت أكتب عمود سياسي في الصفحة الأولى بتوقيع «أبو ربيع».

• كنت تتحدث عن قصة ماجد جمال الدين؟

- عندما إتصل بي ماجد جمال الدين إلتقيته ورحَّبتُ.. رحبت به وشرح لي فكرة تأسيس جريدة بالكويت .. طلب مني الحضور إلى الكويت للبحث بالموضوع.. إستمهلته قليلاً من الوقت للتفكير ولمدة يومين.. ولم يكن لدي رغبة بمغادرة لبنان.. وقد كنت مرتاحا بدار الصياد وبالصحافة عموما.. ولست أنا فقط وإنما كل الذين كانوا مثلي كانوا مرتاحين.. عندما تركت جريدة «الأنوار» في ذلك الوقت كان راتبي 800 ليرة .. عندما طلبني بسام فريحة قلت له 200 ليرة ضريبة لأن سمعتك ليست سيئة، فصار معاشي ألف ليرة إمتلكت منزل وأثثته وعملت حفل زفاف وتزوجت والسيارة الوحيدة بتاريخ حياتي إشتريتها جديدة هي ماركة Audi موديل 1960 أما باقي السيارات التي إشتريتها كلها مستعملة.. كان وضعي مرتاح وكنت متزوج ولدي ولدين .. فقلت لنفسي لماذا لا أذهب لأرى والناس أكرموني وطلبوني بالاسم فمن باب اللياقة يجب أن ألبي الدعوة وأقوم بمشروع تأسيس الجريدة كرد للجميل بأنهم خصوني بهذه المهمة .. واستقبلوني في المطار ونزلت في أحد الفنادق المطلة على شاطئ الكويت .. وفي أول ليلة أمضيتها نظرت إلى منظر رائع ... البحر هادئ وقلت اليوم لا يوجد أمواج وكنت لا أعلم أنه كل يوم لا يوجد أمواج وأنا معتاد على شاطئ بيروت .. وكانت ترسو السفن الصغيرة على الشاطئ وكان الجو رومانسي وحالم .. وعندما استيقظت صباحا لم أجد البحر .. وكانت دهشتي كبيرة لأنني إبن الساحل وإبن بيروت حيث الأمواج والبحر الهائج لكننا لا نشعر بالمد والجزر .. فكان أول مانشيت فكرت به ووضعته برأسي «من سرق بحر الكويت؟ « شاهدت سفينة مالت على جانبها فسألت وأخبروني أنه الجزر .. فبحر الكويت هكذا مد وجزر..

• مع من كان اللقاء؟

- مع الخمسة المؤسسين في ديوانية العم عبدالعزيز الصقر .. وبدأنا التعارف

و نبذة عني وأخبار لبنان وطريقة عملي وعدة جلسات.. وسألتهم ما هي الجريدة التي تريدون إصدارها وقد كان استنتاجي من جلساتنا ومنها جلسة كانت حاسمة كان قراري وقرارهم .. لديهم مطبعة مقهوي ويريدون إصدار جريدة من 8 صفحات ولديهم مكاتب ببناية الشايع في شارع فهد السالم وهي كانت الجلسة الحاسمة..

• هذا الكلام حدث أواخر عام 1971 ؟

- وبعد عدة جلسات لم تكن عندي الرغبة بالعودة إلى بيروت أتذكر أنه .. في ديوانية العم عبدالعزيز الصقر يوجد لوحة كبيرة معلقة على الحائط .. لوحة لشارع الشانزليزيه في باريس .. يظهر في الصورة الشارع الكبير وفي آخره قوس النصر صغيراً .. فعملت حركة تمثيلية أنني أتأمل اللوحة وهم يتناقشون فتوقفوا ونظروا إلي .. فقلت لهم أن هناك خطأ في الصورة .. ذهبت إلى الصورة وقلت لهم أنظروا كم اللوحة كبيرة وقوس النصر صغير أقترح أن تقصوها وتبقون على قوس النصر لأنه الأساس .. فقلت لهم كلامي غريب أليس كذلك؟ .. الجريدة التي تريدون إصدارها أنتم تجار الكويت سمعتكم كبيرة مثل هذه اللوحة الكبيرة فكيف تصدرون جريدة درجة ثالثة بعد «الرأي العام» و»السياسة» أنا رأيي أن يكون المشروع دار ومطابع حديثة وتزيدوا عليهم خطوات .. فقالوا سوف نتشاور وغدا آخر إجتماع.. بعد الإجتماع قالوا «زين ما يخالف» فقلت لهم ماذا يعني .. لنبدأ بالمتوفر المطبعة موجودة ثم نعمل بإتجاه إنشاء جريدة مهمة .. فقلت لهم إذا كان هذا هو الهدف أنا موافق .. ولكن إذا كان 6 أو 8 صفحات فهذا ليس عملي ..

• أنت قدمت لهم تصوراتك المسقبلية؟

- كان كل همهم المقال الافتتاحي ولم يهتموا بباقي التفاصيل .. كانوا يعلمون

دعم الدولة وقلت لهم أنه يوجد صحيفة بإسم القبس في سورية ويجب أن نعلن عنها لأن الناس لن يعرفوا كيف تلفظ وتكون رمزاً وهو كإسم غير مقروء.. أول ما ينظر إليها القارئ يعلم انها «القبس».. وأخبرتهم عن صحيفة في سورية اسمها «الرأي العام» كانت تصدر صفحة واحدة وتهز الدنيا وذلك عصر ذهبي يجب أن نمضي مع العصر الجديد .. فتمت الموافقة.. فبعد تأمين ظروفي في بيروت عدت إلى الكويت لتوقيع العقد ..

- وصلنا لغاية توقيع العقد .. الحقيقة كانت أسهل مرحلة طوال لقاءاتي مع الأعمام الذين كانوا عمليا أعضاء مجلس الإدارة ولكن كانوا من المؤسسين .. كان أسهل عملية، كتابة العقد والإمضاء عليه من الطرفين .. سبب سهولة الأمر أنني لم أعترض على الراتب المعروض علَّي وهم لم يرفضوا أو يتوقفوا عند ما طلبته .. خلال الأيام التي اجتمعنا بها تم تكوين فكرة لديهم مع من يتحاورون .. وأيضا أنا تكونت لدي فكرة من هم الذين أتحاور معهم .. بقي من الناحية السيكولوجية في نفوسهم حسب تقديري نوع من التحسب إحتمال عدم نجاح المشروع وأنا في نفسي مقدم على مغامرة لا أعرف نتائجها؟. فكان العقد لمدة سنة قابلة للتجديد .. وهذه طبيعة العقود وأنا أيضا خلال هذه السنة إذا لم أوفق في مهمتي أعتذر وأعود .. ولكن بدأ يتكون في وعيي وفي مرحلة ثانية أنني أنتقل في هذه اللحظة من مرحلة البحث والتحليل إلى مرحلة صاحب جريدة رغم أنني لا أملك ذلك .. جرفني شغف رهيب أن هذا المشروع يجب أن ينجح ..

• صار لديك نوع من التحدي ؟

- كان فاصل في حياتي المهنية .. من أسباب ذلك أننا لم نتوقف عند العقد لا أثناء حضوري إلى الكويت ولا خلال المباحثات ولا من خلال معرفتي بهم بكونهم أركان غرفة التجارة والصناعة .. ولا لأنه أنعم الله عليهم بالمال الوفير

.. لم يخطر بذهني الناحية المادية .. وأقول لك بصدق خلال فترة إقامتي في الكويت من البداية إلى النهاية لم يكن المال في ذهني .. كل ما كنت أفكر فيه الشغف المهني .. أن هذه الجريدة يجب أن تنجح ..

• نجاحها أولاً وهي مشروع منافس؟

- دخلنا معهم بالأشياء العملية .. قالوا لي أنهم حصلوا على الإمتياز بعدما قرروا إصدار جريدة وعلي خلفية رفض نشر «البيان».. وقد أجروا الإتصالات وأتموا الشروط اللازمة لأخذ الامتياز وحصلوا عليه فعلا .. وحسب ما علمت منهم أنه استغرق وقتا حتى بدأوا بالإجراءات العملية .. لغاية وصولي إلى الكويت .. وهنا أخبروني أن وقتهم أصبح ضيقاً .. يجب إصدار الجريدة بأسرع ما يمكن قبل إنتهاء المدة القانونية وهي ستة أشهر بعد منح الترخيص .. ولم يكن لدي مهلة سوى الشهرين أو الثلاث .. فبدأنا بتوفير المكاتب في طابق من بناية الشايع بالقرب من ساحة الصفاة .. نريد محررين وإداريين. فقالوا قدم لنا مقترحاتك وقد كنا أنهينا الحديث سابقا قبل الدخول بهذه التفاصيل والعقد أنه بثلاث كلمات قرروا أن ينتقلوا من مشروع يكلف الشيء البسيط من دفع تكاليف الطباعة و شراء الورق ورواتب المحررين وانتهى بشيء أكبر .. العقد الذي عملته كان يجب أن يكون هناك دار خاصة بهم وماكينات طباعة خاصة بهم ومستقبلا نحصل على امتيازات أسبوعية وأخرى .. لكنهم عندما قالوا «زين ما يخالف» لم يحسموا الأمر لمشروع يكلف ملاليم إلى مشروع يكلف ملايين .. فقلت هل « أخذوني على قد عقلي».. وأنا أعرف عن أهل الخليج أنهم صادقين .. ولديهم نقاوة في التعامل بين الناس وليس لدي أي مبرر لأشك في نيتهم .. فالتحدي الحقيقي ليس في ملعبهم.. لو لم يكن في نيتهم بالأساس هذا المشروع .. التحدي عندي أن ننجح ..طلبت منهم أن نحضر «تيكرز» (جهاز تلكس لوكالات الأنباء) و (طاقم العمل) فإذا وجدنا في الكويت نبدأ

وإذا لم نجد نحضر من بيروت .. كانت أحد الأسئلة التي وجهت لي هل سأتولى أنا أيضاً الجوانب الإدارية؟ المهم قبل حضوري إلى الكويت عندما عرض علي مشروع السفر قرأت بتوسع عن مستويات ومعدلات الرواتب وعن مهمات العمل خارج لبنان وفي منطقة الخليج العربي ككل.

• في هذا الوقت هل كان التفاوض بينك وبين الخمسة المؤسسين الكبار.

- عموما نعم و كان أحدهم عندما يغيب يحضر غيره .. ولكن باستمرار كان أبوحمد حاضرا وأبويوسف وأبوحمد الشايع وعموما الكل ويمكن البحر كان يتغيب أحيانا يمكن .. حصل مرة أو مرتين قال ما تقررونه أنا موافق عليه .. وكانوا متوقعين أنني سوف أحضر طاقم العمل من خارج الكويت .. فقلت أنني سوف أحاول أن أحضر طاقم عمل من هنا ... إقتراحي لاقى إرتياحاً .. كما أنهم رأو أنني لا أعمل بطريقة خيالية ولا أحمِّلهم أعباء أكثر من اللازم .. فقالوا إذهب لترتيب منزلك ثم تعود لديك فترة عقد لمدة سنة .. عدت إلى بيروت وتحدثت مع الأستاذ بسام فريحة وأخبرته عن مشروع إصدار جريدة في الكويت وعن مشاركتي في تأسيسها ...

• ماذا كان رد فعل بسام فريحة ؟

- شخص لماح .. وأيضا لديه موهبة صحفية بالغريزة ولديه موهبة الإدارة والمال .. وعنده دراسات عليا ويملك الخبرة والممارسة وهو من أهم الصحافيين الذين رأيتهم في حياتي وهو أيضا مظلوم لم يدعي أبدا طوال حياته أنه يكتب ولكن الحس الصحفي لديه من خلال عملي معه طوال أكثر من عشرين سنة على مرحلتين وبحكم إختلاطه خاصة بالخليج وإطلاعه على أسرار لم تزل معه .. وتضحيته بالسبق الصحفي.. كانت العلاقة قوية

بين الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت وسعيد فريحة ظن بعدها الأستاذ بسام أنني أمهد لطلب علاوة .. فقال خيراً الله يوفقك على كل حال .. إذا قررت الذهاب أبلغني وحدد الوقت.. وأخبرته فقال لي الموضوع جدي .. فقلت له نعم .. فقال لي : أدعو لك بالتوفيق وعلى كل حال أنت إبن الدار إذا حبيت محلك محفوظ في أي وقت ..

• تعامل جيد ومطمئن؟

- ذهبت وأنا مطمئن أن مكاني محفوظ .. ولكني كنت أعرف أن الطريق سالكة بالذهاب فقط وبدون عودة .. وتركت عائلتي في بيروت لمدة سنة لأرى ماذا سيحدث وقررت أن أكرس كل وقتي لإصدار الجريدة .. وعدت إلى الكويت .. وأصبحت المكاتب في بناية الشايع وباشرت بالاتصالات للاستعلام عن الإخوة العاملين في المهنة .. استلمت طلبات ومقابلات التعيين لتشكيل جهاز التحرير والأقسام الأخرى .. ثم تم تركيب جهاز «التيكرز» .. أخبرت العم أبويوسف أن أجهزة «التيكرز» تم تركيبها وتمت المرحلة الأولى .. فحضر إلى المكتب وقد سمع تكتكه فقال لي ما هذا الصوت .. فقلت له «هذا نبض الجريدة .. قلب الجريدة» .. كان يوجد ممر طويل وفيه فجوة و«التيكرز» موجود فيها .. بدأت الأخبار ترد إلينا عبر هذا الجهاز وأنا أقرأ الأخبار وتوقفت أمام خبر وكان واقفاً بجانبي وصرت أقرأ له عناوين الأخبار .. فقلت له تأخرنا .. جاوبني قائلاً: كيف تأخرنا؟ فقلت... « لو كنا صدرنا لكان هذا المناشيت .. كان الخبر عن إبنة شخصية كويتية مهمة جدا تعرَّضَتْ إلى عملية إختطاف في بيروت» .. فقال لي « هل كنت ستضع هذا الخبر مانشيت» فقلت له «نعم وماذا تريد أكثر إثارة من هذا الخبر» .. «فقال الأفضل ألا تصدر الجريدة « .. فجلسنا وقال لي « نحن أهل الكويت أسرة واحدة نحن لا نعيش على الفضائح ونحفظ

بعضنا وآل الصباح هم في عيوننا وأي شخص يمس كرامة أحدهم كأنه مس كرامتنا وهذا الخبر مسئ» وكان أول درس أتلقاه ليس فقط بأخلاق أهل الكويت ولكن بالأخلاق ككل .. والعم بويوسف كان أستاذ بالأخلاق .. لن أسرد بالتسلسل الزمني لأنه سيصبح كأنه تقرير سيفقد أهميته سوف أسرد القصة أحيانا «فلاش باك» .. العم بويوسف حقيقة ترك في نفسي أثراً لا يمحي وهو من الأشخاص النادرين الذين كنا نقرأ عنهم في كتب التاريخ من حيث فراسة الصحراء .. هل تذكر عندما كنا صغاراً كانوا يعطوننا دروساً عن فراسة أهل الصحراء .. في إجتماعات التحرير وكان يشاركنا الجلسة للتعرف على الزملاء وعندما كنا نتحدث ينظر إلينا بطرف عينه للمتحدث ليتفحص ملامح وجهه فقط... وبعدها اكتشفت فراسة أبناء الصحراء وأصبحنا نعرف بعضنا جيداً ..

• يقرأ وجوه الأشخاص جيداً..

- أجل حتى الذي تحدث والذي لم يتحدث بات يعرفهم من أول نظرة.. كانت تجربة غنية.. كان الحديث عادي ولكن كانت نظرة من طرف عينيه تكفي ليذهلني.. جاء وقت تحديد موعد الصدور.. خلال شهر فبراير فاقترحت يوم 25 فبراير والذي يصادف العيد الوطني فقلت هذه مناسبة وطنية يستحسن أن تصدر فيها الجريدة.. حقاً لقد كان فيها شيء من تجربة سعيد فريحة حيث ربط عيد الإستقلال بتاريخ مجلة «الصياد».. ناقشت الاقتراح مع مجلس الإدارة وكان العم بويوسف أكثر المتحاورين ويعبر عن أفكارهم في الاجتماعات.. قال لي أن المناسبة ممتازة لكن الوقت ضيق ولا يسمح لنا أن نقدم الوقت كم يوم من باب الاحتياط .. ففهمت أنه مشروع جديد بالنسبة لهم بشكله ومضمونه ولا يعلمون ما هي مطباته وماذا يمكن أن يحدث بالبدايات لا سيما بوجود صحيفتين منافستين تقف لهم بالمرصاد..

المهم تم تحديد الموعد في 22 فبراير قبل العيد الوطني بثلاثة أيام.. حتى يكون لدينا فرصة وكان الخوف موجودا لعدم القدرة على الإصدار بالنسبة لي كانت محسومة.. قلت ليس لدي مانع ولكني أحببت أن تكون المناسبتين مع بعض.. واتفقنا على 22 فبراير موعد الصدور.. وكنت مركزا قبلها بفترة على دراسة صحيفتي «الرأي العام» و«السياسة» لأعرف ماذا ينتظرني ومن هم المنافسين.. كان هناك جريدتين سبقتنا .. المساعيد من جهة والجارالله من جهة أخرى .. عندما وصلت إلى لحظة الصدور كنت مرتاحاً ورأيت أن هذه المنافسة سوف أتجاوزها بسهوله وسوف أعمل على خط آخر غير الطريقة التي يعملون بها وسيكون خط مستقل وجديد .

• من ناحية مهنية ؟

- نعم فقد رضيت بفريق عمل تم تجميعه على عجل وقلت في نفسي لعلَّ وعسى، ماشي الحال..

• عفوا في هذه الفترة صار لديك تصور واضح عن أصحاب القبس وماذا كانوا يريدون على المستوى السياسي والوطني والاقتصادي .. يعني مشروعهم هذا هل أصبح واضحا لديك ؟

- أثناء الاجتماعات وخاصة مع أبويوسف كان يضعني بأجواء المواقف السياسية الحقيقة أنا الذي سألتهم هذا السؤال .. وأبويوسف بطريقته حدثني عن تاريخ الكويت وعن العلاقات والوضع الوطني والقومي وقضايا أخرى وكانوا يعتبرون أنه لا شيء جديد ولكن في بعض القضايا يهمهم التعبير عن رأيهم ..كان كل شيء متفق عليه الوحدة الوطنية والخليجية والتقاليد والعادات بدون أي حساسيات ولا خلافات ولا صيد بالماء العكر ...

• ماذا بشأن مكونات المجتمع الأخرى كالطوائف والقبائل؟

- نهائيا غير موجود .. لم يطرح ولا بأي شكل .. ولكن كان بذهني بحكم نشأتي بلبنان الذي بني على الطائفية .. كنت أحسب بيني وبين نفسي أن لا تكون تصرفاتي فيها أي حساسيات بهذا المعني وسوف اخبرك حسبتها وهم كيف وجدوها .. وعندما عدت إلى بيروت تعمقت في الدراسات أكثر وأعدت قراءة القرآن الكريم وكتب التفسير لأنني ذاهب إلى بيئة إسلامية تتطلب مني ذلك وقد لاحظت هذا الشيء هناك.. وكنت قرأت قبل ذلك الإنجيل والتوراة .. وكذلك تاريخ الكويت والخليج حاولت أن أتعمق أكثر وبصورة خاصة عن المملكة العربية السعودية وعندما عدت كنت قد تشبعت حول هذا الموضوع .. وكنا قد اتفقنا على أن أحضر لهم مدير عام للجريدة .. وأبلغتهم من بيروت أنني سوف أحضره معي، وجدت شخص يقوم بهذه المهمة وهو السيد سمير مطاوع.. كان يعمل في «البي بي سي» ويجيد اللغة الإنكليزية ومذيعا مشهورا ..

• المدير العام لم يكن لبنانياً ؟

- كان أردني .. ويعيش في بيروت.. وكما كانت القاهرة تجذب الفنانين كانت بيروت تجذب الصحفيين وبيننا معرفة وصداقة .. سمير مطاوع فيما بعد عاد إلى الأردن وأصبح وزيراً للإعلام أيام الملك حسين .. أصبحت مسؤولية الإدارة على سمير مطاوع بدلا مني .. وأنا للتحرير .. وكان أكثر ما يشغلني هو مانشيت الصفحة الأولى حول ماذا ستكون.. كان وقتها قصة ياسر عرفات وكان مختفيا في حينه .. ومن ضمن الزملاء العاملين معنا كان الأخ خليل بيضون رحمه الله يعمل معنا.. سألت من سوف يذهب لإجراء هذه المقابلة .. فقال أنا (خليل بيضون) وكان أول المتطوعين .. فقلت

لـه عرفـات ليـس لـه مـكان كيـف سـتعرف أيـن هـو .. قـال « لـدي إتصـالات ومعـارف».. وكان علـى إتصـال دائـم معـي مـن لبنـان، عرفـت أنـه يطـارده مـن مـكان إلـى آخـر .. كانـت مطـاردة حقيقيـة حتـى أقنعـه بالمقابلـة .

• قبـل مغادرتـك الكويـت جمعـت أسـرة التحريـر فـي القبـس وكعادتـك خرجـت إلـى الصالـة ووقفـت أمامنـا وكنـت تريـد أن تقـول كلمـة قبـل المغـادرة وقلـت سـوف تأخـذ مـن وقتنـا بضـع دقائـق ولـن تطيـل علينـا ولديـك أربـع أو خمـس حكايـات؟

- أنـت تعـرف عندمـا غـادرت .. كانـت المغـادرة بـود كامـل وكان هنـاك سـبب شـخصي ومـن الضـرورة أن يذكـر وهـو بسـبب أولادي الذيـن أصبحـوا بالجامعـة وكان لـدي خياريـن إمـا أن أعـود إلـى لبنـان أو أنقلهـم إلـى بلـد آخـر لأكمـال دراسـتهم .. لأن أولادي هـم أهـم شـيء فـي حياتـي (ليسـوا للبيـع) فوجدت جامعـات مناسـبة لهـم فـي فرنسـا وقـررت السـفر إلـى هنـاك .. وفـي نفـس الوقـت دعيـت للمشـاركة فـي مجلـة «الوطـن العربـي».. وأريـد أن أذكـر بأنـه خـلال 12 سـنة مـن إقامتـي فـي الكويـت، إحتكاكـي الأساسـي كان مـع أصحـاب القبـس .. ولـم يكـن لـدي إحتـكاك آخـر .

• بحكم العمل والمسؤولية ؟

- خـلال 12 سـنة أزعـم أننـي كنـت المدلـل لـدى الخمسـة (أصحـاب الجريـدة) الأعمـام الخمسـة .. وبالأخـص العـم بويوسـف وكان هـو صلـة الوصـل بينـي وبيـن أصحـاب الجريـدة .. غـادرت الكويـت وأنـا مشـبع بالرضـا .. وأكثـر مـا أثـر بـي حفـل الـوداع فـي فنـدق الشـيراتون .. رحمـه الله العـم عبدالعزيـز الصقـر «بوحمـد» كان مريضـا وغيـر قـادر علـى الحركـة أصـر أن يحضـر الحفـل علـى الكرسـي المتحـرك .. أنـا قلـت لـه لمـاذا أتعبـت نفسـك ولـم يكـن لـدي أي سـبب

للمغادرة بدون رضا .. وبالنسبة للناحية المالية كنت قد أمنت بعض الأشياء في بلدي ولم أكن قلقا حيال هذا الموضوع ..
منذ مغادرتي للكويت وإلى الآن لم أكتب عنهم إلا كل كلمة خير سواء بتوقيعي أو بدون توقيعي .. وأنا أعمل في مؤسسة صديقة لكل دول الخليج .. مؤسسة دار الصياد لآل فريحة .. الإنسان لديه بصمات عديدة .. يجب ذكرها .. لديه بصمة الإصبع وبصمة العين وبصمة الدم وبصمة الدماغ .. التي هي الشيفرة لكل دماغ لديه شيفرة محددة ..مثلا مقالة من مقالاتي القديمة أستطيع أن أخبرك إذا أنا كتبت هذا المقال أم لا .. وأحيانا أستطيع أن أخبرك من هو كاتب المقال أسلوب هيكل أو يوسف إدريس شيفرة الدماغ تعطيك صورة معينة .. كلمات معينة .. فأنا حسب شيفرة دماغي إذا كانت هذه الجملة التي كتبتها لها معنى سلبي فهو ما كان موجود بنفسي نهائياً.. وذكر لي أشياء أخرى لا أذكرها .. اليوم بما أنك سألتني عن شخصية محمد يوسف النصف .. قبل كل شيء رحمه الله العم بو يوسف كان المسؤول عن الصلة بيني وبين أصحاب الجريدة .. في أول عدد صدر كان أول إتصال من العم محمد عبدالرحمن البحر أعطاني ملاحظة حول صورة المرأة التي تدير ظهرها وفي اليوم الثاني إتصل بي عم آخر وأعطاني ملاحظة أخرى وعم ثالث ورابع يعطوني ملاحظات عن الأعداد التي تصدر يومياً .. إتصلت بالعم أبويوسف وطلبت إجتماع لأصحاب الجريدة .. وتم الإجتماع وأخبرتهم بأن هناك توجيهات متعددة مما يؤدي إلى إرباك العمل فإقترحت أن يكون واحد منهم يؤمن الصلة بيني وبينهم يوميا بعد أن تتشاوروا حول التعليمات التي تريدونها .. وبالإجماع تم إختيار العم بويوسف وكان نعم الصلة ..

• كان هذا هو السبب لاختياره بكونه يمثل أصحاب الجريدة .

- بهذه الطريقة أصبح هناك قناة واحدة منظمة .. السؤال من اسس القبس؟؟ هناك جواب واحد لهذا السؤال .. مؤسسي القبس خمسة متساويين

هم كما كانوا يذكرون أمامي بهذا التسلسل العم عبدالعزيز الصقر ، محمد يوسف النصف ، محمد عبدالمحسن الخرافي ، محمد عبدالرحمن البحر ، عبدالعزيز الشايع . بهذا الترتيب وكان إنطباعي أن سبب الترتيب هو العمر أي السن (إحترام السن) .. وكانت الأفضلية لرئيس غرفة التجارة والصناعة العم عبدالعزيز الصقر.. وعلى مر السنوات داخل مجلس الإدارة كان العم بويوسف والعم الشايع ، وباقي الأعمام بدرجات متفاوته وطبعا الصقر له الوجود الدائم كان الدينامو للجريدة.. كان دور العم بوحمد محفز من خلال النقد والملاحظات وكل واحد بأسلوبه العم بويوسف الأب العطوف الحنون .. مرة ثانية أقول لك رداً على سؤالك .. من أسس القبس؟ جواب واحد هم الخمس عوائل .. ولكن من أسس القبس صحفياً ومهنياً وتقنياً أيضا له جواب واحد شخص واحد هو الشخص الذي ارتبطوا معه والذي أحضر مسؤول إداري وفيما بعد إقترح عليهم مدير عام والذي أسس القبس صحفياً ومهنياً وتقنياً هو رؤوف شحوري .. لا يوجد غيره .. ولكن المسار كان أن هذا مجلس إدارة جريدة القبس مشارك يومي من أول يوم للتأسيس إلى يوم مغادرتي مشارك يومي في عملية التأسيس.. فأنا بما أعرفه من مهنة وهم بما لديهم من توجيهات وتجربة هم أيضا ساعدوا وطبعا هم رسموا الإطار العام للجريدة.

• أكمل عن قصة العم بويوسف؟

- سألتني عن شخصية العم بويوسف .. كتبت له رسالة في 29 (مارس) آذار سنة 1981 قبل مغادرتي بثلاث سنوات .. سوف أقرأ لك بعض المقاطع .. إذا كانت القبس وصلت إلى ما وصلت إليه من قوة الإنتشار وسرعة الوصول ومكانة المركز فالفضل بذلك يعود إليكم بالدرجة الأولى وإنني هنا أكرس حقيقة كنت شاهدا عليها ولتدخل هذه الحقيقة بسجل تاريخ القبس .. وبسجل تاريخ الصحافة في الكويت وإني هنا لا أصطنع تواضعا في غير محله ولا أتقرب إليكم لأنني قريب منكم حقاً ..وقد نجحت بإكتساب ثقتكم ومحبتكم بالعمل الدائم الصبور طوال

عشر سنوات وليس افتعال المجاملة وهي ليست من طبعي .. ((وفقرة أخرى)).. لقد بهرتموني طوال عشر سنوات بقوة نفاذكم إلى حقيقة الأمور من الوهلة الأولى حتى في القضايا الصحفية التي ليس لديكم خبرة سابقة فيها .. وبهرتموني بقوة فراستكم.. وقدرتكم على إبتكار أساليب التعامل مع الناس وإيجاد المناخات المناسبة للعمل الخلاق والإصغاء إلى الرأي الآخر واستنباط الرأي من الرأي ولم يخدعكم أبدا عدو متخفي في ثوب متملق منافق لم تغلطوا أبدا في صديق صدقكم ولم يأبى لمجاملتكم .. هذا جزء عن العم بويوسف .. سألتني ايضا عن سياستهم ... في 30 يناير 1971 كنا على مسافة قريبة من الصدور تقدمت بأسئلة كان الغاية من طرحها تحديد الإتجاهات العامة لجريدة القبس في مرحلة الصدور .. إقترحت عليهم بعض الأسئلة وأخذوا وقتا لدراستها .. جاءني الجواب على شكل رسالة فيها إجابات عن الشؤون الداخلية الكويتية والموقف من النظام والإقتصاد والمجتمع طبعا مع التفاصيل وأنا هنا أعطيك العناوين :الشؤون الإقليمية، الشؤون العربية ، الشؤون الدولية وكان مطلوب مني تنفيذ هذه السياسة .. وبتوقيع محمد يوسف النصف رحمه الله.. وهو بخط اليد وبالتفصيل لم يتركوا شيئا .. وهي موقعه على ورقة تحمل اسم العم بويوسف . وهذه بعض الوثائق، وكان كل اسبوع يقتطع جزء من وقته لنتحدث في الأوضاع السياسية وغيرها... ومرة دعاني إلى منزله بالفنيطيس .. كنا نتحدث ومن عادته أنه يدخل في الموضوع مباشرة.. وأخذني إلى حديقة منزله الجميلة وأدهشتني حديقته المليئة بالورود والأشجار المثمرة والخضراء وأشار الى حديقة جاره،... قال لي عندما أصطحبك لترى الحديقتين لم يكن هدفي أن أقول لك أن حديقتي أفضل من حديقة جاري .. بل لترى ما هو الفارق بين القطاع الخاص والعام .. ونحن بالقبس قطاع خاص نحب المنافسة..

• كم هي القصة بسيطة وكم فيها من معنى ؟

- كان هذا أسلوبه بالشرح وحكي لي روايات وقصص في غاية الأهمية ..

• هذه الشخصيات نادرة ؟

- إنشاء الله يكون هذا الجيل الكويتي الجديد مثلهم .. مثلا هم اختاروا الأخ جاسم النصف أن يكون رئيس تحرير القبس بموجب القانون يجب أن يكون رئيس التحرير كويتياً .. ولمست أنه إنسان قلبه أبيض طموحه أن يكون مثل الأعمام بأخلاقهم بسلوكهم بتصرفاتهم .. رغم أن لديه نوع من الخجل والحياء يفتقر إليه كثير من الشباب الذين بعمره .. كان هادئا ومريحا وله مركزه وإحترامه.. وبقيت بالتجربة لمدة 100 يوم لنرى ما هي النتيجة؟ وكانت بالنسبة لي مشجعة .. وبعدها وجدت نفسي بدون أن أسأل أحدا وقلت أن هذه التجربة سوف تنجح بإذن الله ويجب إضافة بعض الجهد ويجب أن نكمل .. عندما غادرت بيروت تركت عائلتي في لبنان لمدة سنة لأرى إذا كنت سوف أعود أم لا .. وفي نهاية السنة قررت أن أجدد .. وأنا وضعت إسم رئيس التحرير حسب القانون على يمين الصفحة الأولى وبعدها بمئة يوم وضعت إسم مدير التحرير رؤوف شحوري على اليسار .. ولا أحد من الأعمام إعترض وسألني لماذا وضعت إسمي على الجريدة .. شعرت أن هذا حقي ولم أسأل أحداً وهم أيضا عاملوني على أنه من حقي .. سألتني عن التوجهات والسياسات المحلية وهل لمست من أصحابها موقف معين .. الحقيقة نهائية .. احضرت سمير مطاوع أردني بدون أن أسأل عنه .. وبعدما عدت إلى الكويت خطر في بالي أنه موضوع مهم .. يجب أن أنتبه له بعد مرور سنة حدثت ظروف للأخ سمير مطاوع أراد أن يستقيل وكان في منصب مدير عام .. فإجتمع الأعمام وطلبوا مدير عام.. فقلت من الداخل أو من خارج الكويت قالوا نفضل من لبنان .. اقترحت عليهم ثلاثة أسماء حقيقة بيني وبين نفسي وجدت أن من يستحق أن يكون إسمه بالجريدة هو رياض نجيب الريس . إبن صاحب الجريدة التي تحمل

إسم أبيه .. وصحفي آخر وصاحب شخصية وطنية هو أسعد المقدم أيضا كان لدي معرفة معه وإعجاب لكن أقرب الناس إلي هو ذوالفقار قبيسي .. وكنت أتمنى بداخلي أن يكون ذوالفقار لأن حضوره جميل وشخصية جميلة وروحه مرحة .. وإنسان لديه ثقافة عالية ومنوعة وشاملة وبنفس الوقت إختصاصه إقتصادي وكان لديه مشروعه الخاص، أسس مجلة إسمها المصارف متخصصة بقطاع البنوك والأعمال، وكنت أستبعد أن يختاروا شخصين مدير تحرير ومدير عام أصدقاء من نفس المنطقة وهي جنوب لبنان رشحت رياض الريس ولكن عاطفتي كانت لـ قبيسي .. وإجتمعوا مع رياض الريس وكان لديه مشروعاته وطموحاته فلم يتفقوا .. و خلال الجلسات كانوا يسألونني عن علاقتي بكل واحد منهم .. وقد كنت صادقاً وأميناً مئة في المئة .. فقلت لهم أنه زميل وصديق وإبن نجيب الريس له أحقية.. وأسعد المقدم معجبين به كشاب صحفي وخبرة ، وذوالفقار يوجد علاقة شخصية ومن قريتين متقاربتين وزملاء وأصدقاء .. فقال العم بويوسف إخترنا ذو الفقار قبيسي فسألته عن سبب الإختيار .. فقال لي «هل رأيت العربات التي تجرها حصانين قويين إثنين في نفس الإتجاه في نفس القوة ، هكذا تعمل المؤسسات» .. كانوا أشخاص عمليين ليس لديهم عقد .. وبعد سنوات كنا قطعنا مسافات كبيرة وتقدمت القبس وأصبحت مؤسسة راسخة .. فإقترحت أن نصدر القبس العربي والدولي ..كانوا منفتحين على أي إقتراح .. وتم تكليف ذوالفقار لعمل دراسة عن القبس الدولي .. فعمل دراسة جدوى ودراسة مالية ... وجدوا فارق كبير بين تقديراتهم وتقديرات المدير العام.. مما دعاهم لصرف النظر عن المقترح.. وقد علمت من خلال العم بويوسف أنهم لايريدون هذا المشروع..

فقال لي أن إختلاف التقديرات تكون بحدود 10% وليس أكثر بكثير .. وفي البدايات القبس.. تأسست على دراسات وقد أطلعتك على السياسات التي إعتمدناها

وكيف جربوني خطيا (وثائق) قمت بدراسة نشأة وتطور الصحافة الكويتية ومعلومات عن جريدة «الرأي العام» وجريدة «السياسة» وقائمة بالمجلات التي كانت تصدر وطاقم العمل الذي جمعته على عجل ولم يكن هناك من لديه هذه الخلفية المهنية منهم من عمل في الكويت ومنهم من لم يكن لديه عمل في لبنان ... فكان التركيز الأساسي على العمل الأساسي معهم .. لذلك كان إجتماع التحرير اليومي وكنت أنت (يقصد أسمي المتواضع حمزة عليان) من يعد التقرير اليومي وبماذا انفردت به القبس وما فاتنا.. من الأشياء التي كنت أقولها لزملائي الذين جمعتهم على عجل علامات الترقيم .. أنت تتكلم بلغة عربية لها قواعد بالصرف والنحو وفيها فعل وفاعل وصفه إلى آخره .. واللغة من 22 حرفاً فقلت لهم أن اللغة بها أكثر من 22 حرفاً ووزعت عليهم ورقة فيها علامات الترقيم وماذا تعني وأمثلة أخرى .. لأنه كان شيء أساسي في العمل الكتابي .. وهي عملية مدروسة وليست محض صدفة ..

• قلت لي أنك أخذت مسار المدارء العامين ؟

- كان هناك مدير تحرير ، أول مؤسس له كيانه الخاص عمل كل شيء من الفاصله إلى النقطة النهائية ... وَّثق المراحل بدقة.. وكل واحد أضاف لهذه الجريدة من خبرته وإبداعه بدون أدنى شك .. ولكنهم ليسوا بهذا التسلسل .. التسلسل فيه الأعمام وفيه رؤوف شحوري هؤلاء المؤسسيس إستعانوا بمؤسس تقني صحفي وبعدها إنتهت هذه المرحلة .. لذلك أنا أمسك الخط لأعطي الحق حقه..

• استكمالا للكلام الذي سبق وقلته لنتحدث عن مرحلة ما قبل الصدور؟

- قبل تأسيس القبس إطلعت على واقع الصحافة في الكويت وكانوا جريدتين فقط .. فوجدت أنه ينطبق عليهم المثل «إنجليزي أميركاني على مستوى صغير».. والأنسب للقبس أن يكون التفكير على مستوى أكبر .. بالإنجليزي يقولون (THING BIG) سوف ترى بالمراحل القادمة أنه فعلا كان كذلك .. ثاني ملاحظة أنه بمراجعتي للوثائق .. ومن خلال الذاكرة .. كل تفصيل تم درسه بدقة .. ولم يكن هناك أي مجال للارتجال .. والشيء الذي لم ينجح من أول مرة أعيد عمله ثاني مرة وثالث وسوف أعطيك أمثلة.. تلقيت أفكار من عدة جهات .. ومن الأعمام.. ولكن وضعت مخطط العمل وديناميةالعمل بأي إتجاه نسير واسلوب العمل .. وكان لا يوجد وقت لعمل إستطلاع لرأي علمي .. للواقع الديمغرافي في الكويت .. فقط من خلال الأحاديث والأسئلة والعارفين بأوضاع الكويت من الأعمام وزملائي في العمل الذين سبقوني في الكويت وعرفوها .. من هو القارئ الأساسي .. وكان الكويتي والخليجي.. والجالية الفلسطينية الكبيرة.. وهي جالية قلقة على الحياة والمصير.. وعادة القلق الوطني ينمي حب الاستطلاع .. يعني القراءة .. وكان يجب أن نكسب هذه النقطة أيضا.. والجالية المصرية كبيرة والقارئ المصري عموما يميل ويفضل أن يطّلع على أخبار من مصادر مصرية .. وكانت فكرة كيفية جذب القارئ المصري .. منها عمل لقاءات وقضايا وحوارات مع شخصيات مصرية كبيرة مثل السادات .. وجالية لبنانية وسورية.. وهؤلاء قراء بحد ذاتهم وهذا هو الانطباع الذي بدأنا به في تلك الفترة.. وسوف نبدأ بالأهم .. في مرحلة التأسيس تكلمنا لغاية الآن عن طرفين .. طرف المؤسسين الخمسة... الطرف الثاني المؤسس الصحفي المهني والتقني.. الذي هو رؤوف شحوري .. وأرجو أن تنسب الكلام الذي سوف أقوله .. الجندي المجهول بمرحلة التأسيس هو إنسان إسمه ماجد جمال الدين.. وهو أول من قام بخطى تنفيذية لتأسيس القبس..

وليس فقط إقترح أسماء الصحف.. ولكنه ساهم بالمشاورات من أين نحضر من مصر أو لبنان أو سوريا. وهو كان يميل أن يكون من لبنان .. وهو كمواطن سوري كان لديه فكرة عن الصحافة السورية ... وهو أول من إتصل بي للمفاوضات ونسق حضوري للكويت والترتيبات.. وعندما وقعنا العقد وعدت إلى بيروت وبدأ التنفيذ .. وضعت أفكار في هذه المرحلة توليت الجانب الإداري .. كل ما يتعلق بالجانب الإداري كان مع ماجد جمال الدين وكان هو يباشر أمر ما وأنا أكمله.. أو أباشر أنا شيئا ما وهو يكمله.. وكان إنسان متعاون منفتح مذهل ..

• لم تكن بعد أحضرت مدير عام ؟

- المدير العام الفعلي في تلك المرحلة كان هو ماجد جمال الدين هو الذي أحضرني .. النقطة المهمة أن معظم عمليات التأسيس والاتفاقات جرت خلال شهر واحد وهو الأخير من 1971 كل هذه العمليات تمت خلال هذا الشهر .. وكانت الفكرة الأساسية أن الطباعة ستكون في مطبعة «مقهوي» ثم انتقلت الفكرة لبناء دار وشراء مطابع إلى آخره ..
الأمور سارت بهذا الطريق منذ البدايات .. بحثنا ما هي المطبعة التي سوف نحضرها وأنا إستشرت نصري إسطفان مدير المطابع بدار الصياد نصحني ب عشرين وخمسة وعشرين صفحة .. تمت الموافقة من مجلس الإدارة على هذا الإقتراح .. وماجد عرفني على وكيل مطابع «غوس» في الكويت وهو أنطوان قرق وبحثت معه الموضوع واستمرينا به .. فكرنا أن نعمل تعاون بين القبس التي لم تصدر بعد مع أهم صحيفتين في العالم العربي .. الأهرام في مصر والنهار في بيروت .. أرسلنا مراسلات وتقرير للمباحثات مع غسان تويني قام بها ماجد وبعدها ذهب إلى مصر ليمهد للإتفاقات .. أنظر كيف كان مستوى التعاون والتفكير بقضايا كبرى .. أن نأخذ مقابلات مهمة مع أنور السادات مثلاً ومن الأفكار التي كانت مطروحة شراء مذكرات يوسف بيدس مؤسس بنك أنترا .. مقال هيكل الأسبوعي .. مذكرات عبدالحميد

السراج .. وأيضا في هذا الشهر وقعنا إتفاقات مع وكالات أنباء مثل AP و رويترز و AFP وكالة التحقيقات الصحفية في بيروت صاحبها علي جمال الدين من الجنسية المصرية .. لا توجد قرابة مع ماجد جمال الدين هكذا ترى أن العالم العربي عائلة واحدة ... وكان الهم الأساسي «الماكيت» .. إتصلت بشركة إنترفاكس مديرها سمير فارس رشح لي رأفت بحيري وكان مصمم إعلان معروف وهو الذي صمم جريدة الجريدة اللبنانية مع جورج نقاش .. وهو الذي صمم شعار القبس ..

• تقصد أن من صمم شعار القبس هو رأفت بحيري؟

- كان مكلفاً بتصميم «ماكيت» القبس واللوغو .. أنظر كم نموذج تم عمله (21 نموذج) .. أعطاني رأفت البحيري الماكيت ولم أكن راضٍ عنها.. وكانت صدمة حقيقية وكانت بيني وبين إنترفاكس رسائل ..ثم رفضتها كليا ثم تعاونت مع جوزيف عون و جان بلطه .. حتى عملنا الصيغة النهائية ..

• يعني كان هناك ثلاثة أشخاص شاركوا في وضع الماكيت ؟

- لا تم تغيير الماكيت عدة مرات حتى إستقريت على واحدة .. بالتعاون معهما .. بدأنا أواخر ديسمبر 1971، عدت إلى بيروت 10 /11 /1971 وقدمت إستقالتي من الأنوار وبدأت بالإتصالات الإدارية والتحريرية ورجعت إلى الكويت في 1972/1/4للبدء في العمل .. وإبتداءا من 1972/2/12 باشرنا طباعة أعداد الصفر في مطبعة مقهوي ..

• قبل الصدور بحوالي عشرة أيام تقريبا ؟

- نعم .. بمرحلة الصفر .. بمرحلة التأسيس طلبنا من مقهوي تعزيز إمكانات المطابع لديه وعمل إضافة لتلبية متطلبات القبس أحضرت معي أشخاص من بيروت وكان معي أشخاص من الكويت ومجموع الجهاز 22 محرراً متفرغاً و 18 موظفاً إدارياً .. وفي هذه السنة بوشر ببناء دار القبس في منطقة الشويخ وهي

من تصميم المهندس فريد خورشيد.

• كنت تتحدث عن طلب الإضافات من مطابع مقهوي وأول عدد قمتم بإصداره.

- نعم إضافات فنية لتلبية متطلبات القبس .. تجاوبوا معنا.. تم تعيين الأستاذ جاسم أحمد النصف رئيس التحرير إعتبارا من 1972/2/15 والقرار تم رفعه من العم بويوسف رحمه الله .. المهم كان مانشيت أول عدد .. بعد الدراسة في ذلك الوقت وجدنا أن أحداث القضية الفلسطينية وكان أبوعمار لا يزال متخفٍ .. فقررت أن يكون المانشيت عن أبوعمار وطلبت من الأعمام رسالة منهم موجهة إلى أبوعمار لأنه يعلم ما قدّموه للقضية الفلسطينية.. سألت الزملاء من يريد أن يذهب لإجراء المقابلة معه .. فتقدم خليل بيضون وقدم أسباب أن لديه إتصالات ومعارف توصله إليه .. ذهب وغاب فترة وإنقطعت أخباره مما سبب القلق لدينا .. حتى ظهر قبل عدة أيام من الصدور ..
.. والرسالة وقعها العم عبدالعزيز الصقر وهي ليست طويلة سوف أقرأها لك ..

حضرة المناضل أبوعمار المحترم ..
أبعث إليك برسالتي هذه راجيا أن تصلك وأنت موفور الصحة والعافية بعون الله ورعايته ..
بعد الحادثة المؤسفة التي تعرضتم لها على طريق طرابلس وأقلقت خواطرنا جميعا وبعد،،
إننا نرصد عن بعد بإهتمام منك التطورات الحادة التي تمر بها قضيتنا الكبرى في هذه المرحلة الإستثنائية الصعبة في تاريخنا المعاصر وكنا نتابع جهودكم الكبيرة في مواجهة المسؤوليات المتعاظمة والملقاه على عاتقكم لمقاومة العدوان الصهيوني ومخططاته ،، ويسرنا إبلاغكم في هذه المناسبة بأننا أنجزنا ترتيبات تأسيس جريدة القبس اليومية السياسية التي ستصدر في الكويت في الأسبوع الأخير من شهر فبراير الجاري .. بالتعاون مع فريق من إخواننا في الكويت .. ممن تعرفون

ماضيهم الناصع في حقل الخدمة الوطنية وقد جندنا في القبس نخبة من العاملين في ميدان الصحافة العربية .. وقد أوفدنا إليكم الأستاذ خليل بيضون من محرري القبس حاملا هذه الرسالة على أمل إجراء حوار صحافي معكم لنشره في العدد الأول مساهمة منا ولو يسيره لتعزيز مسيرة النضال والتحرير في هذه الحقبة التي تحفل بكثير من التشويش وعلى أمل تسهيل مهمة موفدنا إليكم .. نرجو لكم المزيد من الإنتصارات في كفاحكم البطولي ضد العدو المحتل ودمتم ذخرا لقضيتنا الكبرى ..

التوقيع العم عبدالعزيز الصقر ..

وكتاب إعتماد موقع من شركة القبس للصحافة والطباعة والنشر باسم محمد يوسف النصف ..

تنتدب جريدة القبس الكويتية أحد المحررين الأستاذ خليل بيضون للسفر إلى بيروت وتفوضه إجراء الاتصالات اللازمة لمقابلة الأخ المناضل ياسر عرفات .. لإجراء حديث صحافي معه .. وسينشر هذا الحديث في العدد الأول في صحيفة القبس في الأسبوع الأخير من شهر فبراير ..

• في نفس السنة كان مشروع المبنى والتفكير بماكينة الطباعة ماذا يعني ذلك ؟

- سوف أقرأ لك هذه الفقرة رسالة موجه مني إلى الأستاذ سمير فارس شركة إنترفاكس 1972/09/03 ..لعلك تتسائل معي عن الدافع لهذه الرسالة وأعتقد أن الدافع الحقيقي هو شعوري بأن المشروع كبر كثيرا وبسرعة إذ لم أعايش وضعا مماثلا في أي صحيفة من الصحف اللبنانية .. فهل تعرف مثلاً جريدة تأسست و إشترت مطابعها الخاصة وتعد لبناء دارها الجديدة وتستعد لشراء المطابع التجارية وكل ذلك في عام واحد..

«مسيو قبيسي» جمع بين الصحافة والإدارة

شخصية مختلفة تلك التي تولّت مهام المدير العام في القبس, فقد كان يجمع الحس الصحفي بكونه متخصصاً في الاقتصاد وصاحب مطبوعة تحمل إسم «المصارف» قبل أن يأتي إلى الكويت، إلى جانب دراسته الجامعية وإجادته اللغة الإنكليزية وممارسته لأعمال إدارية ...

«ذو الإفقار» وهو الأسم الذي أطلقه عليه الأستاذ أحمد الجارالله عميد الصحافة وصاحب جريدة «السياسة» له باع طويل في عالم المال والأعمال إضافة إلى مجموعة إصدارات منها كتاب «وطن جريح» صدر عام 1953 و «شبابيك مفتوحة» و»طريق في المدينة» و»دكاني لبيع البشر» و»الردع المصرفي في لبنان» وغيرها مما خرج الى النور أثناء عمله في القبس أو بعدها.

ذو الفقار قبيسي إستقال من منصبه كمدير عام سنة 1979 وكان اسمه بالفعل يوضع بالصفحة الأخيرة مع التعريف بالصحيفة وعنوانها والسبب يعود إلى أنه فوجئ بعد عودته من اجازته السنوية أن المدير المالي والذي كان على وفاق تام مع رئيس التحرير، دخل عليه وأبلغه أن مشروع دار النشر الذي أعده وتبناه السيد ذو الفقار القبيسي سيتسبب بخسائر مالية كبيرة، فما كان منه إلى أن ألغى القسم ! بعدما كان قبيسي تعاقد مع دكاترة بالجامعة وباحثين ... عندها قرر تقديم استقالته فوراً ولم يتراجع عنها.

التقيته عام 2019 في مقهي «الهورس شو» مدخل شارع الحمراء في بيروت وتواعدنا على تسجيل حديث معه يسرد فيه تجربته في القبس يقول الأستاذ قبيسي والذي لازال الى العام 2021 يكتب في الصحافة اللبنانية ويصدر مجلته الاقتصادية ويعكف على تأليف الكتب ، وقد توفاه الله في ا لعام 2022.

أول قرار أقدم عليه الإستغناء عن عدد كبير من الموظفين فرؤيته كانت من الصعب أن يقاتل بهذا الجيش من الموظفين لأنه لن يصل الى نتيجة ولذلك كان لابد من سلوك هذا الخيار.

وعندما إلتقي رئيس التحرير الأستاذ جاسم النصف بعد أن رشحه نقيب الصحافة اللبنانية آنذاك رياض طه والتقى به أبدى رغبته بشخص يجمع بين الإدارة والصحافة .. ووجد فيه تلك الصفات، فقد تعلم الصحافة من القرآن الكريم ومن سائق التاكسي ثم صقلها بالحياة العملية والدراسة الأكاديمية وعلى يد اللورد طومسون والذي أخذ منه فعلياً كيف يكتب الخبر مختصراً وعلى طريقة صحيفة «الديلي ميرور» البريطانية.

وجوده في القبس أدخل مناخاً جديداً أسماه «صناعة الصحافة» والمنبثقة من خبرة عشر سنوات في القطاع المصرفي اللبناني «والإيجاز» في كتابة الخبر، وانسحب هذا التوجه على جهاز التحرير وأخذه لقرارات قاسية.

انضم إلى أسرة «القبس» منذ العام 1972 بعد سمير مطاوع وكانت الصحيفة لازالت في شارع فهد السالم، استطاع أن يحقق نجاحاً ملحوظاً في مهمته الأولى، خاصة كإيراد مالي من الإعلان، يروي هنا قصة حصلت معه .

كانت إحدى شركات السيارات الكبرى بل أكبر الشركات في الكويت تنأى بنفسها عن نشر إعلانات في القبس، تصادف أن سعر الدولار هبط في حينه، أي أوائل السبعينات، فما كان منه الا أن بادر بالاتصال بصاحب الشركة ليسأله عن تأثير انخفاض سعر الدولار على أسعار السيارات في السوق الكويتي قام على الفور بنشر المقابلة مع إشارة لها بالصفحة الأولى وبشكل ملفت بعدها عادت الأمور إلى مجراها الطبيعي وصارت الشركة وغيرها من أوائل الذين ينشرون اعلاناتهم في القبس ...

شجع على الاستعانة بدراسات إحصائية انطلاقا من معرفته بالعلاقة بين «مانشيت» الصحيفة وبين التوزيع الذي كان يعتمد على الباعة المتجولين في الشوارع وعلى المكتبات التجارية وبالتالي الاشتراكات.

وفي الفترة من العام 1973 وإلى العام 1979 تمكن السيد قبيسي والذي يصف نفسه بأنه إبن «النهار» و»الصياد»و»الحياة» و»الديلي ميرور» في لندن من أن يجعل القبس في طليعة الصحف بفضل العلاقة التي هندسها بين العمل الصحفي والتوزيع والإعلان والتزاوج الذي أقامه وبالتنسيق

مع تلك الإدارات والذي جاء في أعقاب تركيب ماكينة الطباعة العملاقة من نوع «كومباكتا» بحيث وصلت كمية الطبع إلى أرقام قياسية تجاوزت الرقم 110 آلاف نسخة باليوم، وبات بمقدور الصحيفة أن تنفرد بنشر أخبار تحدث بين الساعة الحادية عشر ليلاً والثالثة من فجر اليوم التالي، وهذا بفضل «الإستقلالية» التي تحققت بتركيب ماكينة طباعة، لايوجد مثيل لها في المنطقة سوى بصحيفة «كيهان» الإيرانية أيام شاه إيران.

فقد رسخ السيد قبيسي قاعدة ملزمة في عملية التوزيع وهي أن الجريدة الأولى لابد وأن توزع ما نسبته 10% من عدد سكان البلد الذي تطبع فيه وتصدر منه، كما يروي فتوزيع القبس صار يوازي توزيع معظم الصحف اليومية آنذاك.

عند تلك المرحلة يتذكر حادثة مفاجئة حصلت معه، وهي توقف ماكينة الطباعة «كومباكتا» عن العمل، تبين بعد الفحص أنها بحاجة إلى «قطع غيار» غير موجودة بالكويت بالرغم من وجود رجل ألماني متخصص بالطباعة الذي كان حاضراً ،فماذا يفعل؟ لجأ الى مجلة متخصصة في المطابع كان مشتركاً بها، وراح يراجع الكاتالوج الخاص بها، وجد إعلان بريطاني يبيع قطع الغيار التي يبحث عنها إتصل بهم لتأمين القطعة، تواصل مع مهندس ألماني استطاع أن يحوز عليها ، وتصل مطار الكويت الساعة الواحدة ليلاً، ذهب الطباع أمين أيوب إلى المطار لاستلامها وتحقق له ما أراد، صدرت الصحيفة في اليوم التالي كالمعتاد. إرتبط بعلاقة مباشرة بالعم محمد يوسف النصف، «صاحب الأفق الواسع» والذي يدين له بالفضل لمساعدته بحل المشاكل التي كانت تواجهه، وكذلك مع العم عبدالعزيز الشايع الذي أدار المفاوضات هو ومدير التحرير لشراء ماكينة الطباعة.

أوصل القبس إلى مستويات متقدمة من حيث الأداء والإنتاجية خاصة في المطابع والإدارة والإعلان وكانت تضاهي مستويات دول أوروبية.

أجرت معه مجلة «التايم» مقابلة قال فيها أنه يقوم بفحص نسبة الأوكسجين بالتحرير والإدارة بشكل دائم وشعاره «دع الزهور تتفتح».

حديث المطابع والعصر الذهبي
مع عبدالله برهم

كنت على موعد مع الصديق عبدالله الكوبري في مكتبه بإحدى ضواحي مدينة عمان الأردنية وهو الذي أمضى ردحاً من الزمن في الكويت يدير مطبعة «الجذور» وكان ذلك في شهر أغسطس 2019، ما أن دخلت مبني المطبعة التي يملكها وعندما وطأت قدماي الباب إذ برجل يقف أمامي للسلام، تأملت بوجهه وقلت له .. أنت عبدالله برهم .. أجاب نعم وكنا نعد لك المفاجأة ...

جلسنا نتحدث طويلا عن العصر الذهبي الذي عاشه الفلسطينيون والأردنيون في الكويت قبل أن يغزوها صدام حسين عام 1990 وتشهد هجرة الفلسطينيين منها.

سرد لي قصة منذ اليوم الأول لعمله عام 1962 في مطبعة مقهوي والتي كانت تطبع فيها مجلة غرفة التجارة والصناعة ويشرف عليها ومن هنا نشأت علاقة بينه وبين ماجد جمال الدين وهيثم الملوحي.

بعد عشر سنوات إستدعي الى مبني غرفة التجارة لمقابلة العم محمد يوسف النصف وماجد جمال الدين وأبلغوه بحصولهم على الترخيص لإصدار صحيفة وكان ذلك في فبراير 1972 دون أن يختاروا لها اسم بعد، ووجهوا اليه سؤالاً: هل لديكم إمكانية لطباعة جريدة بـ 12 أو 16 صفحة، أجاب بنعم ، اذا أضيفت وحدة الى ماكينة الطباعة وبالفعل حصل لقاء مع إبراهيم المقهوي وتمت الموافقة.

بعد أن بادروا بشراء ماكينة «إنترتيب» إضافية وكذلك ماكينة طباعة وتبادلوا عقداً لمدة سنتين من تاريخه.

يقول السيد برهم «بدأنا التحضير للعدد صفر، وأعددت برنامج للطباعة على «sheet» وأحضرت عشرين عاملاً لهذا الغرض» وانطلقت الطباعة اليومية وكان واضحاً الفرق بينها وبين «الرأي العام» من خلال نوعية

الورق ونزولها إلى الأسواق في معظم الأحيان قبل غيرها من الصحف .
بعدها تم إبلاغه عن طريق العم عبدالعزيز الشايع والعم جاسم الصقر ان الإختيار وقع عليه، ليقوم على الفور بوضع ركائز للبنية التحتية آخذين بعين الإعتبار التوسع في المستقبل وفي نهاية العام 1973 تم توظيف أمين أيوب مع مجموعة من الفنيين لتشغيل مكائن الطباعة.
سار عبدالله برهم في خطين، تأمين مكائن لطباعة الجريدة وأخرى للعمل التجاري بماكينة «غوس» أربع وحدات مع فولدر للإستفادة منه في طباعة الكتب المدرسية إضافة لذلك تم شراء ماكينة «رولاند» و»هيدلبيرغ» .
في الأول من شهر يناير عام 1974 كان عبدالله برهم مديراً للمطابع الصحفية والتجارية بعد إجتياز المرحلة الأولى والتي تطلبت توسعة جديدة بشراء وحدة خامسة لماكينة الطباعة.
منتصف العام 1975 إتجه التفكير كلية نحو شراء آلة طباعية متطورة لكنه مع نهاية العام غادر «القبس» ثم عاد إليها بتاريخ الأول من أبريل 1984 وبعهد رئيس التحرير الأستاذ محمد جاسم الصقر والمدير العام أحمد النجدي ليبدأ مرحلة طموحه بخلاف ما كانت عليه .
من المهمات التي كلف بها بعد أشهر من عودته، أن يستطلع إمكانية طباعة «القبس الدولي» في لندن، وشرع بإتخاذ الترتيبات اللازمة وشراء أجهزة لإستقبال وإرسال الصفحات من الكويت الى لندن وبالعكس، فالجريدة تحرر وتخرج وترسل من الكويت الى مركز الطبع في لندن لدى مطبعة يملكها رجل الأعمال المصري مودي حكيم، واتخذ كافة الاحتياطات بحيث يتم تأمين الطباعة دون توقف، تطورت «القبس الدولي» وصارت تطبع في مرسيليا وباريس وتوزع في شمال أفريقيا عامي 1985 و 1986 .
وضع برهم خطة عملية تلزمه بمطبعة تجارية وهذا ما دفعه الى التعاقد على شراء ماكينتين طباعتين أربع ألوان وتجليد آلي وسكنرات فرز ألوان، بحيث باتت «القبس الأم» تطبع صفحاتها ملونة مع الإعلانات والملاحق اليومية.

أضاف الى المطبعة التجارية معدات ومنتجات جديدة منها طباعة ورق الكمبيوتر لتلبية احتياجات السوق والتجليد الكرتوني الآلي وطباعة أدوات القرطاسية والمصاحف وهذا كله تم توظيفه وتشغيله في مطابع «صبحان» التجارية خلال عامي 1985 و 1986 ومع نهاية 1987 تم البناء وبدأ التشغيل فعليا 1988 .

توسعت الأعمال التجارية الطباعية بعمل عقود مع السوق الخليجي والحصول على مناقصات كتب مدرسية من العراق واليمن .

في تلك السنوات الأخيرة من الثمانينات حققت المطابع التجارية أرباحاً جيدة لينتهي عمله في القبس يوم الأول من أبريل 1989 في الوقت الذي غادرها، المدير العام أحمد النجدي .

المطابع .. بداية صناعة الصحافة

كان جهاز التحرير في مكان والمطبعة في مكان آخر، فقد اتخذت مكاتب لها في مبني شركة سيارات الشايع والصقر بالقرب من ساحة الصفاة، في حين كانت تطبع لدى «مطابع المقهوي التجارية» في منطقة «شرق». عام 1972 حصلت على قسيمة أرض مساحتها 4 آلاف متر مربع في منطقة الشويخ الصناعية لتبني عليها المطابع والمكاتب وتم توقيع عقد بناء الدار بين محمد يوسف النصف كرئيس لمجلس الإدارة وبين جوزيف إسكندر وفريد خورشيد ممثلي شركة الحمراء عام 1972 والأخير مصمم المبنى. وفي تلك السنة تم شراء ماكينة الطباعة من معرض «دروبا» بمدينة دوسلدروف الألمانية وهي من طراز «غوس» وسرعتها 20 ألف نسخة في الساعة وبعدد صفحات لا يتجاوز الـ 16 صفحة .. كان هذا في السنوات الخمس الأولى، جاءت المرحلة الثانية عام 1977 بعد التوقيع على بناء الدار الجديدة والمعدة لاستقبال مجمع طباعي جديد وفي أواخر عام 1978 أدخلت

المطابع العملاقة والتي تشغل مساحة طابقين من المبني الجديد والإضافي وبني خصيصاً لاستيعابها وفي مارس 1979 دخلت ماكينة الطباعة من نوع «كومباكتا» الخدمة الفعلية والتي تضم 10 وحدات سرعتها 70 ألف نسخة في الساعة..

ثم توالت عمليات شراء وحدات طباعية إضافية تخدم العمل التجاري وزيادة عدد الوحدات في ماكينة الـ«كومباكتا» لتصبح 12 وحدة مع أجهزة «سكانر» لفرز الألوان.

عام 1984 دخلت القبس في عالم تكنولوجيا الصحافة استبدلت مكائن «الانترتيب» أي صف الأحرف بالرصاص ، بالصف الإلكتروني عبر شاشة الكمبيوتر، بعد أن تعاقدت على شراء أجهزة إدخال المعلومات مزودة بشاشات تلفزيونية وداخل كل جهاز ديسك ممغنط سعته 100 ألف حرف .

أواخر الثمانينات أضافت خطاً طباعياً جديداً في صبحان وتشغيل معدات مخصصة لطباعة الكتب المدرسية والقرآن الكريم وعمليات التجليد الفني.

وهذا الخط الطباعي الجديد استلزم الحصول على قسيمة وترخيص صناعي ودخلت هذه المطابع في منافسة حامية بسوق الطباعة ..

سيد حافظ «موسوعة» القبس

خلال تواجدي في القبس (1976-2019) كنت حريصاً على الإلتقاء بالزملاء الذين عاصروا المراحل الأولى من تاريخ الصحيفة فلديهم بحكم المعايشة معلومات لا تتوفر عند الآخرين، خصوصا من كانوا على مسافة قريبة من أصحاب القرار.

سيد حافظ واحد من هؤلاء الذين التحقوا بالقبس منذ الأيام الأولى للصدور، إي منذ العام 1972 واستمر في قسم العلاقات العامة والخدمات حتي العام 2020 أي أنه لم يغادر الجريدة طوال 48 عاماً وعمره الوظيفي من عمر الصحيفة.

ذات يوم جلس في مكتبي وكان ذلك في شهر يونيو عام 2019 ورحت أسأله عن رحلته تلك مبتسماً بقوله «أنا الوحيد الذي يحتفظ بمعلومات خاصة جداً» .

وجهت إليه عدة أسئلة كانت على الشكل التالي:

• مدراء المطابع الذين توالوا على القبس من بداية التأسيس من هم ؟

- عبدالله برهم و محمد فايز وانتقلنا الى مطبعة الشويخ اخر 1973 وأول مدير

مطبعة عندما انتقلنا الى الشويخ كان محمد فايز فلسطيني ثم عبدالله برهم وبعده هانز صلاحي لبناني وعاد مرة أخرى عبدالله برهم حتى الغزو وبعد التحرير جاء عمر من الجنسية الفلسطينية وبعده جاء توماس الهندي وبعده فادي أبو شاهين.

• ماذا عن المدراء العامين؟

- سمير مطاوع أردني وعمل فترة بسيطة أقل من سنة واحدة و بعده جاء

ذوالفقار قبيسي وبعد ذلك جاء احمد النجدي و بعده وفا الشهابي ثم فوزان الفارس منذ الغزو ولغاية 2019 .

• الماكينة الخاصة بطباعة الجريدة من تولي تشغيلها او المسؤول عنها؟

- اول ماكينة كانت من نوع «غوس» جاءت عام 1977 وبعدها ماكينة «الكومباكتا « و بقيت حتي الغزو وسرقت من قبل العراقيين و أول من عمل على الماكينة كان أمين أيوب عمل على ماكينة ال «غوس» و ماكينة «كومباكتا» وكان مساعده هادي مومنه ثم جاء علي برجي عام 1976 وكان معه فتحي وكانوا صغار وتعلموا في القبس وبقي البرجي لغاية 2019 وإما فتحي فقد ذهب بعد الغزو.

• متي بدأت أنت العمل مع القبس وأين كانت ومن كان فيها؟

- بدأت العمل منذ التأسيس1972/1/1 في شقة بعمارة الشايع بالقرب من ساحة الصفاة فوق معرض مازدا واستمرينا هناك الى أواخر سنة 1973 .

• هذه الفترة كنتم في هذه الشقه وتطبعون عند مطبعة المقهوي ؟؟

- عدد العاملين في القبس لم يزد على 16 فرد بالإدارة والتحرير ورئيس التحرير والمدير العام.

• من كان رئيس مجلس الإدارة ومن هم الملاك؟

- كان محمد يوسف النصف رئيس مجلس الإدارة وهو واحد من خمسة كانوا معه هم: العم عبدالعزيز الشايع و العم محمد عبدالرحمن البحر والعم جاسم حمد الصقر و العم محمد عبدالمحسن الخرافي .

• صالة التحرير التي تتحدث عنها كل الذين كانوا يعملون بها 16 شخص ماذا كان دورك ومهمتك ؟

- كان دوري بالدرجة الأولى تولى شؤون الموظفين وتحصيل الأموال من التوزيع
والاعلانات.

• هل تتذكر أول ليلة صدر بها أول عدد للقبس؟
- كان الجميع يسهرون في مطبعة المقهوي حتى يتصفحوا أول عدد يطبع وكان جاسم النصف ورؤوف شحوري وسمير مطاوع وهؤلاء كانوا ينتظرون الى ان يخرج العدد من المطبعة.

• بداية الصدور هل تتذكر عدد النسخ التي كانت تطبع؟
- 10 ألاف نسخة

• سنة 1972 ما هي الصحف التي كانت موجودة غير القبس؟
- «السياسة» و«الرأي العام» و«الوطن» فقط.

• حدثنا عن بداية التفكير بمبني جديد للقبس؟
- أثناء ما كنا نعمل هناك كان مبني الشويخ قيد الإنشاء والمقاول شركة الحمراء وكان العم محمد يوسف النصف يشرف بنفسه على البناء والسرداب.

• هل كنت ترافقه؟
- بعض الأوقات كنت أرافقه بسيارتي وكان ذلك وقت الحر الشديد وكنت أخبره أن
سيارتي غير مكيفه فيقول لي «تفتح الشباك» وكنت أقول له ان سيارتي صغيرة فيقول لي «ولكن سوف توصلنا الى الشويخ» فأقول له «انشاء الله» ونذهب ويشرف على كل شيء .

• في تلك الفترة بين عامي 1972 و 1973 هل حصلت تغيرات على مستوى الجريدة وعدد الأشخاص الذين عملوا بالتحرير والإدارة ؟

- عندما انتقلنا الى الشويخ أواخر 1973 بدأ مدير التحرير بإحضار واعداد فريق كامل وتنظيمه للعمل من محررين محليين وخليجيين و مراسلين خارج الكويت و أيضا الأرشيف وكل ما يتعلق بالتحرير و كذلك المدير العام ذوالفقار قبيسي بدأ بتنظيم الإدارة وقسم المحاسبة.

• اجتماعات مجلس إدارة أين كانت تتم ؟

- كانوا يجتمعون مرة واحدة في السنة في مبني القبس وكان يباشر كل الأعمال العم

محمد يوسف النصف في كل يوم أثنين كان يأتي ويعطي توجيهات للتحرير و الإدارة ويشرف على سير العمل بنفسه وأي ملاحظات كان هو من يتولى معالجتها مثل أمور الموظفين والتحرير والتوجهات السياسة .

أول مرحلة في البناء كانت لصالة التحرير وكانت المطابع موجودة في السرداب ومخصصة للأعمال التجارية فقط إلى جانب ماكينة الـ «غوس» وكانوا يقومون بطباعة الصحيفة على ماكينة الـ» غوس» في المطبعة التجارية والمبني الجديد بني عام 1978 فقد ضَّم ماكينة الـ «كومباكتا» والمطابع التجارية، بعدما جرى إنشاء أدوار خاصة تجمع الماكينة العملاقة ... بعد الإنتهاء من هذه الورشة خصص مساحة للرياضة والتسويق والإدارة وكانوا جميعا في طابق واحد أما الطابق الثاني فكان عبارة عن مخزن للصحف المرتجعة وبقينا سنتين على هذه الحال .

• عملت بالقبس منذ 1/1/ 1972 ..

- نعم كنت أنا ومدام أمينة سكرتيرة رئيس التحرير (زوجته) والإدارة وعمر عوده كان

المحاسب ومعه شاب اسمه نافع عبده وكان عمر جوهري أمين الصندوق.

• مدراء الإعلان حدثنا عنهم ؟

كان مدير الإعلان شخص سوري لا اذكر اسمه وكان معنا في التحرير أشخاص من غرفة التجارة والصناعة عملوا معنا وجاء بعد السوري داوود حمدان وبعده صابر أمين وبقي الى الغزو وبعد الغزو أديب باقي وبعده طارق سلطان وبعده أندريه كرم وبعده ريمون صوما . وكان أيضا هناك بسام العسلي في التحرير كان عقيد في الجيش السوري وماجد جمال الدين عمل لمدة سنة في القبس سنة 1972 منذ التأسيس.

• عدد لنا مدراء التحرير منذ التأسيس..

- رؤوف شحوري وجاء بعده رفله خرياطي وفادي الحسيني (قائم بأعمال مدير التحرير) وبعد التحرير 1991 جاء أحمد طقشه ومن ثم جاسم أشكناني (بالوكالة) ثم بشارة شربل و أخيراً منير يونس .

•حاول ان تسترجع شيء عن تاريخ القبس..

- كانت القبس منافسة «للرأي العام» و «السياسة» بطريقة ملحوظة و «الوطن» صدرت قبل «الأنباء» و أخذوا منا نصف المحررين كان هناك شخص أسمه «سامي صقر» كان في قسم الإعلان وكان نشطاً جدا قبل الغزو قبل صابر أمين ثم ذهب الى «الوطن» كمدير لقسم الإعلان .

كانت القبس منافسة والكل يشهد لها وكنا نطبع أكبر عدد من الصحف أكثر من الرأي العام والسياسة بشهادة المراقبين.

وقد نكون نحن أول صحيفة أدخلت الألوان عام 1979 في الطباعة الملونة بعد أن قاموا بتركيب ماكينة «الكومباكتا « وكانت تطبع 70 ألف نسخة في الساعة بعد زيادة عدد الوحدات ونصف الماكينة الأخر كان يطبع مطبوعات تجارية أما المطابع في صبحان فقد بدأت سنة 1979 وكانت صبحان لتجليد الكتب الفاخرة المذهبَّة وتقريبا ربما كان ثاني عملية طباعة نقوم بها للمصحف طبعنا 100 ألف نسخة تم توزيعها على المساجد وموجوده

الى حد الآن في المساجد ومكتوب عليها طباعة القبس . أثناء الغزو هناك ماكينات سرقت وبعد سنتين فتحت مرة أخرى مشروع جديد عبارة عن عمل العلب الكرتونية الخاصة بالمطاعم والأدوية وجميع مقاسات العلب والطباعة الخاصة بها .

• عاصرت أيام البرقيات والفاكسات والان الانترنت أي ثلاث مراحل ؟

- بدأنا بخمس خطوط هاتف ووصلنا الى 72 خط، وأول مرحلة كانت التلكس وكنا نملك ماكينتان تلكس وماكينة تصوير كبيرة وكان التلكس يستقبل الأخبار من الخارج و اما اخبار الوكالات فتتم عن طريق «التيكرز» كنا نستخدم التلكس نستقبل ونرسل به وكان «عميد الشنطي» يعمل عليه .

كنا مجموعة في القبس عبارة عن أسرة واحدة ونبقي حتي بعد انتهاء الدوام ولا نشعر بالوقت و كنا منتجين و كنا نشعر اننا في بيتنا وولاءنا للقبس و كان المسؤولين يقدروننا وأصحاب الصحيفة أيضا ولم نكن نشعر بالتعب وكنا منتجين وسعداء .

عندما جئنا إلى الشويخ لم يكن من مباني للصحف الا «القبس» و»الرأي العام» وكان شارع كنادراي يوجد به مصنع سفن أب ومصنع المشروبات كنادراي وبناء عليه سمي شارع كنادراي وكان ما تبقي عبارة عن صحراء ولم يكن هناك شوارع او اسفلت او انارة.

• عمليا انت من 1972 الى 2019

- 47 سنة في القبس وولائي للقبس ، عندما كان العم محمد يوسف النصف رحمه الله مريضا ويعاني من التعب في المستشفى الأميري ويتلقي العلاج هنا ك

ذهبنا الى زيارته فكانت أسرته تقف الى جانبه فدخلت أنا و أمينة للسلام عليه في الغرفة وهو علي السرير وقال بصوت منخفض بعد أن أمسك يدي ونادي على جاسم النصف فقال له «طالما القبس تعمل «سيد « يعمل «

وهذه الكلمة هي من جعلت ولائي للقبس بالرغم من العروض التي قدمت لي وهذه الوصية لا أستطيع ان اخالفها وهي في ذهني الى اليوم وبعد وفاته عام 1981.

• لم يكن وقتها ابو عمر يوسف النصف؟

- بعد أن توفي العم محمد يوسف النصف وكان هو كبير العائلة تسلم مكانه «أبو عمر» ونظام مجلس الإدارة يعتمد على «الأكبر سنا هو رئيس المجلس» بعد العم محمد يوسف النصف جاء العم جاسم الصقر ثم العم عبدالعزيز الشايع ونحن في العام 2019 و بشهر يونيو فقد حل مكانه العم أبو عمر يوسف النصف كرئيس لمجلس الإدارة.

• نستعرض مدراء التوزيع في القبس من هم؟

- أولهم يوسف محمود ثم تيسير الصافوطي ثم محمد زعرور ثم فواز عابدين ثم محمد الدريني ونافع غزاوي وبعده عمر عبدالعزيز.

أسماء ومواقع

عايشت وعلى مدى أكثر من أربعة عقود شخصيات شغلت مناصب قيادية سواء من أصحابها ورؤساء التحرير الذين تناوبوا عليها أو من الذين تولوا إدارة التحرير والمطابع والإدارة العامة.

أما الذين تعاقبوا على رئاسة مجلس إدارة دار القبس للصحافة والطباعة والنشر فهم السادة التالية أسماؤهم :

- محمد يوسف النصف 1972 – 1981 .
- جاسم حمد الصقر 1981 – 1982 .
- عبدالعزيز الشايع 1982-2019 .
- يوسف محمد النصف -2019 ...

في حين أن رؤساء التحرير فكانوا على التوالي :

- جاسم أحمد النصف 1972 – 1983 .
- محمد جاسم الصقر 1983 – 1999 .
- وليد عبداللطيف النصف 1999 – ولا زال.

يليهم من حيث المهام والصلاحيات مدراء التحرير وهم :

- رؤوف شحوري 1972- 1983 .
- رفلة خرياطي 1983- 1987 .
- فادي الحسيني «قائم بأعمال مدير التحرير بالنيابة» 1987-1990.
- رفلة خرياطي 1989- 1990 .
- أحمد طقشه 1991- (نهاية 2014، بداية 2015) .
- جاسم أشكناني (بالوكالة) 2015 -2016 .
- بشارة شربل 2016-2019 .
- منير يونس 2019-2021

وفي الجانب الإداري شغل منصب المدير العام كل من السادة :

- سمير مطاوع 1972-1972 .
- ذوالفقار قبيسي 1972-1979 .
- عمر عودة (بالوكالة) 1979 – 1983 .
- أحمد النجدي 1983-1989 .
- وفا الشهابي 1989 – 1990.
- فوزان الفارس 1991-2019 .

بينما تولى إدارة المطابع في منطقتي الشويخ وصبحان كل من السادة :عبدالله برهم مرتين الأولى عام 1974 والثانية عام 1988 ، محمد الفايز ، هانز صلاحي، جورج نعوم، منذر أبوحجلة ، خميس، عمر مصطفى، أحمد الحفناوي، عبداللطيف الديب ، غوبال توماس.

تجربتي في بناء مركز المعلومات والدراسات

في اليوم الأول من دخولي مبني «القبس» الكائن في شارع الصحافة بمنطقة الشويخ، إستقبلني مدير التحرير الأستاذ رؤوف شحوري وكان ذلك يوم 1976/5/14 بعدما أنهيت عقد الاتفاق قبل وصولي إلى الكويت، قادماً من بيروت حيث كنت أعمل في صحيفة «السفير» اللبنانية طلب مني الجلوس مع الدكتور «حسنين» – نسيت اسم عائلته-، وهو أستاذ جامعي مصري يتولى إدارة قسم الأرشيف، للوقوف على الوضع القائم مشيراً إلَّي بالابتعاد عن توجيه أي أسئلة محرجة له!

بعد ساعة تقريباً من جلسة التعارف أدركت أن هذا القسم يدار بعقلية «أنا من يملك مفتاح تشغيله» فقط، يعني أشبه بصاحب دكان ...!

رجعت صباح اليوم التالي والتقيت بمدير التحرير وتوافقنا على أن نعمل «بعقلية الفريق والمؤسسة» أي أن يكون البناء والأدوات المستخدمة وفق قواعد مراكز المعلومات والأبحاث ... وكانت تلك نقطة الانطلاقة.

أولى خطوات التأسيس عام 1976 متواضعة لكنها «اللبنة» الأولى في مدماك البناء ... شرعت في تجهيز وإعداد بطاقات التكشيف اليدوية بحيث يتم تخصيص بطاقة لكل محرر وكاتب مع عنوان الموضوع ورقم الصفحة وتاريخ النشر وهو عمل يدوي .. أما في ما يخص الصور الواردة من وكالات الأنباء أو المصورين إلتزمنا بوضع ختم على كل صورة مع تعريف بالمناسبة والاسماء والتاريخ.

حاولنا «تنظيم» أدوات التوثيق الأساسية والتي توزعت على الصور وتكشيف المواد المنشورة وترتيب المعلومات حسب التسلسل الهجائي للدول مع تصنيفات موضوعية.

كان عدد العاملين في هذا القسم لا يتجاوز الإثنين وهما سيدتين مصريتين فاضلتين الأولى الآنسة ناهد دسوقي انتقلت بعدها لتصبح سكرتيرة مدير التحرير والثانية مدام إلهام صدقي.

في العام 1977 توسعنا قليلاً بالمساحة التي نشغلها وبزيادة عدد العاملين

وبدأنا بأرشفة المواد المنشورة في القبس والصحف الكويتية الأربع بإنتقاء الأهم من الموضوعات والتي تشكل مصدراً من مصادر المعلومات ، كانت الطريقة المستخدمة في حفظ واسترجاع المعلومات تعتمد بشكل كلي على أنظمة وخطط التصنيف اليدوية وطرق تقليدية بالحفظ ، ومع صعوبة هذا الوضع إتجهنا لدراسة الوسائل المتاحة لمكننة عمليات الحفظ لصفحات الجريدة وللوثائق واسترجاعها آلياً.

كنا أول صحيفة كويتية تنشئ قسماً خاصاً للميكروفيلم عام 1978 اتجهنا إلى تصوير القبس كأعداد كاملة على أفلام ميكروفيلمية قياس 35 ملم بحيث يحمل كل فيلم أعداد شهر كامل ، بعد شراء الأجهزة والمعدات وتدريب موظفين متخصصين عليها، نظراً لقيامنا بالعمليات الفنية الكاملة، وفي هذا الصدد إتخذنا قراراً بعمل نسخة إضافية عن كل فيلم بحيث يكون أحدهما للاستخدام داخل الجريدة وآخر يتم حفظه وإيداعه في «خزائن الأمانات» في بنك الكويت الوطني.

بادرنا إلى التنسيق مع مجلس التخطيط والذي كان يعمل على تصوير أعداد الصحف وحفظها بواسطة الميكروفيلم أتممنا دورة تدريبية لديهم، تواصلنا مع أصحاب الصحف الكويتية التي كانت تصدر في حينه وهي :»السياسة» و»الوطن» و»الأنباء» و»الرأي العام» للقيام بمبادلة الأفلام الميكروفيلمية بين كل صحيفة وأخرى بعد أن قدمت إقتراحاً إلى رئيس التحرير يقضي بتوجيه رسائل إلى أصحاب الصحف بغرض التعاون المشترك بعيداً عن أجواء المخاصمات والمنافسات وهذا التدبير حمى جريدة القبس من الضياع خاصة بعد أن تم نهب محتويات الصحيفة على يد الاحتلال العراقي عام 1990 . وكذلك عمل اشتراك ميكروفيلمي بالجريدة الرسمية «الكويت اليوم» والتي صدرت عام 1954 ..

استمر العمل بتصوير أعداد صحيفة «القبس» ميكروفيلمياً لغاية الأول من شهر يوليو 2007 بعد أن توفرت طريقة جديدة أكثر وضوحاً وأماناً

بواسطة جهاز «C.T.P» لحفظ وتخزين صفحات العدد اليومي كاملة .. عملياً، تلك الأفلام الميكروفيلمية جرى تحويلها الى «Digital» بحيث يسهل استخدامها ومطالعتها عند الحاجة إليها .

وباتت صفحات «القبس» منذ العام 1972 وإلى العام 2006 مصورة على أفلام ميكروفيلمية ومحولة إلى Digital بصيغة Tiff وفي العام 2006 وهي فترة الإنتقال من نظام الميكروفيلم إلى نظام الـ PDF تم الاحتفاظ بنسختين واحدة عبارة عن تصوير كامل للصفحات وأخرى لا تظهر فيها الإعلانات .

أما في الفترة الواقعة بين 2007 و 2019 أصبحت كل صفحات الجريدة مصورة (pdf) إضافة الى التسعة عشر عاماً والممتدة من 1999 إلى 2019 حفظت الصحيفة بصيغة Text .

إلى جانب الميكروفيلم استخدمنا آلية جديدة لحفظ الصور الملونة «slides» وبقياسات مختلفة وكان هذا النمط من إنتاج الصور الملونة هو الأحدث، وضعنا له بطاقات للفهرسة للوصول الى الصور المطلوبة وفي خزائن جديدة ودوارة ومتحركة.

فترة السبعينات كان العمل بحفظ واسترجاع المعلومات والصور يتم بالطريقة اليدوية، لصق القصاصات الصحفية على ورق حجم «A4» بعدها يجري تحديد مكانها بالملفات المصنفة بحسب ترتيب أسماء الدول والموضوعات العامة ووفق تصنيف عام معمول به على قاعدة رؤوس الموضوعات - «قائمة رؤوس الموضوعات للخازندار» - ومع صعوبة هذا الوضع والإستمرار فيه، ونظراً لمتطلبات عمل الصحيفة وظهور أدوات تكنولوجية جديدة، أطلقنا إسم «مركز المعلومات والدراسات» بدلاً من قسم الأرشيف، فالصفة هنا والوظيفة أشمل، تتناسب وطبيعة الدور المؤمل منه، وكنا نحاكي ما يجري في أهم المؤسسات الصحفية في العالم العربي.

جرى تنظيم هذا المركز أوائل الثمانينات وتقسيمه إلى أربع وحدات رئيسية

تضم وحدة المكتبة ووحدة الصور ووحدة المعلومات والأبحاث ووحدة الميكروفيلم والكمبيوتر، وجرى توظيف مجموعة من الأشخاص من ذوي الكفاءة والخبرة، هذه النقلة كان لها مسبباتها .... فمسمى «الأرشيف» كما نراه يعني مجموعة الوثائق العامة التي لها علاقة بأعمال أي جهاز إداري وتطلق على المكان الذي توضع وتحفظ فيه الوثائق .. إستبدلت الكلمة بمسميات أخرى على غرار قسم المعلومات الصحفية أو مراكز المعلومات والدراسات .. ومصطلح الأرشيف لا يعطي صورة واضحة لأقسام المعلومات الصحفية والتوثيق الصحفي وطبيعة المواد والمحتويات، والأهداف والخصائص المستجدة، في حين أن مراكز المعلومات الصحفية تؤدي وظائف عديدة أهمها إضافة إلى العمليات الفنية، المساهمة بإعداد وكتابة الأبحاث والتقارير ونشرها في الصحيفة . فقد تعدت صلاحيات وخصائص مراكز المعلومات الصحفية عمليات التزويد والإختيار والقص والحفظ والتكشيف وإسترجاع المعلومات وعمليات التصنيف والفهرسة إلى ما يعرف بإنتاج المعلومات وعمل الأبحاث ونشرها سواء بالصحيفة أو بإصدار الكتب أو بعمل تقارير أو بدعم المادة التحريرية (مركز المعلومات والدراسات في «الأهرام» و»النهار» و»السفير» على سبيل المثال).

إن مراكز المعلومات والدراسات الصحفية معنية بالتوثيق والفهرسة والحفظ والإسترجاع كما هي معنية بخدمات المعلومات وكتابة ونشر الأبحاث والتقارير التي تقوم بها كجزء رئيسي من أعمالها، بغرض الإستفادة من ثروة المعلومات المتوفرة لديها.

وقد أضيفت المكتبة إلى أقسام مراكز المعلومات كعنصر رئيسي ورافد للمعلومات بينما لم تكن كذلك في عصر الأرشيف الصحفي. بعد أن تغير مسمى أمين المكتبة ب أخصائي معلومات وبعد أن تم إستحداث أدوات الحفظ والإسترجاع والبحث بإدخال برامج الكومبيوتر.

عملياً بات مركز المعلومات جزءاً من إنتاج دورة العمل التحريرية في الصحيفة، تولى في الثمانينات المشاركة بإصدار ملفات عبارة عن اربع صفحات داخل العدد

تحت مسمى «قضية الساعة» تتناول بالتحليل والمعلومات أبرز القضايا الساخنة، تعالج أهم الأحداث ذات التأثير في العالم والمنطقة العربية، صدر منها أكثر من 16 ملفاً، الأمر الآخر المساهمة بإصدار ملف «القبس» وكان ذلك عام 1979 وهو أشبه بمجلة أسبوعية من حيث الحجم تتضمن حدثاً ضخماً وتوزع مجاناً مع الصحيفة اليومية، وصدر حينها عددين الأول يحمل إسم «سقوط الإمبراطورية الإيرانية» والثاني يحمل إسم «دولة السادات الفلسطينية» وكان ذلك تحت إشراف الكاتب اللبناني هنري حاماتي.

عملنا على إضافة مصادر متنوعة للمعلومات الصحفية، ضاعفنا اشتراكات الصحف العربية والمجلات إلى أن وصلت ما بين 15 إلى 20 صحيفة ومجلة عربية يومياً، يتم قراءتها واختيار الموضوعات التي تخدم المركز وجهاز التحرير والباحثين.

دور مركز المعلومات تعدَّى حدود الخدمة المهنية للصحيفة، ليشمل قطاعات واسعة من الباحثين الذين يفدون إليه للحصول على ما يريدونه من معلومات وبات مقصداً لطلبة الجامعات وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه.

دخلت خدمة البحث وكتابة التقارير الإعلامية في صلب العمل التحريري للصحيفة، بإعدادها وتحريرها للنشر وبحسب طبيعة الحدث فمثلاً عندما دخلت إسرائيل عام 1982 إلى بيروت واحتلت العاصمة كنا نرفد الصحيفة بدراسات وأبحاث لها صلة بما يجري على الأرض، وعندما زار السادات إسرائيل عام 1977 وصولاً إلى كامب ديفيد وإبرام عقد الصلح عام 1979 أعددنا دراسات وتقارير تخدم القارئ وتوسع مداركه بالحدث وتضفي على الصحيفة المصداقية والثقة، فالافتتاحيات التي نشرت بعد مرور سنة على «كامب ديفيد» اعتمدت وبشكل رئيسي على ما أعده مركز المعلومات وتحت عنوان «ما نفَّذ ومالم ينَّفذ» ...

وفي الانتفاضة الفلسطينية الأولى، انتفاضة الحجارة كان لمركز المعلومات الدور الحيوي بإصدار كتاب هدية للقراء يوثق ما حصل ويعطي خلفية عن تاريخ

الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي.
كان العمل يسير في خطين متوازيين، خط يتصل بعمليات الفهرسة والتوثيق وتنمية مصادر المعلومات والحفظ وأخر يسهم في إعداد التقارير والدراسات وخدمة المعلومات للصحيفة وللباحثين، وصار مركز المعلومات مرجعاً للمحررين والكتَّاب والعاملين فيها بحيث يوفر لهم ما يحتاجونه وكان أحد الأقسام التحريرية المنتجة على كافة الصعد.
لم نتأخر عن الدخول في «عالم الميكنة» عملنا على توفير مجموعة من البرامج محملة على CD-ROM تختص بالقرآن الكريم وبالأحاديث ودليل الشركات الكويتية والخرائط الجغرافية والموسوعات العلمية والقوانين والمراسيم والتشريعات الكويتية وكانت تلك الأعمال بمثابة البنية التحتية التي نستند إليها.
ترسخت أساسيات القواعد التي نعمل وفقها وإلى حد كبير، فالمكتبة بنيت على أسس علمية بالفهرسة ونظام ديوي العشري وبعمل بطاقات للبحث. والحرص على تزويدها كل سنة بمراجع وكتب وإصدارات يتم شراءها من معرض الكتاب العربي السنوي ومن دور النشر العربية والعالمية.
أخذنا بالتصنيفات الموضوعية المعمول بها في مراكز المعلومات الصحفية، وهي تصنيفات وضعها مختصين وأكاديميين في مجال الإعلام ومطبقة في عدد كبير من مراكز البحوث.
عام 1984 كانت لنا جولة ميدانية لمواقع العمل في صحيفة «الأهرام» شملت مركز التنظيم والميكروفيلم ومركز الدراسات الإستراتيجية ووحدة التكشيف والتوثيق ترجمت الزيارة بوضع خطة تصنيف جديدة لقسم المعلومات والبدء يعمل كشاف للقبس وتهيئة بيئة العمل من شأنها الانتقال الى المكننة..
منتصف العام 1990 وقع الغزو العراقي علينا كالصاعقة، لم يدر في خلدنا يوماً أن ما بنيناه يمكن أن يسرق أو ينهب على يد نظام عربي محتل وجار للكويت!
عاودت القبس الصدور يوم 1991/6/17 بعد التحرير بأشهر معدودة وبدأنا

رحلة البناء من حيث ما تركه لنا العراقيون فقد «احتلوا» مبني القبس طيلة السبعة أشهر وأصدروا منها صحيفة حَمَلَتْ إسم «النداء» توقفت مع الأيام الأولى للضربة الجوية لقوات الحلفاء فما كان منهم إلا أن عاثوا في الأرض فساداً وراحوا «يفككون» المكائن والأجهزة لنقلها إلى بغداد ... حصيلة الغنائم من القبس التي استولوا عليها فاقت التصورات، فقد تعرَّض مركز المعلومات إلى عملية «نهب مبرمجة» وعلى يد محترفين، فقد أسرعوا في أخر أيامهم وأثناء الضربة الجوية إلى سرقة ثلث محتويات مركز المعلومات قاموا بتوزيعه على مجلة «ألف باء» العراقية، وصحف «الجمهورية» و»الثورة» في بغداد وشملت : 4.500 ألف كتاب تم إنتقائهم، و 13 ألف بطاقة لشخصيات بقسم الصور محفوظة بأدراج حديدية وموضوعة بمغلفات تحمل أرقاماً مسلسلة، يقدر عدد الصور الإجمالي فيها بـ 178 ألف صورة، كل ملفات الدول «بوكس فايل» والتي تبدأ من حرف الألف وتصل إلى حرف «السين» -الدول مرتبة بالملفات حسب الحروف الهجائية تقدر بـ 450 ألف وثيقة .. هذا بخلاف أجهزة الكمبيوتر والسكانر والتصوير والميكروفيلم ...

قمنا بجردة الخسائر كان أمامنا تحديات وضعتنا جميعاً أما مسؤولياتنا المهنية والوظيفية ... وتعلمنا الدرس ، الاحتلال «أفادنا» بطريقة التفكير والعمل على أن الغزو يمكن أن يعود ثانية- لا سمح الله- أو نتعرض لأي هزة أو كارثة، وعليه كان المطلوب أن نضع تلك الاحتمالات أمام أعيننا، وهنا لابد من القول أن ما أقدمنا عليه قبل الغزو بتصوير الصحيفة على ميكروفيلم وحفظ الأفلام كوديعة بخزائن البنك الوطني، كان الفرحة الكبرى لنا، بحفظ أعداد الصحيفة من التلف والضياع، كذلك الأمر بالنسبة لبطاقات التكشيف والصور والمكتبة... الصدمة التي أحدثها الغزو ألزمتنا التفكير بنقلة نوعية نسترد فيها شيئاً مما فقدناه من «غزو» أظهر مهارة فائقة بفن تفكيك المؤسسات وسرقة محتوياتها. كان علينا إعادة تأهيل المركز مباشرة والشروع بالدخول في مرحلة جديدة.

توجهنا إلى إستخدام أحدث التقنيات المتوفرة من برامج وأجهزة كمبيوتر واتصالات في إطار خطة مكننة عمليات الحفظ والاسترجاع.

أول مهمة قمت بها، كانت، كيف نعيد البناء؟ ومن أين نبدأ؟ حصلت على موافقة رئاسة التحرير وبتشجيع خاص من الأستاذ محمد جاسم الصقر لعمل ما يلزم.
كانت لي زيارات عمل ميدانية الى مراكز المعلومات الصحفية عام 1994 في مصر (مركز الأهرام) ولبنان (مركز معلومات «النهار» و«السفير») ولندن (مركز معلومات صحيفة «الحياة») ... ومخاطبة جامعة الدول العربية (مركز التوثيق) والأمم المتحدة وطلب عروض من شركات متخصصة ببرامج المعلومات للوقوف على أحدث البرامج الإلكترونية في مجال الفهرسة لإختيار النظام المناسب ونتيجة دراسة العروض قررنا الاستعانة بشركة «IDS» اللبنانية نظراً لخبرتهم وكفاءتهم في هذا المجال وعرضهم المساعدة بإستقدام أخصائيين بالفهرسة إشتمل المشروع على وضع خطة تفصيلية بمراحل الإنجاز تتضمن:

1. عمل كشاف للقبس يصدر سنوياً .
2. إدخال الوثائق بواسطة نظام Optical disk system .
3. إعداد فهرسة لكل وثيقة.
4. إدخال فهارس المكتبة على البرنامج الإلكتروني.

أول خطوة إتخذناها في سبيل ذلك، اعتماد «مكنز جامعة الدول العربية» وبالإنكليزية يسمي «Thesaurus» وهو الاداة الرئيسية في عملية التكشيف، أي التحليل الموضوعي للوثيقة، بحيث يستخرج المكشف الموضوعات الرئيسية ويعبر عنها بواصفات المكنز.
كان من أكثر المكانز العربية شمولية يغطي العلوم الاجتماعية في صورة جيدة، خاصة بعد تحديثه من قبل مؤسسة جمعة الماجد في إمارة دبي وبالتعاون مع مؤسسة عبدالحميد شومان في الأردن.
يتكون من أربعة أقسام وباللغات العربية والإنكليزية والفرنسية وهو ما يتفق مع جميع المكانز في منهجيته. وتضمينه السرد الهجائي والسرد المصنف والكشاف للكلمات المفتاحية وأخيراً الكشاف الهجائي للمصطلحات.
إختارت جامعة الدول العربية مكنز «UNBIS» المستخدم في مكتبة داغ همرشولد بالأمم المتحدة، بعدما جرى تعريبه وإضافة مصطلحات جديدة إليه

وإلغاء واصفات بما يتناسب والبيئة العربية.
جاء هذا الإختيار بعد عدة تجارب باستخدام مكنز منظمة التعاون والتنمية الاقتصادي المعروف باسم «macro thesaurus» وكذلك مجموعة من قوائم رؤوس الموضوعات العربية الأخرى.
وبالنهاية ارتأى مركز التوثيق بالجامعة أن أقرب مكنز لمجال التوثيق بشمولية أوسع هو مكنز «UNBIS» .
وجدنا وبالتجربة العملية صعوبة تحويل اللغة الإعلامية السائدة الى «لغة النظام» الدقيقة والمعتمدة في المكنز، وتطلب بذل جهد مضاعف من العاملين في المركز وبالتعاون الجماعي المشترك وبإشراف مستشار فني إلى تجاوز تلك الصعوبات للوصول إلى درجة مرضية من الكفاءة، وكان نتيجة ذلك تدني كمية الإنتاج اليومية والتي بدأت بالعودة إلى معدلات مقبولة.
وجدنا ضرورة توفير مجموعة من القواميس والمعاجم المساعدة في البحث عن المعاني ومفردات تساعدنا بالوصول إلى المصطلحات المستخدمة في المكنز وقمنا بعمل جلسات يومية للزملاء العاملين في التوثيق لشرح المصطلحات وكيفية إستخدام المكنز وتبادل الآراء في أي مشكلة تعترضنا.
أنشأنا «مجموعة دفاتر» أولية لعمل كشافات وذلك بتسجيل المصطلحات وأسماء البلدان والأعلام والهيئات، لسهولة الرجوع إليها في المراحل الأولى من العمل.
جرى كتابة مجموعة من التقارير والملخصات كتعريف بالمكنز وطريقة استخدام المصطلحات والمفاهيم والعلاقات لتسهيل استيعاب المكنز.
إنتقلنا إلى مرحلة جديدة كلية، بإستخدام برامج متخصصة في مجال التوثيق والفهرسة، وإدخال الميكنة في كل وحدات مركز المعلومات وعمل backup للموجودات وإيداع نسخة ثانية منها لدى شركات متخصصة خارج الكويت ، تعزز هذا التوجه بإستقدام كفاءات بشرية مؤهلة ومدربة ... شكلنا مجموعات عمل من كل أقسام مركز المعلومات، تجتمع دورياً لمناقشة وتوحيد أساليب وقواعد الفهرسة...

ومنذ بداية العام 1995 أحدثت النقلة النوعية إصداء إيجابية على مستوى خدمة المعلومات، ليس فقط داخل شارع الصحافة بل في الكويت والخليج والعالم العربي، فقد أصبحت مصادر المعلومات وما تنشره القبس والصحف الكويتية والعربية متوفرة على أجهزة الكمبيوتر، وهذا العمل كان الوحيد في حينه بين دول الخليج والدول العربية ...

أدى ذلك إلى أن يكون مركز المعلومات في صدارة الأعمال الموكلة إليه في مجلس التحرير والذي ينعقد يومياً برئاسة رئيس التحرير ومن ينوب عنه ويتشكل من مدير التحرير وسكرتير التحرير ورؤساء الأقسام والمشرف الفني، وفيه يتم استعراض التقرير اليومي الذي يقوم مركز المعلومات بإعداده وعلى مدى سنوات وتحول إلى ما يشبه الكشاف الضوئي لمعرفة حالة الصحف اليومية وموقع القبس منها وحتى لا تتكرر الأخطاء التي قد تحصل بالعمل اليومي وتقديم إقتراحات من شأنها تعزيز المادة التحريرية، إلى أن تم إشراك رؤساء الأقسام وبالتناوب على إعداده لاحقاً ... وكان هذا المجلس بمثابة غرفة العمليات اليومية والعقل المفكر للجريدة وهو عمل جماعي فيه الكثير من الفوائد...

وعلى مدى سنة كاملة خضنا تجربة مفيدة في تحديث وتطوير «المكنز» من خلال «مفهرسين» كنا نعمل على مدار اليوم بتوحيد المصطلحات وأسماء الأعلام والأماكن وإضافة ما نراه مناسباً لأسماء الشخصيات منعاً من التكرار والخلط بحيث أنشأنا قاعدة بيانات للأسماء المتشابهة بحيث يظهر سريعاً هوية وجنسية ووظيفة الشخصية.

حولنا مركز المعلومات في القبس إلى ما يشبه «المختبر» بالتعاون مع مبرمجي الكمبيوتر والفنيين والمفهرسين، ترجمنا ذلك بإصدار كشافات سنوية تم عرضها للباحثين.

أدخلنا الكثير من التعديلات على بطاقة الإدخال نتيجة الممارسة العملية والتي أتاحت لنا توفير مزايا وفوائد لم تكن في الحسبان.

إستطعنا من خلال الشراكة التي أقمناها مع شركة «IDS» تطوير مجالات البحث

وربط الموضوعات أي الحصول على نتائج محددة بين إسم الكاتب والموضوع والمصدر والتاريخ.

هناك الكثير من الأعمال التي أنجزناها خاصة في إطار توحيد المصطلحات وضبط الواصفات والإحالات من غير المستخدم إلى المستخدم، استحدثنا إضافة جديدة في بطاقة الإدخال بوضع قائمة بأنواع المواد الصحفية المنشورة وتوحيدها بغرض تسهيل إسترجاعها.

إستخدامنا للمكنز في عمليات التكشيف كان بديلاً ناجحاً عن قوائم رؤوس الموضوعات ونظم التصنيف المتبعة.

وهذا ما لجأنا إليه في عمليات التكشيف الالكترونية ببناء المكتبة الرقمية وقسم الصور.

تلك الخبرات جعلت مركز المعلومات في القبس في صدارة المراكز الصحفية في العالم العربي التي سعت للإستفادة من هذه التجربة والتعاون مع مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت ومؤسسة عبدالحميد شومان في الأردن ومركز جمعة الماجد للمخطوطات في دبي.

عام 1997 أوكلت مهمة الإشراف على موقع «القبس الإلكتروني» إلى مركز المعلومات وبات في إمكان القارئ وفي أي بقعة في العالم متابعة المواد المنشورة، وبعد سنوات تطور هذا الموقع شكلاً وإمكانات فنية، خاصة لجهة السهولة في التصفح، والإنتقال من باب إلى باب، مع تقديم إمكانية البحث في أرشيف القبس أحد أغني أرشيفات الصحافة العربية، والموقع المتجدد عمل على نشر إصدار القبس المطبوع بأقسامه كافة مع الملاحق التي تصدر يومياً وعلى مدار الأسبوع.

خرج مركز المعلومات في القبس من دائرته الكويتية إلى الدائرة العربية الأوسع، فبعد مشاركته وعلى مدى سنوات في معارض تكنولوجيا المعلومات والمقامة على أرض المعارض الدولية في منطقة مشرف وفي غيرها من الأماكن إلى جانب المؤسسات والشركات التي تتعامل مع

برامج الكمبيوتر الحديثة والمتخصصة في مجال تكنولوجيا المعلومات وتقديم أقراص «CD-ROM» وبنك المعلومات ... كانت له مشاركة في «الندوة الرقمية» التي أقامتها شركة «IDS» في شهر نوفمبر 2012 في بيروت وحضرها أكثر من 200 مشارك جاءوا من مختلف القطاعات الإعلامية ومراكز الأبحاث الصحفية والشركات ذات الصلة، وفي هذه الندوة قدمنا ورقة بحثية حول تجربة القبس في الأرشيف الإلكتروني وبالتعاون مع «IDS» والتي تعمل في برامج توثيق المعلومات...

بدأنا في السبعينات بموظفين إثنين ووصلوا في التسعينات إلى نحو 20 موظفاً من الفنيين والمفهرسين والاختصاصيين في علم المعلومات والباحثين وهذا ما دفعنا إلى إيجاد تصنيف وظيفي ومهني موحد كان مفتقداً سواء في إدارات المؤسسات الصحفية أو على مستوى ديوان الخدمة المدنية والجهات الرسمية المعنية . وفي هذا العقد الزمني أصبح مركز المعلومات يملك قاعدة بيانات كبري في المنطقة وبعدد جاوز الملايين من المعلومات والصور.

تتابعت فعاليات المركز وأدواره وبصورة أدق بمبادرات استهدفت الدارسين في علوم المكتبات والمعلومات في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الكويت، فقد أقام وعلى مدي يومي 25 و26 مارس 2014 ورشة عمل تنفيذية تحت عنوان «الصحافة الالكترونية» في إطار الشراكة الإعلامية مع النادي المعلوماتي التابع لقسم علوم المكتبات والمعلومات، غطت الندوة عدة محاور من بينها أساسيات الصحافة الإلكترونية ومقارنتها بالصحافة التقليدية والتعرف على مفهوم الصحافة الاستقصائية وكذلك تجربة الموقع الإلكتروني للقبس ودور وسائل التواصل الاجتماعي في نشر الأخبار.

يوم الرابع عشر من مارس عام 1995 كان بحق يوم الدخول الفعلي لعصر تكنولوجيا المعلومات بعد البدء بفهرسة وتكشيف العدد اليومي من الصحيفة بإستخدام نظام كمبيوتر متكامل يخدم أغراض التخزين والإسترجاع والبحث وبذلك

تكون «القبس» قد أنجزت الخطوة الأولى في بناء بنك للمعلومات بالإضافة إلى إصدار كشاف شهري للجريدة يحتوي على كل ما نشر فيها، فالكشافات تعد من أهم المواد المرجعية التي لايمكن الإستغناء عنها في عمليات الإسترجاع للحصول على المعلومات في أقصر وقت وبأقل جهد ممكن.

كان الحرص بالحفاظ على مستوى من الأداء المهني شغلنا الشاغل وبالرغم من بعض العثرات التي واجهتنا فقد أختير مركز المعلومات كقسم مميز لشهر ديسمبر 1999 وهي مسابقة كنت أشرف عليها مع زملاء أخرين لي في جهاز التحرير في إطار خلق أجواء تنافسية بين المحررين والأقسام وزيادة الحوافز الإنتاجية.

تبوأ مركز المعلومات مكانة متميزة، إكتسبها على مدى سنوات، من خلال تطويع تكنولوجيا المعلومات في خدمة البحث وتنوع المصادر التي ينتقي منها المواد والتقارير والدراسات وصلت إلى 30 مطبوعة عربية يومياً ما بين صحيفة ومجلة ومكتبة غنية بالمراجع ناهزت العشرين ألف كتاب وملايين الصور والوثائق.

تلك السمعة التي حظي بها لم تأت من فراغ فالذين كتبوا عن دور المركز كانت لهم تجارب حقيقية دفعتهم إلى تسجيل شهاداتهم به، فالكاتب ورئيس تحرير جريدة «الوطن» سابقاً ، الأستاذ المرحوم محمد مساعد الصالح وجد ضالته بالمقالات التي كان يكتبها في «الوطن» أنها محفوظة في مركز معلومات «القبس» وان الطريق للوصول إلى «الله بالخير» وهي اسم ترويسة الزاوية التي يكتبها يمر من خلال «الشويخ» = «موقع شارع الصحافة» = وليس من مكتبة الكونغرس في واشنطن كما كان يتخيل؟

النائب عبدالمحسن جمال وفي مداخلة له في مجلس الأمة وبجلسة 1995/8/5 يشكو فيها قلة المعلومات التي يحتاجها النواب متسائلاً .. «نعتمد على مركز معلومات «القبس» .. ولكن إلى متي؟» .

الأستاذ الجامعي والكاتب المرحوم الدكتور شملان العيسى تناول في مقالة له بجريدة «السياسة» بتاريخ 1997/10/29 أهمية المعلومات والإحصاءات عند الحديث عن العمالة في الخليج، قائلاً «لولا إستعانتي بمركز معلومات

القبس الذي تتوفر فيه جميع المعلومات الخاصة بالسكان حسب الجنسية.. لدخلت في ورطة عدم توفر المعلومات» وفي مناسبة أخرى كتب أثناء مساجلة بينه وبين الزميل والكاتب عادل القصار» نحمد الله أن لدى «القبس» الغراء أفضل مركز معلومات في البلد»...

الزميل والكاتب الدكتور ناجي سعود الزيد عقد مقارنة بين ما يصرف على المركز الإعلامي التابع لوزراة الإعلام في لندن وبين مركز معلومات القبس قائلاً « ما أحلى مركز معلومات القبس فبمجرد أن تطلب معلومة يأتيك سيل من المعلومات».

الأستاذة نورية السداني، المؤلفة والمؤرخة والباحثة نوَّهت بمركز المعلومات في رسالة خطية بتاريخ 2000/2/6 بالقول: «رائع مركز المعلومات .. إن ما قدمته من عمل جليل في هذا المركز لهو كنبع الماء الذي نشرب منه جميعاً فخلال خمس دقائق وصلتني المعلومات التي طلبتها».

الباحث يعقوب يوسف الإبراهيم، قام بمبادرة شخصية تقديراً منه لأهمية الكتاب والمعلومات، بإهداء مركز المعلومات عام 2007 حوالي 800 كتاب وعشرات الآلاف من القصاصات الصحفية الإنكليزية منتقاة من قبله وكذلك صحف عربية لتشكل مصدرا إضافياً جديداً.

النائب مسلم البراك وفي معرض إشارته إلى غياب مركز للمعلومات في مجلس الأمة 2001/5/8 أوضح « إذا احتجنا معلومات كأعضاء نتصل بمركز معلومات في «القبس» للحصول عليها» .

الملحق الثقافي بالسفارة السعودية الأستاذ محمد العمرو، لم يشأ مغادرة الكويت دون أن يترك أثراً وراءه، ففي نهار 2005/6/22 أودع صندوقين من الكارتون ومن الحجم الكبير مهداة إلى مركز المعلومات تحتوي على عشرات الكتب خصَّ بها مكتبة «القبس».

الأستاذ أحمد الصراف والكاتب في القبس قدَّم شهادته في أكثر من مناسبة مطلقاً وصف «ذاكرة القبس» على شخصي المتواضع عندما يتعذر عليه التأكد من معلومة، كما كتب في مقالة له نشرت بتاريخ 2007/4/15 .

وفد من الشركة السعودية للأبحاث والنشر قام عام 2014 بزيارة القبس للإطلاع على تجربة مركز المعلومات وكان برئاسة المستشار الدكتور عبدالرحمن الشبيلي عضو مجلس الأمناء، مبديًا الغرض من الزيارة بعد إتخاذهم قراراً بالتوجه نحو إنشاء مركز معلومات رئيسي يختص بجمع وفهرسة المطبوعات الصادرة عن الشركة الأم وعددها 17 مطبوعة موزعة على صحف ومجلات.
كثيرة الشهادات التي قيلت بحق المركز، من دبلوماسيين ووزراء وإعلاميين وباحثين في الكويت والعالم العربي .
أواخر العام 2013 إرتأت «القبس» الاستعانة بأحد «المستشارين بغية إجراء «ترشيد وتطوير» المؤسسة ومنحته صلاحيات واسعة.
خلال الثلاثة سنوات من عمله وأقل من ذلك تقريبا، حدثت تطورات طالت أقسام التحرير والإدارة والمطابع ومنها مركز المعلومات، انعكست سلباً على أدائه.
الخلاصة التي وصل إليها «المستشار» ونتيجة لدراسات وإستقصاءات أجراها، أنه وبعد 38 سنة من عمر المركز والركائز التي بني عليها والمكانة التي احتلها وسط مراكز الأبحاث والدراسات والمعلومات في الصحافة العربية، جاء ليعترض على تسميته بـ»مركز معلومات القبس» وإعطاءه دور المشارك بصناعة مادة تحريرية وكتابة وإعداد مواد إعلامية وبالتالي رأى «ضرورة» تصحيح هذا المفهوم لكونه «أرشيف صحفي» رافضاً قيامه بأعمال تحريرية – أي الكتابة والبحث وإعداد صفحات خاصة أو ملفات لأن ذلك يقع خارج إطار صلاحياته!!
بإختصار شديد أراد أن يضع هذا المركز ضمن دائرة «المخزن» والمنوط به عمليات «الحفظ» وهذا غاية ما ينشده من تطوير وإصلاح!
ونحن في منتصف السنوات الخمس من عقد العشرينات بعد الألفية لدينا مركز معلومات حيوي جداً ومتطور يضم سبعة عشر موظفاً في مختلف التخصصات الفنية والتوثيقية موزعين على خمس وحدات تعمل بتناغم وتنسيق دائمين وهي: (وحدة الصور، وحدة التوثيق والفهرسة، وحدة خدمات المعلومات والإدخال، وحدة الدعم الفني، وحدة المكتبة) ، أي أننا أمام هيكلية

استكملت بناء الكوادر البشرية ووفّرت معظم التجهيزات التكنولوجية وباتت إحدى أركان الصحيفة التي تميزت عن غيرها، وأضافت إليها عنصراً من عناصر القوة والدعم التي تحتاجها.

تضاعف هذا الدور بإسناد مسؤولية الإشراف والمتابعة على موقع القبس الإلكتروني ولمدة سبع سنوات متتالية ... والمشاركة اليومية بتقديم كافة خدمات المعلومات وكتابة التقارير والدراسات ورفد جهاز التحرير بكل ما يحتاجه من مواد وصور وكتب ومعلومات..

تلك هي حصيلة السنوات الـ 43، دخلت فيها على مكتب أشبه «بدكان» وخرجت منه بعد تأسيس أهم مركز معلومات ودراسات على مستوى الوطن العربي، بني بعقلية المؤسسة المستدامة وبفريق عمل جماعي على قواعد علمية وركائز ثابته في مجال الفهرسة والتوثيق وخدمة المعلومات وكتابة الأبحاث والتقارير الإعلامية.

خمس سنوات في المطبخ الصحفي كسكرتير تحرير

وخلال خمس سنوات أي من العام 2015 وإلى العام 2019 كانت علاقتي بالمركز إشرافية بحته، بعدما قررت رئاسة التحرير تعييني «سكرتير تحرير» واستمر هذا الوضع إلى أن إنتهت تلك العلاقة الإشرافية في الشهر الخامس من ذاك العام وفي الأول من يوليو 2019 قررت «القبس» الاستغناء عن خدماتي، ولم يعد لي معرفة بما وصل إليه حال مركز المعلومات، لأنتقل للعمل مع الزميلة جريدة «الجريدة» لصاحبها وناشرها الأستاذ محمد جاسم الصقر «كمستشار» في التحرير واستأنفت الكتابة فيها..

وفي الخمس سنوات من انخراطي في «المطبخ الصحفي» اليومي

بالقبس كسكرتير تحرير، عشت تجربة كاملة وباتصال دائم مع أصحاب القرار جعلتني على إطلاع ودراية بالسياسات العامة للصحيفة وعلى مسافة قريبة جداً من كيفية «صنع الصحيفة» أعطتني المزيد من الخبرات المهنية.

أثناء ذلك كانت لي مساهمات في كتابة عدد من افتتاحيات الصحيفة وتوليت إدارة التحرير مرتين ((الأولى لمدة 20 يوماً في شهر ديسمبر 2015 و الثانية في شهر نوفمبر نفس العام لمدة 11 يوماً)) كانت بسبب غياب «مدير التحرير بالتكليف» بداعي المرض والعلاج، والتوقيع على كافة المعاملات الخاصة بجهاز التحرير.

كانت فترة مثمرة مهنياً، ولعل الإشارة إلى بعض المبادرات التي قمت فيها ما يجعل المرء فخوراً بها، ومنها على سبيل المثال وليس الحصر، إصدار طبعة ثانية من «القبس» بعد الساعة العاشرة مساء يوم 22 مايو 2015 عندما تلقيت خبر وفاة العم جاسم الخرافي عن عمر يناهز الـ 75 عاماً والذي شغل منصب رئاسة مجلس الأمة لسنوات وأحد أصحاب القبس لتكون الصحيفة الأولى التي كتبت الحدث ... وكذلك التقدم بإقتراح إصدار كتيب معلوماتي وطبي وتوعوي حول إنفلونزا الخنازير يوزع مجاناً مع الصحيفة وأيضاً إقتراح بتشكيل لجنة جائزة التميز الصحفي والمهني، على أن يقوم مركز المعلومات بتقديم تقرير شهري عن أداء الأقسام والمحررين .. ترتكز على معايير مهنية واضحة ودقيقة.

فريق العمل

كان هاجسي على الدوام، أن إمكانات الفرد مهما بلغت من خصائل، ومهما علا شأنها على صعيد القيادة، فلن تكون بديلاً عن العمل الجماعي والمؤسسي.

قناعتي بالعمل وبروح الفريق الواحد، ترجمتها على أرض الواقع، «فحامل المفتاح» لم يعد حكراً على شخص بعينه .. الإدارة الناجحة لهذا النوع في المشاريع وإستمراريتها، يكمن بتدريب وتأهيل الكوادر البشرية التي تعمل معك وإلى جانبك، فأنت لا تستطيع التحليق بجناح واحد.. عليك أن تبني وفق أسس ومعايير، تضع المسطرة أمامك، ثم تبني عليها، بحيث تجعل من سيأتي بعدك أن يضيف إلى ما بنيته وليس العكس.

وبالتالي فقد سار مركز المعلومات وفق آليات محددة وربما كان ذلك سر النجاح الذي تحقق ومصدر راحة وإفتخار.

قدت فريقاً من الزملاء عملت معهم جنباً إلى جنب، أضافوا الكثير من التعديلات

والتحسينات وكانوا خير من يملك أدوات التطوير في المهام الموكله إليهم.
ربطتني بهم علاقة زمالة وإحترام، نورد أسمائهم بخلاف السنوات التي عملوا فيها وتاريخ التحاقهم بالمركز ومدة بقاءهم فيه وهم السادة :
عبدالجليل الخولي، حسين شعلان، عايد الخفش، محمد أبوصياح، ناهد دسوقي، إلهام صدقي، إبتسام عنيسي، فؤاد كركي، حنان سلمان، عوض بحر، محمد دعاس، سوسن الشاعر، رضا أسعد، بسام سعد، أشرف عبدالغني، خالد زكي، غسان عبدالودود، أيمن عبدالله، طارق عثمان، محمد محرم، محمود كمال، علاء علي، عمر فوزي، محمود مازن، محمد فريد، عماد رضوان، محمد دندش، ذياب نورالدين، ماجد توبه، محمد شلهوب، سالم أيوب، رؤوف عبدالحفيظ، محمد راشد، مهى البرجس، لينا هلال، محمود الخليل، رافع البرغوثي.

الراحلون من زملاء المهنة والعمل

طيلة 43 عاماً من عمري المهني في «القبس»، فقدت أصدقاء وزملاء محبين، وجدت نفسي مديناً لهم إن لم أتذكرهم، لذلك، وفاءاً مني لهم، وعرفاناً بزمالتهم سطرت أسمائهم في هذا الكتاب كي تحفظهم صفحات كتبت بأحرف من مداد الحبر الذي جمعنا بهم.. وألتمس العذر إن نسيت أحدهم .. لهم الرحمة وإليهم الدعاء وبحقهم الكلمة الطيبة ...

1- طارق محمد سلطان - لبناني - مدير الإعلان.
2- صالح الخريبي - فلسطيني - مسؤول قسم الترجمة وكاتب وصاحب صفحة عطارد الفلكية.
3- خليل أحمد ريان- فلسطيني – رئيس قسم الرياضة .
4- حسن ملاك – سوري- محرر بالإقتصاد .
5- أحمد الربعي- كويتي -كاتب .
6- رؤوف شحوري – لبناني- مدير تحرير.
7- غازي الجاسم -كويتي -كاتب ومحرر.
8- سهيل عبود – لبناني – سكرتير تحرير.

-9 حسين نعمة – لبناني – مسؤول قسم حماية المستهلك.
-10 نبيل حاوي – لبناني -مسؤول قسم الخارجيات .
-11 عبدالسلام العوضي -كويتي -محرر .
-12 محمد الرزوقي -كويتي -مساعد رئيس قسم المحليات.
-13 سعيد علم الدين – لبناني -رئيس قسم الاقتصاد .
-14 محمد الشيتي -فلسطيني -رئيس قسم الاقتصاد .
-15 محمد الجمل – مصري -محرر رياضي .
-16 عبدالجليل الخولي- مصري -مركز المعلومات.
-17 زهير الدجيلي – عراقي -كاتب .
-18 محمد مساعد الصالح -كويتي – كاتب.
-19 عمر غرز الدين -لبناني -مسؤول قسم الخارجيات.
-20 محمد قميحة – مصري -مسؤول قسم التصوير .
-21 نبيل سويدان -مصري – مسؤول قسم المحليات.
-22 محمود الخليل – فلسطيني -مركز المعلومات .
-23 كامل حازر – لبناني -محرر بقسم الخارجيات .
-24 عدنان فرزات – سوري – محرر ثقافي وكاتب .
-25 نشأت شحاته – مصري -موظف بقسم وكالات الأنباء .
-26 ناجي العلي – فلسطيني – رسام كاريكاتير (حنظلة).
-27 صفوان البني – سوري – محرر قسم المحليات .
-28 درويش برجاوي – لبناني- مسؤول قسم الفنون .
-29 جمال مرجان – مصري -محرر رياضي .
-30 محمد سعدات – فلسطيني-محرر قسم الخارجيات.
-31 أم محرَّم «ذكاء عبدالقادر» – سورية – قسم التصحيح.
-32 عبدالحميد – مصري – فراش (مراسل).
-33 أبوحازم -مصري -قسم التصحيح.
-34 محمد عويَّد -فلسطيني-قسم الصف .
-35 أبو أحمد -فلسطيني- قسم الترجمة.

36- وفائي دياب – لبناني - مدير مكتب القبس في لندن- عمل مديراً للتحرير في صحيفة «الأنباء»
37- حمدية خلف – مصرية -قسم الثقافة.
38- صابر أمين- فلسطيني- مدير قسم الإعلان.
39- أديب باقي – سوري – مدير قسم الإعلان .
40- عادل القصار – كويتي- كاتب ومحرر.
41- غسان العتيبي- كويتي -كاتب .
42- فيصل المسعود – كويتي-كاتب.
43- محمد الدريني – مصري – مسؤول قسم التوزيع.
44- عبدالرحمن عبدالجليل (ابوطلال)-فلسطيني -قسم التوزيع .
45- أبوعلي أحمد حيدر -لبناني-قسم الصف .
46- أمين أيوب – لبناني - مطبعة الصحيفة.
47- محمود عطا -فلسطيني -قسم المونتاج .
48- غازي جرادة -فلسطيني -محرر قسم المحليات.
49- خلدون النقيب – كويتي -كاتب.
50- فاروق عبدالكريم – سوري -مسؤول قسم الخارجيات.
51- مزيد عاكوم -لبناني – مسؤول الملحق الأسبوعي.
52- محمد عِزتْ – مصري-مخرج فني.
53- محمد الباز – مصري -مخرج فني.
54- سعيد فرحات – لبناني-مسؤول قسم الثقافة.
55- أبوزهير -لبناني -صاحب الكانتين.
56- محمد الراوي – مصري -محرر رياضي.
57- عِفَّتْ سلام -مصرية-محررة قسم حماية المستهلك.
58- محمد شلهوب -لبناني -مركز المعلومات.
59- محمود عبدالقادر -مصري -محرر المحليات.
60- مدام أمينة (أمينة سليمان) -مصرية – سكرتيرة رئيس التحرير.
61- فكري سعيد -مصري- قسم الفنون.
62- حسن الحفناوي -مصري -قسم الفنون.

63- رؤوف عبده- مصري-رسام كاريكاتير.
64- توفيق ابوبكر -فلسطيني -كاتب ومراسل.
65- وليد زهرالدين -لبناني-مراسل وصحفي.
66- سليمان الفهد-كويتي-كاتب.
67- د.إبراهيم مكي -كويتي-كاتب.
68- ألفت قطامش- مصرية-مسؤولة صفحة المجتمع.
69- هنري حاماتي -لبناني -كاتب.
70- عبدالرزاق البصير -كويتي- أديب وكاتب.
71- عبدالسلام مقبول -رسام كاركاتير.
72- مبارك سلطان العدواني – كويتي – مشرف على قسم المحليات وكاتب .
73- مازن حماد – فلسطيني – سكرتير تحرير – قسم الخارجيات.
74- محمد الأسعد – فلسطيني – كاتب وناقد أدبي .
75- رافع عبدالرحمن البرغوثي – فلسطيني – باحث وكاتب.
76- كريمة زبانة - لبنانية، مديرة تحرير «مجلة القبس».
77- علي أحمد البغلي - كويتي - كاتب.

صور الفصل الأول

مع أول رئيس تحرير للقبس الأستاذ جاسم أحمد النصف عام ١٩٧٧ في مركز المعلومات يشرح لوفد إعلامي سعودي زائر .

صورة إلتقطها لي الزميل موسى عياش في القبس بتاريخ ١٤ أبريل ١٩٧٨ .

أثناء حفل وداع الزميل صفي الدين الزعبي وعودته إلى دمشق ١٩٨٣ ويبدو الزملاء : رؤوف شحوري مدير التحرير – درويش برجاوي – حمزة عليان .

أثناء زيارة الفريق أول سوار الذهب إلى القبس مع رئيس التحرير محمد جاسم الصقر ونائبه يوسف السميط عام 1987

مع عميد دار الرأي العام عبدالعزيز المساعيد والزميل حسين عبدالرحمن٢٢ أكتوبر ١٩٨٩

زيارة وزير الإعلام الشيخ جابر المبارك الحمد الصباح إلى مركز المعلومات في القبس عام ١٩٨٩ مع الأستاذ محمد الصقر رئيس التحرير والدكتور بشير العريضي المستشار الإعلامي ورضا الفيلي وكيل وزارة الإعلام ويوسف السميط نائب رئيس التحرير وأحمد النجدي مدير عام القبس و أحمد شمس الدين .

زيارة شفيق الوزان رئيس الوزراء اللبناني إلى الكويت في قصر السلام مع أبناء الجالية اللبنانية وإلى جانبه سفير لبنان لدى الكويت عدنان سلطاني والزملاء نبيل الحسيني وكامل حازر و حمزة عليان بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٨٢ .

مشاركة القبس في معرض الصحافة الكيتية ويبدو رئيس مجلس الأمة محمد يوسف العدساني عام ١٩٨٢

زيارة وزير الأعلام الشيخ سعود ناصر الصباح إلى مركز المعلومات والى جانبه الزملاء: أحمد طقشه ومبارك العدواني ويوسف الجلاهمة والشيخ سلمان داوود الصباح ورئيس التحرير الأستاذ محمد جاسم الصقر وحمزة عليان عام ١٩٩١

زيارة مدير عام وكالة كونا يوسف السميط ونائبه محمد العجيري إلى القبس مجتمعاً مع الزملاء : حسين عبدالرحمن – أحمد طقشة - فؤاد حلاوي – عمر غرز الدين بتاريخ ٢ مارس ١٩٩٢

في معرض الصحافة الكويتية ويبدو في الصورة رسام الكاريكاتير الزميل عبدالسلام مقبول ووزير الإعلام الشيخ سعود ناصر الصباح و صاحب مجلة اليقظة أحمد يوسف بهبهاني والشيخة حصة الصباح وصاحبة مجلة المجالس هداية سلطان السالم .

تكريم الزميل حسين نعمة عند مغادرته الكويت ٢ يوليو ١٩٩٣ ويبدو رئيس التحرير السيد محمد الصقر والدكتور أحمد طقشة مدير التحرير و الزميل جاسم أشكناني ووائل نعمة

الزملاء في مركز المعلومات : محمد محرم – محمد الدعاس – محمد فريد - رضا أسعد – المراسل محمود - بسام سعد – خالد زكي – المراسل ملاك – عبدالجليل الخولي – حسين شلهوب – حمزة عليان

محاضرة في جامعة الكويت مع الدكتور حسين الأنصاري حول المهارات في خدمة المعلومات عام ٢٠١١

مشاركة لأحد الزملاء بعيد ميلاده ويبدو من اليمين الزملاء : جمال عبده – أنطون بارا - عبدالسلام العوضي – أحمد طقشة – محمد جاسم الصقر – فوزان الفارس – جاسم أشكناني – حمزة عليان – محمد رمال

مع رئيس مجلس الأمة السيد أحمد السعدون وهدية القبس مجموعة صور عن مبنى المجلس

مع الزميل جاسم عباس أشكناني ووضاح خالد سعود الزيد عام ٢٠١٦ .

أثناء تسلمي درعاً تذكارياً من منسق فريق معرض إكسبو ٩٦ محمد كمال ووزير الإعلام الشيخ سلمان حمود الصباح عام ٢٠١٦

في مركز المعلومات في الثمانينات .

مدير التحرير الأستاذ رؤوف شحوري عام ١٩٨١ مع الزملاء: أحمد مطر وسعدات جرادة وحسين سلامة وحسن التميمي وخليل ريان وحاتم غانم وصالح الخريبي ومحمد الشيتي ويحيى حمزه ورفلة خرياطي وغازي جرادة وفؤاد حلاوي وحسين نعمة وفؤاد تومايان وتوفيق الباز ومحمد راشد وحسين شلهوب وجمال الحمصي

مع الدبلوماسيين الصديقين ياسين الرواشدة سفير اليوسنة في الكويت، ومحمد فاضل خلف سفير الكويت في كوبا.

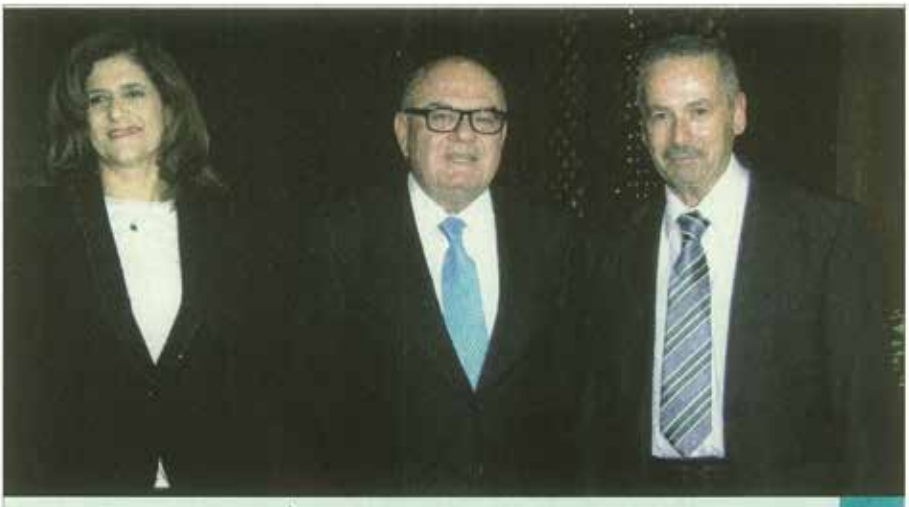

مع سفير لبنان في الكويت الدكتور خضر حلوة وعقيلته في حفل أقامه تكريما لماجدة الرومي عام ٢٠٠٥ .

حفل تكريم الإعلاميين العرب في الكويت ممن أمضوا أكثر من عشرين عاما بمبادرة من الزميل ماضي الخميس صاحب الملتقى الإعلامي العربي وقد قام إبني سلمان نيابة عني بتسلم الدرع في ديسمبر عام ٢٠١٢ .

مشاركة القبس في معرض التكنولوجيا وبحضور وزير المواصلات جاسم العون عام ١٩٩٦

إحتفاءا بعيد ميلادي ويبدو الزملاء : أحمد طقشة – أنس الرشيد – فؤاد حلاوة - مها البرجس – حمزة عليان – كريمة زبانة – والأستاذ وليد النصف رئيس التحرير – سهيل عبود – عايد الخفش – محمد محرم - خالد زكي .

الزملاء في مركز المعلومات : محمد محرم – شريف – عمر فوزي – رضا أسعد – عايد الخفش – المراسل محمود - محمد دندش – عوض بحر – محمد دعاس – خالد زكي – المراسل ملاك – عبدالجليل الخولي – محمد فريد – حمزة عليان

العم عبدالعزيز الصقر يستمع لشرح من حمزة عليان عن محتويات مركز المعلومات في الثمانينات .

أثناء زيارة ملاك القبس إلى مركز المعلومات والدراسات في القبس في الثمانينات يتقدمهم العم عبدالعزيز الصقر والعم عبدالعزيز الشايع والعم محمدعبدالرحمن البحر والعم حمود النصف والعم يوسف النصف

في الممر المؤدي الى مركز المعلومات

مع الزميل سهيل عبود في فندق المريديان أثناء ندوة القبس حول المديونيات الصعبة

حفل وداع الزميل أبوأحمد (السوداني) والزملاء : حسين شعلان – محمود جاموس – نعيم درويش – نزار عثمان – إبراهيم السعيدي – أحمد سلامة – بشارة شربل – حمزة عليان – سليمة لبال – سعدية مفرح – نيفين أبولافي – يوسف المطيري .

- يوم غادر الزميل عبد الكريم بيروتي القبس في الكويت ليعمل مراسلا لها في مصر (٢ مايو ١٩٧٧)
- يحيى حمزة (مصري- سكرتير تحرير) - فكري سعيد (مصري- محرر فني) - محمد فروخ(مصري- خطاط)
- احمد مكي (لبناني - محرر) - محمود عبد القادر(مصري - محرر) - حمزة عليان (لبناني - مركز معلومات)
- رؤوف عبده(مصري- رسام كاريكاتير) - حسن التميمي(فلسطيني- مسؤول تصحيح) - عبد الكريم بيروتي(لبناني - سكرتير تحرير) - فادي الحسيني(لبناني - محرر) - جاسم احمد النصف(كويتي - رئيس تحرير) - فاروق عبد الكريم(سوري - محرر) - جورج سعد(لبناني - مخرج فني) - يوسف الشهاب(كويتي - محرر) - خليل ريان(فلسطيني- مسؤول الرياضة) - محمد عزت (مصري - مخرج فني) - رؤوف عبده(مصري - مركز المعلومات)
- يحيى عليان (لبناني - مخرج فني) - جمال حمصي (لبناني - مخرج فني) - عميد الشنطي(فلسطيني- محرر)

آخر يوم لي في صحيفة القبس مع الزملاء في مركز المعلومات : رافع البرغوثي – علاء عبدالجبار – محمد الدعاس – حمزة عليان – حسين شعلان – عماد رضوان – ورضا أسعد – يوليو ٢٠١٩ .

حفل بدارة السفير اللبناني بسام النعماني تكريماً لوزير التربية حسان دياب عندما زار الكويت بتاريخ ٣ مايو ٢٠١٢.

الزميل صالح الخريبي يحاور حمزة عليان ويبدو الزملاء : محمد شلهوب ورسام الكاريكاتير محمد خلاف .

في ديوان عبدالقادر عدلوني إحتفاءا بالسفير اللبناني جان معكرون وعدد من أبناء الجالية اللبنانية وأصدقاء كويتيين (2019) .

القبس

رئيس التحرير وائد عبد اللطيف الصقر

@alqabas

97201333

Saturday

السبت

خيمة رمضان

مفاهيم في حضرة العرض

قضايا

الدولة الفلسطينية.. طريق متعرج

الصوم يزيد الحكما

أفطارك اليوم

أربح 150 ديناراً يومياً

17 مليوناً في حساب نائب و8 في حساب آخر

أموالٌ لنوّاب تُربك المصارف والجهات الرقابية

عشرات العراقيين حاولوا تدمير الحاجز الحدودي

الحدود هادئة.. ولا قلق

■ الحمود: لا تهاون مع أي اختراق

الصفحة الأولى من القبس (٢٠١١/٨/٢٠) والتي تفردت فيه بنشر الخبر الخاص بإيداع ١٧ مليون دينار في حسابات عدد من النواب.

الزملاء العاملين في مركز المعلومات : حسين شلهوب وأبوعماد محمود شعيب وعبدالجليل الخولي و المخرج الفني محمد الباز يتحدث مع حمزة عليان في السبعينات .

"بروشور" لأول كشاف تصدره القبس باسم مركز المعلومات.

بروف شوري

لندن 21/9/2012
(الفرصي - تولكين - البنطيم)

حضرة العم الجليل العزيز ابو حمد/عبد العزيز الشايع حفظه الله،
تحية الشوق والمحبة والتقدير،
أعادت لي جلسات العودة الى الجزائر عبر ملفات ووثائق مرحلة تأسيس القبس، نبض احداثه أزهى مراحل العمر بتحدياته ونجاحاته، مع الأخ الكريم حمزه عليان. وقد سعدت في ان أساهم في جزء من تأريخ القبس وفاء مني لها ولأهلها ومؤسسيها وأصحابها، ولكويت بعامة. وقد تزاحم كل من الأعمام الخمسة المؤسسين الأثر العميق في نفسي وتفاعلي وسيرة حياتي، من عاد منهم طيب الله ثراه، ومن بقي اطال الله عمره، وأخص بالذكر العم ابو يوسف الرصيف، وانتم شخصيا، وقد غرفت فيكم امتزاجة الذكاء والدهاء والشجاعة في اداء الرأي والانتقاد في الوجه، والوطنية والتنظيم والمثابرة، بل والدهاء وهي مزيجة من أعلى مراتب الذكاء...
داعيا لكم بدوام الصحة والعافية وامتزاجة الفكر والعطاء.
وتفضلوا بقبول خالص مشاعر المحبة والمودة والوفاء والاحترام.

بروف شوري

الفصل الثاني

حكايات من الوطن

» يوم رأيت فيه البحر بصحبة سيارة أبوعزّات.

» سليم اللوزي و«الحوادث» خيمتي الكبرى.

» كِدنَا نذهب للموت بسبب «الكوفيه» و«الكلاشينكوف».

» مشهد لاينسى بعد حرب ٥ حزيران ١٩٦٧ .

» مزاج «الأستاذ» ... وكرسي الإعتراف.

» ... سأعود إلى بيروت.

» «خَبِيبِيْ» إنت وين يروح».

» اليهودي «مزراحي» قادني إلى قصر العدل.

يوم رأيت فيه البحر لأول مرة بصحبة سيارة «أبوعزّات»

أوائل الستينات من القرن الماضي لم يكن في قريتي سوى سيارة "أبوعزّات" وهي ماركة "DEZOTO" ذات الهيكل الحديدي الضخم.

يومها كنت قد بلغت الثانية عشرة من عمري، ولم أكن أعرف من محيطي الجغرافي غير قرية "خربة سلم" والتي تعلّمت في مدرستها وإنتسبت إليها مع عدد من أبناء القرى المجاورة فهي الوحيدة التي لديها صفوف للمرحلة الثانوية أي "البريفية" حسب النظام التعليمي اللبناني.

سيارة "أبوعزّت" إكتسبت شهرة غير عادية وسط القرى المجاورة نظراً لقدمها وكثرة الأعطال التي أصابتها، صارت محل تندر عند الناس! في ذاك الحين، لم يكن ينافسها بالنقل سوى "بوسطة" "أبوعبدالله" وصاحبها من بلدة "صريفا" المجاورة لنا وسائقها معروف باسم "أبو جابر" ، وهي الوسيلة المتاحة لنقل أبناء بلدتي والقرى الأخرى، من وإلى بيروت.

كنا نعيش على كفاف يومنا، وفي ظروف عائلية وإجتماعية مستورة، فوالدي يشتغل في أعمال الزراعة وحلاقة الشعر وأشياء أخرى وبالكاد يكفي ما يتم تحصيله للصرف على أبنائه الذين جمعهم تحت سقف بيت ترابي واحد، كحال معظم بيوت البلدة التي ولدت فيها ...

أيام العطل كنا نتسابق مع أبناء ضيعتي على الجلوس قرب دكانة "أبوعزّت" لنشتري بخمسة قروش أو أكثر، قنينة كازوز "جلّول" أو"كمشة بزر" و"شوية قضامة" من دكان آخر منافس له إما من عند "الحاجة مريم" أو من عند "الحاجة شاهينة" وفي العطل الرسمية كثيراً ما كنا نفرح أثناء الدراسة في اللحظة التي يوافق فيها "السيد أحمد" أي الأستاذ أحمد وهو من عائلة الأمين وكان ناظراً لمدرسة "خربة سلم" على توسل إبنته التي كان يعشقها، وتدعي "مريم" على توقف الدراسة ليوم واحد والذهاب في رحلة

إلى "عين الملّولة" وهي عبارة عن نبع مياه دارجة من سطح الجبل، ورافد صغير إلى "وادي الحجير" ... وهناك، نلهو ونلعب مع بعض، إلى أن يحين موعد الغداء سرعان ما نفترش الأرض وفي أجواء الطبيعة الخلابة وسط أودية مكسوة باللون الأخضر والأشجار، حيث نجلس مجموعات متقاربة من حيث المستوى الاجتماعي، نظراً لمعرفتنا بحال أسرنا بدخلها المالي، ففي تلك الجلسة تظهر علامات الفقر والغني تبعاً لنوع الأكل الذي بحوزة كل منا نفرشه على الأرض .. ثم نأخذ جانباً متوارياً حتي نبقي بعيدين عن أعين الأساتذة والميسورين منهم!

ومثل حال معظم الأولاد من أبناء جيلي كان لدينا حلم، أن نخرج بسيارة "أبوعزّات" وهو بالمناسبة صديق الوالد إلى خارج حدود الضيعة، للتعرف على مدينة صور الساحلية، لكي نكسب شيئاً من المال كمصروف جيب خاص .. ونزور تلك المدينة للتجول فيها...

كانت تربطني علاقة مع إبن "أبوعزّات" الأكبر بحكم الجيرة والقرابة كان أصغر مني قليلاً ويدعي "عزّات"، عمل على إقناع والده بأن يصطحبنا معه إلى مدينة صور... للتسوق في موسم الصيف ... فقد كان يذهب بسيارته مع "أم عزّات" لشراء ما يحتاجونه لدكانهم من سوق الحسبة "سوق البيع بالجملة" والممتلئ بالبضائع ليأتي محملاً بالسيارة، كأنها "صندوق فرجة" يتجمع حوله أبناء البلدة لمعرفة أنواع السلع التي أحضرها إلى دكانه المفتوح والمطل على ساحة الجامع وسط البلدة القديمة .

ركبت السيارة لأول مرة وكنت مندهشاً بتلك الرحلة التي لازالت عالقة في ذاكرتي ... وفي الطريق كان صوت "أم عزّت" يصدح أمام زوجها، كأنه صدى يماثل حجم جسمها البدين .. وصلنا صباح ذاك اليوم إلى مدينة صور من مدخلها ناحية البحر، وكانت عيناي تزهو فرحاً بالمشهد عندما وقع نظري على مياه البحر الزرقاء والممتدة أمامي، دون أن يحدها شيء .. تأملت فيه جيداً وأدركت أنني في عالم ثان كنت أجهله وأسمع فيه دون

أن أراه...
كانت وظيفتي أنا و"عزّات" أن نحرس السيارة من المتطفلين وأولاد الشوارع، بعد أن وضع "أبوعزّات" عدداً كبيراً من رؤوس البطيخ إلى جانب السيارة وأتي بها من "سوق الحسبة" ثم عاد من جديد إلى أسواق المدينة القديمة ليكمل مشواره بالتبضع ...
في تلك الأثناء إقتربت منا مجموعة أولاد وكانوا يهمون بسرقة بطيخة، لكننا تعاركنا معهم وحصل ضرب بيننا بالعصي وبالأيدي، إلى أن تمكنا من طردهم والحفاظ على "الأمانة" .. وعندما وصل "أبوعزّات" أخبرناه بما حصل وكان مسروراً جداً لوقفتنا تلك، كافأنا عليها بعد وصولنا إلى "الضيعة" بمبلغ مالي لا يتجاوز نصف ليرة لبنانية وفوقهم "بطيخة" وكان لهذا الرقم مغزي لشاب مثلي وبأحوالي...
المفاجأة كانت، أن السيارة، ونظراً لحمولتها الزائدة والكبيرة، والتي لم يكن فيها زاوية فارغة، توقفت عند أول طلعة، أي قرب "العين" و"المقبرة" الواقعتين على مدخل القرية...
ماهي الا دقائق حتي تجمع أهالي البلده واصطفوا جنب بعضهم البعض ليدفعوا بالسيارة إلى الأمام وهم ينادون بأعلى صوتهم .. "يا الله .. يا الله" المهم اجتازت الـ "DEZOTO" الطريق الصعب ووصلت بحفظ الله الى ساحة الجامع بعد أن أدارت محركاتها وتم تفريغ جزء كبير من حمولتها...
وهكذا، هرولت نحو بيتنا لأحكي القصة إلى والدتي، حاملاً البطيخة بيدي وجدتها قلقة لغيابي عنها لساعات دون أن تعرف إلى أين ذهبت؟ لتنتهي أجمل وأحلى الذكريات التي لا تفارقني كلما استرجعت ماضي تلك الأيام...
من محاسن الصدف أنني عدت إلى مدينة صور بعد سنتين تقريباً من تلك الواقعة أي في العام 1964، وبصحبة والدي، عندما ذهبت لتقديم إمتحان رسمي بشهادة "السرتفيكا" الإبتدائية، يومها، كان علينا النوم قبل ليلة إستعداداً للإمتحان وبالفعل إتجهنا إلى بيت أحد أصدقاء والدي وهو من

عائلة "أَلْهِسَّي"، والتي إستضافتنا عندها، نصحو في اليوم التالي ونتوجه إلى المدرسة الحكومية المقرر إجراء الإمتحانات فيها من قبل وزارة التربية .. ونعود بعد ظهر ذاك اليوم إلى قريتي من مدينة أحببتها وصار بيني وبينها حالة من العشق الدائم ...

لم يحالفني النجاح بإمتحان الشهادة الإبتدائية في ذاك العام لأنتقل بعدها إلى بيروت وأعمل منذ العام 1964 في مجلة "الحوادث" وأعاود الدراسة وأنجح بالشهادة وأستكمل دراستي هناك وصولاً إلى مرحلة الجامعة عام 1974.

سليم اللوزي "والحوادث".. خيمتي الكبرى لحظة نزع صورة عبدالناصر من صالة التحرير

شكلت مجلة "الحوادث" بالنسبة لي الخيمة الكبرى التي انطلقت منها إلى عالم الصحافة، تفتح وعيي على الدنيا من تلك النافذة، وكنت فيها كأحد أبناء باني أمبراطوريتها الأستاذ سليم اللوزي...

في السنوات الأولى أي من العام 1964 و إلى العام 1967 كان مكتبي في الطابق الأول إلى جانب صالة التحرير المفتوحة على بعضها كأنها بهو كبير، دون حواجز بإستثناء مكتب الأستاذ نبيل خوري ومكتب آخر تجلس فيه السيدتين ليلى الحر ورضى خوري ....

في تلك الأثناء وقعت حرب 5 حزيران 1967، وكان من الطبيعي أن نلتقي بالصالة لنتساقط الأخبار ونتتبع مجريات الحرب التي أخذت تنعكس مظاهرها في بيروت، كطلي أضواء السيارات باللون الأزرق ليلاً وكذلك شبابيك المنازل وخلافه ... لإخفاء المعالم عن "العدو" ...

إنقسمنا إلى مجموعتين الأولى بقيادة إلياس سحاب ومعه عدد من الزملاء، يستمعون إلى إذاعة صوت العرب ولعلعة صوت أحمد سعيد ومجموعة تتخذ من ركن في آخر صالة التحرير مكتباً لها يقودها رسام الكاريكاتير نيازي جلول، وكنت الى جانبه مع عدد آخر، يروق له ولهم الاستماع إلى أخبار الـ «B.B.C» البريطانية!

ولك أن تتخيَّل المشهد، هناك أصوات، هرج ومرج يعلو في الصالة كلما ذاع أحمد سعيد بياناً بإسقاط طائرات "للعدو" والتقدم نحو تل أبيب!

وهنا سكوت تام وذهول مما يجري على الأرض وسير العمليات الذي لا يبشر بالخير ولا يوحي بالنصر!

إستمرت الحرب لأيام، حتى بدأت تظهر علامات من الغيوم في سماء

المعركة!، إلى أن وصلنا إلى اليوم التاسع من يونيو 1967 ليخرج الزعيم جمال عبدالناصر في خطاب جماهيري غير متوقع يعلن فيه "الهزيمة" والتنحي عن الحكم، وكانت صدمة للشارع العربي، من "طنجة" على ساحل المغرب في الأطلسي إلى "الناقورة" في لبنان على المتوسط.

يومها خرجت بيروت كما بقية المدن العربية تطالبه بالعودة عن الإستقالة والاستمرار بحكم مصر، أفواج من البشر ومن كل الطوائف والأحزاب تزحف نحو السفارة المصرية في منطقة الروشة حيث يقع مكتب "المندوب السامي" عبدالحميد غالب كما يشاع عنه، نظراً لحجم النفوذ والتأثير الكبيرين الذي يمارسه التيار الناصري في لبنان حينذاك .

لم يتخلف العاملون في مجلة "الحوادث" عن النزول إلى الشارع بل ذهب أحدهم لينزع صورة جمال عبدالناصر من صالة التحرير ويتقدم بها أمام زملائه وكنت واحداً منهم، إسوة بالجماهير التي غطت بيروت بالكامل متشحة باللون الأسود وتقرع أجراس الكنائس ويرفع التكبير من المساجد، الله أكبر، وفي موكب مهيب لم ترى عيناي مثله للتعبير عن الغضب والحزن الذي أصابها.

الأسبوع التالي استدار سليم اللوزي 160 درجة وكان عدداً مميزاً ومشهوراً لمجلة "الحوادث" في تاريخ الصحافة اللبنانية، هذا العدد حمل على غلافه وفي مضمونه أول صحوة في الإعلام العربي بعد الهزيمة النكراء... وراحت "الحوادث" تمارس دوراً غير معهود بالصحافة اللبنانية والعربية، بأن خلعت تلك القيود التي غطت عقلها، ولم يكن مسموحاً معرفة «عدوك» إلا من خلال خطابات عبدالناصر وأجهزته الإعلامية وتعليقات أحمد سعيد.

أول درس تعلمه سليم اللوزي من النكسة، كان بتوجهه نحو الدخول إلى العقل الإسرائيلي مباشرة ومن دون وسيط، أي نقل ما يدور هناك دون توجيه، واستقدم لذلك أحد الصحافيين اللبنانيين الشباب الذين يجيدون اللغات

الأجنبية واستعان بعدد من المثقفين الفلسطينيين الذين يتحدثون ويقرؤون اللغة العبرية ليستحدث صفحة أسبوعية تحت عنوان «إسرائيليات»، ترافقت مع بدء نشاط مركز الأبحاث الفلسطيني الذي اتخذ من بيروت مقراً له، وتخصص برصد ونشر الأدبيات والإصدارات الإسرائيلية وبلغتها العبرية وترجمته إلى اللغة العربية.

تعرض سليم اللوزي بعدها ومبني المجلة إلى التهديد وحرق الدواليب والاستعراضات، لكنه استمر على موقفه وتبعه آخرون أصابتهم "العدوى" وفيما يشبه عودة الوعي بكيفية بلورة خطاب إعلامي جديد بعيداً عن الشعارات الفارغة والصور المعلبة والجاهزة التي فرضتها ماكينة النظام الناصري.

اذكر هنا حادثتين الأولى كيف أن خطاط صحيفة «النهار» اللبنانية ميشال غفري رفع عدد الطائرات الإسرائيلية في اليوم الأول من 14 طائرة كما جاء في البيان العسكري المصري إلى 44 وبشطحة من قلمه الشخصي.. هكذا.. وكما رواها لي الصديق جورج مجاعص ونفس الحادثة رواها رفعت السعيد عندما كان يعمل في مجلة الطليعة اليسارية في مصر للدلالة على أسلوب التضليل المتبع في تلك الحقبة.

بعدها بات النقد مباحاً وعرض الرأي الآخر مقبولاً في ما يتعلق بالشأن الإسرائيلي والوقوف على حقيقة الداخل والعقلية الإسرائيلية، وصار بمقدور المواطن العربي معرفة أحوال «عدوه» والجوانب المظلمة في الأنظمة العربية "الثورية" التي حكمها العسكر على وجه الخصوص.

والحديث هنا يستدعي الوقفة عند بعض ملامح شخصية "الأستاذ" التي طبع فيها "الحوادث" وأضفى عليها نكهة خاصة جعلته من "الكبار" في عالم الصحافة العربية.

بدأ باكراً في مزاولة الكتابة، خرج من بيت أسرة فقيرة، متواضعة، والده من طرابلس ، يدعي الحاج نور اللوزي، يعتاش من وراء بيع "صدر المغربية" -نوع من الحلوى- ويسكن في سوق العطارين...

إتجه سليم اللوزي إلى القدس في بداية حياته المهنية ليعمل في إذاعة الشرق الأدني، مكث هناك فترة ذهب إلى القاهرة ، ليكمل دراسته، غير أن الصحافة استهوته قاصداً مجلة "روز اليوسف" التي صدرت في القاهرة ١٩٥٢، ليلتقي برئيسة التحرير فاطمة اليوسف والمولودة في مدينة طرابلس اللبنانية طالبا، العمل معها، كمخبر صحفي، إستمر هناك من 1945 إلى 1950 ، تعرف خلالها على مجموعة من السياسيين المصريين ومن بينهم أنور السادات والذي قام بتسريب خبر له. كما علمت من زميل لي عمل "بالحوادث" لمدة عشرين عاماً كمدير لمكتب المجلة في الكويت ، تربطه معرفة مع صاحبها يتشاركان معاً بمسقط رأسهما كأحد أبناء طرابلس وهو الصديق أحمد البوز.

هذا الخبر تسبب بطرده من مصر، فعاد الى لبنان ليعمل في مجله "الصياد" عند سعيد فريحة (1950-1953) ثم مندوباً متجولاً في الشرق الاوسط لدى "دار الهلال" المصريه ومدير مكتبها في بيروت.

إرتبط بعلاقه حميمه مع نجيب حنكش، استضافه بدارته بشتورا، واصطحبه الى بيت لطف الله خلاط في مدينه طرابلس عارضين عليه شراء "الحوادث" والتي كانت تصدر بشكل نشره وبحدود مدينة طرابلس، تمت الموافقة ودفع حنكش ثمن الامتياز 3 آلاف ليره لبنانيه.

بعدها نزل سليم اللوزي الى بيروت واتخذ من قصر هنري فرعون مقراً له واصدر مجلة الحوادث الأسبوعية، مثبتاً فيها عبارة أسسها لطف الله خلاط عام 1911.

تاريخ "الحوادث" مليء بالمفاجآت والهزات، كان سليم اللوزي ذو حضور مختلف، امتلك جرأة غير عادية صنع نفسه من الصفر، بنى أحلامه وسار فيها عبر مسالك وعرة.

شاءت الصدف ان أحضر الى الكويت عام 1976 هرباً من الحرب

الاهلية المستعرة، ويذهب هو الى "لندن" هرباً من بطش النظام السوري في مرحلة هجرة الصحافة اللبنانية الى الخارج...

التقينا في فندق الشيراتون بالكويت بعدما كان في زيارة معتادة له لهذا البلد وهو الذي ارتبط به منذ العام 1954 وجاء بدعوة من صديقة الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح عندما كان يتولى دائرة الإرشاد والأنباء.

في هذا اللقاء الذي استدعى فيه قيادات "الحوادث" المتواجدين في بيروت للإجتماع بهم ومنهم اسماعيل الصوفي مدير الإعلان وألكس أيوب المدير العام ووليد عوض مدير التحرير وآخرين ليتناقش معهم وضع المجلة، بعدما تعذر عليه النزول إلى بيروت، خوفاً من أن تطاله يد النظام السوري، هنا جلسنا في غرفة مطلة على البحر وكان إلى جانبه مدير تحرير القبس الأستاذ رؤوف شحوري وهو من عمل معه سنوات سابقة والزميل وفاء دعبول.

بادر الأستاذ شحوري كنوع من التقدير لشخصي بالتعريف عني ... فما كان منه إلا أن استبق الكلام وقال .. هذا أحد أبناء "الحوادث" الذين نعتز بهم من جيل الشباب..

هنا وجه سؤاله لي .. ماذا تفعل هنا "يا .... " وبأسلوبه اللاذع! هل تشم هواء أشجار الصنوبر بالكويت؟ أجبته ... للسبب الذي أنت فيه يا أستاذ ... انفض اللقاء وعدت إلى عملي في "القبس" على أمل أن تنتهي الحرب في لبنان! لكن تجري الرياح بما لاتشتهي السفن .. وتحدث الصدمة، بإغتياله عام 1980 وهذه قصة أخرى ترقى إلى فعل جرائم بحق الإنسانية.

قبل إغتياله وفي منتصف السبعينات، روى لي الزميل أحمد البوز عندما كان برفقة "الأستاذ" في البحرين، ومقابلته للشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة وكذلك رئيس الوزراء والذي بدوره أفصح له" أنت شخص عزيز لدى الأمير، ويرغب أن يقدم لك هدية، ناوله مغلف، وعندما وصل الفندق فتحه بحضور "البوز" وإذا به عبارة عن رسالة موجَّهه إلى وكيل شركة مرسيدس

في لبنان "أبناء غرغور" يطلب منهم اعطاءه سيارة مارسيدس موديل 282L ، وبمجرد وصوله إلى بيروت استلمها ... لكن النهاية المأساوية التي تعرض لها كانت في هذه السيارة عندما جرى إختطافه عن طريق مطار بيروت، بعد أن عاد من لندن بشكل مفاجئ، لحضور جنازة والدته فاطمة ياسين غير عابئ بالتهديد الذي تلقاه من "جماعة النظام السوري" .. فكانت جرأته تصل إلى حد التهور!

تفاصيل الإغتيال معروفة، والتعذيب الجسدي والسادي الذي تعرض إليه بات أيضاً معروفاً وكيف تم تجريم لحم يده اليمني التي يكتب فيها وإبقاءها على العظم، ووجود جثته مرمية في أحراش عرمون بعد تسعة أيام من إختطافه والعثور على الجثة عن طريق راعي غنم.

المعلومات المتواترة ومن الوسط الصحفي تفيد بأنه سحب إلى قصر السعديات بعدما أطلقوا سراح زوجته السيدة أمية والتي كانت برفقته بالسيارة متوجهين إلى مطار بيروت.

وكان تحت مراقبة علي دوبا (المخابرات السورية) وأحمد جبريل (القيادة العامة -الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) وهناك تعرض للتعذيب وتجريم يده اليمني بعدها تم نقله ورميه في أحراش منطقة عرمون، عندما هم أحد كلاب الراعي بشم رائحة غريبة دفعته إلى النباح، ليذهب بعدها الراعي إلى "مخفر قبر شمون" ويدلي بشهادته!

يوم 7 مارس 1980 ظهرت "الحوادث" باللون الأسود حداداً على موته وتحت عنوان كلمة واحدة ... "قتلوه"... مع صورته وهو يبتسم!

قبل الاغتيال صدرت "الحوادث" بعددين، حمل الأول على الغلاف، عنواناً مثيراً هو "عندما يكذب النظام" والثاني "العقدة والعقيد" ...

هذا التوجه من الأستاذ سليم اللوزي، سبقه اغتيال لشقيقه مصطفى في طرابلس وكانت رسالة واضحة كتب عنها بقلمه... يقول فيها "وأنا في هجرتي الثانية في لندن، خسرت أخي مصطفى، ومصطفى برئ، وانا

المذنب، وإذا نجحت المخابرات العسكرية في تنفيذ الحكم الذي أصدرته بإغتيالي فإني أكون استحققت هذا المجد وعزائي لأسرتي أنني أحببت بلدي وأخلصت لمهنتي".

أنا حمزة عليان مدين لهذا الرجل فقد منحني فرصة الذهاب للدراسة المسائية أثناء العمل بخلاف الآخرين بالمجلة وتعلمت منه حب المهنة التي لازمتني طوال فترة العمر والسنوات التي أكملتها في مجلة "الدستور" وجريدة "السفير" في بيروت ثم "القبس" وجريدة "الجريدة" في الكويت وبينهما جريدة "الخليج" بإمارة الشارقة طوال فترة الاحتلال العراقي للكويت.

كدنا نذهب للهاوية ...
بسبب "الكوفية" و"الكلاشينكوف"

نالني في الفصل الأول من الحرب الأهلية في لبنان وكان الأشد عنفاً وقتلاً ما لم أكن أتوقعه وكاد يودي بحياتي، فقد عايشت أهوالها منذ 13 نيسان 1975 وهو اليوم الأول الذي يؤرخ بإشعالها عندما حصلت حادثة بوسطة عين الرمانة ولم تكن تحتاج إلا إلى عود الكبريت لإذكاء نيرانها... وهذا ما حدث فعلاً.

تحول مبنى "السفير" حيث كنت أعمل إلى ما يشبه "الثكنة" العسكرية، دِشَمٌ على المدخل، شباب يحملون السلاح، أينما ذهبت تجد مظاهر الحرب أمام عيناك.

كنت أتنقل بحذر شديد بين بيتنا في محلة الغبيري مروراً بمنطقة طريق الجديدة، عابراً حي الأونيسكو وصولاً إلى شارع فردان، ذهاباً وإياباً، أحياناً أعبره سيراً على الأقدام وأحياناً أخرى بسيارة الأجرة إذا توفرت! كنا نعيش ليومنا، نخرج من البيت ولا نعرف إذا كنا سنعود أحياء أم لا؟ نقطع الشوارع تحت زخات المدافع والقذائف وهي تتساقط علينا كالمطر! جبهات عسكرية على مد النظر، وأخبار القتل والذبح على الهوية من مستلزمات الحرب التي أسقطت كل القيم والمعايير .. أخرجت من أحشائها ما حملته طوال سنوات "التعايش المزيف"، أوساخ الطائفية والعنصرية ورمت فيه في الأزقة والسراديب.

وفي زحمة الأحداث جاءني صاحب جريدة "السفير" أوائل 1976 الأستاذ طلال سلمان طالباً مني الذهاب وبسرعة إلى منطقة "الدورة" لإلتقاط صورة لمصنع "سليب كونفورت" وهو يحترق والوقوف على ما يجري هناك.

تصادف أن كان عندي الصديقين غسان النابلسي ونبيل داوود فاستعنت بهما وبصحبة صحفي مصور شاب دخل عالم التصوير مؤخراً ويدعى زين الحسيني وتوجهنا سوياً بسيارة "الرفيق" غسان وهي من نوع "بيجو" بإتجاه ألسنة الحريق الذي كان يغطي سماء بيروت!

سلكنا أقصر الطرق ودخلنا من ناحية "سينما الأوبرا" لنختصر المسافة وإذ بأول حاجز يظهر أمامنا فجأة عناصره من حزب الكتائب، وهو الحزب الذي كان يتصدر الساحة دفاعاً عن "الوجود المسيحي" تجاه "الغرباء" و"الأجانب" و"اليسار" و"الفلسطينيين"!

سألنا الشاب المسلح، من أنتم وإلى أين ذاهبون، أجبناه .. إلى منطقة الأشرفية .. إنتظرناه قليلاً .. لإعطاءنا إشارة السماح بدخول منطقة "محرمة" علينا!

لكنه سارع للتحدث بجهاز اللاسلكي الذي يحمله مخبراً زملائه في المنطقة بمواصفات السيارة ومن فيها ليأخذوا حذرهم منها وحدد لنا وجهة السير الإجبارية.

ما أن ابتعدنا قليلاً حتى بادر "الرفيق" غسان بالإفصاح عما يخبئه في السيارة وشعرت أن ملامح وجهه بدأت تتغير استوضحناه سريعاً، ماذا؟ أخبرنا، قال يوجد كلاشينكوف وكوفية فلسطينية!

في هذه اللحظة ساد صمت مهيب وصرنا نهذو بالكلام وبأن حياتنا الأن في خطر وربما لانعود من حيث أتينا كادت الأرض أن تبتلعنا ... سيارة فيها كوفية فلسطينية وكلاشنكوف وثلاث شباب يعملون في صحيفة "السفير" ... هذا يكفي لسوقنا إلى حافة الهاوية والتخلص منا في أحد السراديب ... أصبنا بالدوار وإرتأى "الرفيق" غسان وبرباطة جأش أن ندخل "الزواريب" بعيداً عن الطرق العامة حتى لا نقع "ضحية سهلة" لحاجز ينتظر "الفريسة"!

تابعنا السير من "زاروب" إلى آخر، إلى أن وصلنا إلى حي كرم الزيتون

بآخر منطقة الأشرفية ومن هناك أطلينا على محيط قصر العدل، وأكملنا سيرنا حتى وصلنا "بر الأمان" وما بعد حاجز "العدلية" والمتحف !
هنا انفرجت أساريرنا و"تشهَّدنا" لتنفجر الكلمات بوجه "الرفيق" الذي كاد أن يأخذنا إلى القبر! نزلنا من السيارة وجلسنا على الأرض نلعن الساعة التي أوصلنا فيها إلى هذا المكان وصاحب "السفير" كذلك وبسببه كنا أصبحنا في عداد الشهداء!
إفترقنا كل في طريقه وبقيت الحادثة عالقة في الذهن، نستعيدها كلما إلتقينا مجدداً بعد فراق في بيروت!

مشهد لا ينسى
بعد حرب 5 حزيران 1967

في سنوات ما بعد "النكسة" وحرب الخامس من حزيران عام 1967 تحول لبنان إلى ميدان مفتوح للمواجهة بين الفلسطينيين والإسرائيليين...
وبالرغم من بقائه رسمياً كدولة ذات سيادة على "الحياد" مكتفياً بإعلان حالة الطوارئ والطلب من المواطنين طلي أضواء السيارات والشبابيك الزجاجية بالدهان الأزرق! إلا أنه كان الجبهة الوحيدة إضافة إلى الأردن التي تقاتل فيها ومنها المقاومة الفلسطينية "عدو العرب" ...
تعاطف قسم كبير من الشارع اللبناني مع الفدائيين الفلسطينيين وكانت هناك تحالفات واسعة مع اليسار والتيار الإسلامي والناصري.
إنتشرت قواعد عسكرية للمقاومة في بيروت والجنوب تحديداً وتحولت مناطق بأكملها إلى أراض خارجة عن سيطرة الدولة والجيش، وكان يطلق عليها "فتح لاند" و "عرقوب لاند" .
عشنا في ظل الكفاح المسلح وتحرير فلسطين من البحر إلى النهر، شباب ينشدون التحرير والثورة وكنت منهم وإلى جانبهم .
بيروت صارت أهم قاعدة عربية للمقاومة الفلسطينية، مراكز أبحاث، كل الفصائل والقيادات تتخذ منها مقراً لها؟ من أبوعمار إلى جورج حبش ونايف حواتمة ، وأبو إياد وأبوجهاد ...
"عدَّة النضال " تجمعت في الأحياء السكنية، مكاتب ، مخازن أسلحة، مقار لمجلات تصدر منها...!
توالت الإعتداءات الإسرائيلية الموجعه على لبنان، كان يتلقى الضربات دون أن تتوفر له القدرة على الرد، غارة على مطار بيروت تدمر طائرات الميدل إيست عام 1968، قصف متكرر على قرى وبلدات في الجنوب.

أتذكر يومها ذهب سليم اللوزي صاحب مجلة "الحوادث" وبرفقته العميد ريمون إده زعيم المعارضة آنذاك في جولة تفقدية إلى مدينة النبطية وعلى طول الساحل وصولاً إلى مدينة صور صدرت بعدها المجلة وموضوعها الرئيسي "الغلاف" صورة تعبِّر عن المناسبة وقال فيه وبما معناه "نحن على إستعداد للتضحية بمدينة النبطية مقابل أن يحصل الفلسطينيون على شبر واحد من الأرض، من وراء قصف المستعمرات الإسرائيلية بصواريخ الكاتيوشا، أما إذا كانوا يريدون تحويل لبنان وجنوبه ساحة للمبارزة فإننا نرفض السكوت والبقاء على هذا الحال، لأننا نحن وحدنا من سيدفع الثمن" وأنا في خضم تلك الأجواء كنت أحرص على التواجد في قريتي مع كل فرصة تتاح لي بنهاية أسبوع من العمل في مجلة "الحوادث" .

شاءت الظروف أن أشهد في حينه أول "مجزرة" إسرائيلية تحدث أمام عيناي وكانت على الطريق العام المؤدي إلى بلدة "جويا" وفي السهل المجاور .

عندما استوقفت دبابة إسرائيلية تم إنزالها جواً سيارة مدنية تقل ركاباً مدنيين، نساءاً وأطفال، هاربين من القصف الإسرائيلي الذي طال بلدتهم "تولين" وضواحيها حيث مقرات المعسكرات الدائمة للفدائيين الفلسطينيين "بوادي السلوقي" ..

في لحظتها سارعت تلك الدبابة إلى سحق السيارة وبمن فيها وتسويتها بالأرض، أي أنها قامت بمسحها ولم تبقي فيها على أثر من حديد أو بشر!

يومها كانت المعارك تدور بين الجيش اللبناني وجنود إسرائيليين في محيط تلك المنطقة والأودية القريبة، وكنت عائداً إلى بيروت استوقفني الحادث المروع، ووقفت مفجوعاً وخائفاً أمام تلك المجزرة، لتظهر اللقطة في اليوم التالي بإحدى الصحف، واقفاً أمام السيارة المحترقة والخوف بادياً على وجهي، فكانت صورة مثيرة بقية محفورة بالذاكرة.

مزاج "الأستاذ" وكرسي الإعتراف؟

وأنا في طريقي إلى وسط العاصمة "الداون تاون" كما صارت التسمية دارجة في مرحلة ما بعد الحداثة لمدينة بيروت . تأخذني السيارة بإتجاه خط طريق الشام القديم، (منطقة الناصرة) وعلى أطراف منطقة الأشرفية، ماراً بنزلة ذاك الشارع الذي طبع في ذاكرتي، محلات "الباز" وكذلك محلات "النار والنور" ومدرسة "دير المخلص" التي انتسبت إليها للدراسة بالفترة المسائية،

يقابلها محل "فلافل صهيون" وعلى الجهة الثانية من الشارع مكتب "لزنكوغراف" عزالدين وفائي وهو من الأسماء المشهورة في عالم الزنكوغراف وكذلك مؤسسة "ورطان" وتلك مرحلة أولية بالطباعة، تتم فيها حفر الكليشيهات وكانت الألواح تصنع من الزنك وتستخدم معها ورق شفاف "كالك".

ذاك المكان الذي لم يبارحني طوال الستينات عندما كنت أعمل في "الحوادث" وأذهب إليه حاملاً مغلف المواد والصور والعناوين المعدة للنشر لصناعة ألواح من الكليشيهات لغرض الطباعة وانتقل من "المزرعة" إلى خندق الغميق، مستقلاً الترامواي الذي يوصلني إلى البسطة التحتا ومنها مشياً على الأقدام إلى "مصنع الصحافة" .

هناك وفي منتصفه ارتفعت بناية حديثة تشبه "المول" التجاري المودرن إكتست بألوان زاهية تعرف بإسم بناية الكمال كان الطابق الأول منها لمجلة "الدستور" حيث إلتحقت بها عام 1972 لصاحبها الأستاذ علي بلوط، بعد خروجنا من "الحوادث مع مجموعة من الزملاء ومنهم: إبراهيم سلامة وغسان كنج، وزهير سعادة ...

لم أكن أعرف صاحبها من قبل أو أعمل معه وإن كان إسمه ضمن الصحفيين اللبنانيين الذين دخلوا مؤخراً قائمة أصحاب الصحف ...

إستهواني العمل مع الأستاذ إبراهيم سلامة أكثر من غيره وكان يدير المجلة ويشرف عليها، تصادف أن أكون جاراً له وقريباً من المصور المحترف والصديق زهير سعادة.

طوال سنة ونصف تقريباً، عملت فيها بقسم الأرشيف، زاملت عدد من أبناء المهنة المحترفين أمثال طوني قرداحي، وخليل فليحان ومحمد كعوش ونبيل أبوحمد ونزيه كركي وإلى جانبهم شقيقي يحيى عليان بقسم الإخراج الفني، إلى إلياس منصور (مدير التحرير) وعبارته المشهوره وبلكنته الجبلية "شو الشباب .. مشهلين" وزوجته هدى المر وآخرين لم تسعفني الذاكرة لإستحضار أسمائهم.

مجلة "الدستور" وكما عرفت في حينه أن هواها ومصادر تمويلها عراقية، وهذا أمر ليس بسر مدفون لا يعلم به أحد ،فتحديد هوية الممول في ذاك الوقت من شأنه معرفة التوجه وعدَّة الشغل والبوصلة التي تسير عليها المطبوعة، ولذلك لم أفاجأ بتخصيص مكتب يدخل إليه شخص نسيت اسمه من الجنسية العراقية بين وقت وآخر، يستدعي صاحب المجلة يختلي به ثم يهم بالخروج؟

في هذا المكان تعرفت على الأستاذ غسان كنفاني والذي التجأ الى مكاتب "الدستور" بعيداً عن الأضواء بعدما أصبحت حياته مهددة بالخطر للمرة الأولى من المخابرات الإسرائيلية التي لجأت إلى الإغتيالات وكان لبنان مسرحاً لها، عندها جرى ترتيب مكان أكثر أمناً من التواجد بمكاتب مجلة "الهدف" في كورنيش المزرعة والتي يسهل على الإسرائيلي الوصول إليها..

وهذا كان بنصيحة قدمها النظام العراقي بحكم العلاقة القائمة بين الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والنظام في بغداد ...

مجلة "الدستور" دخلت شارع الصحافة وبمنافسة قوية مع المجلات الأسبوعية ذات الطابع السياسي، "كالحوادث" و "الصياد" و "الأسبوع العربي" و"كل شيء" وغيرهم.

إستعان الأستاذ علي بلوط بالزميل إبراهيم سلامة بإعتباره من الصحفيين والكتاب المخضرمين والقادرين على إدارة مطبوعة تستطيع أن تأخذ مكانة لها في سوق التوزيع والإعلان والقراء.

إدارة التحرير أسندت إلى الزميل الياس منصور والذي له تاريخ ممتد من العمل بالصحافة، جاء الكويت في الستينات مع زوجته ولم يستمر طويلاً، كان يتمتع بأخلاق عالية لكنه شديد التنظيم في حياته المهنية بحيث يمكنك ضبط أوقاتك ومعرفة مواقيت الساعة من لحظة دخوله المكتب إلى لحظة إنصرافه منه ولهذا كان الأستاذ إبراهيم سلامة يتعجب من هذا السلوك، كأنه يعمل موظفاً حكومياً في وزارة الأسغال، بحسب وصفه، وفي أحد المرات حصلت أحداث إضطرته إلى تغيير غلاف المجلة في اليوم الأخير قبل الطبع وعندما سأل عنه، أبلغوه أنه خرج! نظر إلى ساعته وقال ... يا أخي إضبطوا صدور المجلة على ساعة بيغ بن لصاحبها إلياس منصور؟ فلا يعقل أن يعمل في الصحافة ويتصرف هكذا!

ضابط الإيقاع في المجلة هو"الأستاذ إبراهيم"، فعنده الكلمة الأخيرة والصانع الأكبر في ولادة المجلة.. جاء يوماً "بطلب غريب" جعل "الأستاذ علي" في حيرة من أمره لا يدري ماذا يفعل؟

الطلب تأمين كرسي خاص بلون أبيض، يستخدمها عادة أطباء الأسنان في عياداتهم وهي من النوع الطويل والمتحرك والذي يسترخي عليه المريض ممدداً جسده بالكامل!

وصل الطلب إلى مكتب صاحب المطبوعة، استدعي على أثره، "أركان عائلته" المحيطين... أتذكر منهم "أبونعمان" الكبير بالسن و شقيقه سامي وبالطبع زوجته الفاضلة السيدة سامية بعلبكي شقيقة الأديبة ليلى بعلبكي،

لسؤالهم عن حقيقة هذا الطلب، وهل هو جدي أم أنه في عداد المزاح؟ دخل وسطاء على الخط، لكن طلبهم قوبل بالرفض والإصرار من قبل "الأستاذ إبراهيم" على ذلك ووضعه كشرط للإستمرار في العمل؟ إما الكرسي أو الخروج من المجلة؟

لم تطل الغيبة كثيراً فقد تم تجهيز غرفة خاصة وإحضار "كرسي الإعتراف" لصاحب المزاج الذي كان يأتي أحياناً عند الفجر، يأخذ إستراحة قليلة، يتمدد عليها ويفتح إذاعة الـ "أف أم" مستمعاً لموسيقى أرمنية يستمتع بها دون أن يكون له علم أو صلة بتلك اللغة..!

يترك الصوت يصدح في صالة التحرير على أن يصحو "الأستاذ" ويستعيد نشاطه وتبدأ دورة العمل بعدما يعدل الجو وتصفو النفوس!

سأعود إلى بيروت

ذاك اليوم وفي شهر الرابع من العام 1976 تحولت بيروت والقسم الغربي منها إلى ميدان للتقاتل والمواجهات بالمدفعية والقذائف واشتعلت الساحات بحيث لم تعد تميز من أين تتساقط القذائف؟

كنت في طريقي من مبني جامعة بيروت العربية بمنطقة "طريق الجديدة" متوجهاً إلى مبني صحيفة "السفير" بالحمراء، وكان علي إجتياز منطقة الأونيسكو وشارع فردان ورحت أختبيء من بناية إلى بناية أخرى هرباً من قذائف جيش لبنان العربي بقيادة أحمد الخطيب والجيش الشرعي وبينهما، عدد من الميلشيات والمسلحين الذين حولوا بيروت إلى "مستودع للمجانين" ...

ساعات من الإختطاف القسري عشتها معذباً وأنا أختبئ من الموت الذي يطاردني دون توقف إلى أن وصلت "بطلوع الروح" إلى "الزاروب" الذي يوصلني بمبني "السفير" ...

انتحيت جانباً ورميت بنفسي على إحدى مقاعد الإستقبال أحاول أن أستجمع قواي وأتمكن من التحدث .

بعدها بنصف ساعة تقريباً وقفت على قدماي وتوجهت مباشرة إلى مكتب الأستاذ طلال سلمان مبدياً إستغرابه، ماذا بك؟ أجبته .. لن أبقي في هذا البلد وسأتركه وأرحل خلال أيام، لأنه لن ينفعني أن تنشر لي صورة غداً مع خبر في بضعة أسطر حول إستشهادي أو وفاة الزميل فلان ... ومن أجل من تريدني البقاء؟ عندي عائلة وأهل وأنا أعيلهم، وموتي لن يعوضهم بشئ ، ثم خرجت رأساً دون أن أسمع منه كلمة.

كانت أهوال الحرب تزداد بشاعة والذبح على الهوية، ولم يكن أمامي من خيار سوى البحث عن بديل أجريت عدداً من الاتصالات ووقع الاختيار على الكويت نظراً لوجود عدد من الزملاء عملنا معاً في الصحافة وشقيقي الأصغر مني "يحيى" سبقني إلى هنا..

عدت من جديد لأتقدم بإستقالة مكتوبة ، وضعتها أمام رئيس التحرير والذي راح يروي لي ما حدث معه عام 1963 عندما جاء الكويت ليعمل في مجلة "دنيا العروبة" لصاحبها عبدالعزيز المساعيد وكانت لديه أحلام "زرعها" في الصحراء ثم عاد إلى بيروت.

أجبته .. أنت أعطيت نفسك فرصة وجربت ... لماذا لا تمنحني هذه الفرصة، وكلها ستة أشهر أعود بعدما تكون الحرب الأهلية قد إنتهت، وأنا ذاهب أصلاً إلى بلد عربي، يشبه إلى حد كبير، ظروف لبنان من حيث الحريات الصحفية ومستوى المعيشة ...

وفعلاً حزمت حقائبي وغادرت بيروت وأنا حزين ومكسور الخاطر على ما وصلت إليه الأمور، وذهب الرئيس اللبناني المنتخب إلياس سركيس ليحلف اليمين في بلدة شتورا في سهل البقاع لصعوبة الوصول إلى مبني مجلس النواب في ساحة النجمة في بيروت.

كان ذلك في شهر مايو 1976 وبدلاً من الأشهر الستة استمر العيش والبقاء في الكويت وفي "القبس" مدة 43 سنة متواصلة!

لقد إنطبق علي المثل القائل "من يأكل من عين "النقرور" ما بيطلع "خارج السور"! والنقرور نوع من السمك المرغوب فيه على موائد الطعام عند أهل الكويت.

خَبيبي .. إنت وين يروح

كنت ولاأزال أكره الحروب وأهرب منها، وأنا أحد الذين "طفشوا" من وطنهم بسببها، وفي الفترة التي عشت فيها بلبنان لاحقتنا مآسي الصراعات والمواجهات العسكرية، وأخذنا منها "النصيب" ...

وعندما جئت إلى الكويت في السبعينات إبتعدت عنها لكنني بقيت على تماس مباشر لما يحدث في بلدي.

وقعت حرب 1982 واحتلت بيروت من قبل "جيش الدفاع الإسرائيلي" أول عاصمة عربية لتسقط بأيديهم، تعرضت إلى أطول حصار استمر لمدة شهرين، كنت في حينه أتابع وأكتب تحقيقات عن ما يجري من أحداث بدءاً بالحصار ووصولاً لإنتخاب بشير الجميل رئيساً للجمهورية ثم إغتياله وإنتهاءاً بمفاوضات 7 أيار 1983 و "إتفاقية السلام" مع إسرائيل وإنسحابها من بيروت بعد مجازر "صبرا وشاتيلا" والتي قادها أرييل شارون وزير الدفاع حينذاك ...

لم تسمح لي الظروف بالسفر إلى بيروت مع عائلتي صيف عام 1982، وإن كنت فقدت والدي قبلها بسنة ورزقني الله مولودة أسميتها "إيمان" .

صيف 1983 حزمنا حقائبنا إستعداداً لقضاء إجازة الصيف في لبنان، بعد أن زاد عدد أفراد أسرتي بمجيئ إبني فؤاد (30 مايو 1983) .

لم نشأ المبيت في بيروت، بل أكملنا طريقنا من المطار إلى مسقط رأسنا في بلدتنا "قلاوية" الواقعة بالقطاع الأوسط من الجنوب.

سلكنا طريق صيدا – الزهراني صعوداً بإتجاه نهر الليطاني إلى أن إجتزنا حدود النهر وإقتربنا من قرية تدعى "الغندورية" هناك استوقفنا حاجز للجيش الإسرائيلي الذي بقي محتفظاً بشريط طويل من الأرض اللبنانية لحماية مستعمراته و"أراضيه" من هجمات الفلسطينيين الذين تم إبعادهم عن لبنان برعاية أميركية وجرى توزيع مقاتليهم على تونس واليمن والجزائر بسفن بحرية انطلقت من ميناء بيروت.

أول مرة في حياتي أواجه أفراداً من الجيش الاسرائيلي شعرت بالرهبة والخوف فعلاً، وبدأت مخيلتي تبرز صوراً متعددة عن حالة الجندي السوبرمان، كيف هو؟ ترى ما شكله؟ لحظات مرت سريعاً تقدم من السيارة أحد الجنود، يتكلم العربية رافعاً سلاحه "العوزي" يطلب "هوياتنا" ويسأل عن وجهتنا ... "خبيبي" كما ينطقها بالخاء، أنت وين يروح" قالها وهو يصطنع الإبتسامة! ثم نظر إلى ما بداخل السيارة، وقع نظره على كيس من فاكهة الموز، طالباً أن نعطيه منه، وسأل عن الحلوى وسجائر المارلبورو؟ إنفرجت أساريري وشعرت أنني أمام شخص مختلف عما رسمته في عقلي... ذاك الجندي الصارم والمخيف والمدجج بالسلاح الذي يهبط علينا بالباراشوت وكأنه من كوكب آخر، بل وجدت عسكري عادي يستعطف منحه "حبة موز" من أناس يعيشون تحت جبروتهم وقوتهم العسكرية.

تابعت طريقي وأنا أفكر بالصورة التي طبعت في أذهاننا عن الجندي الإسرائيلي وبأنه "السوبر الذي لايقهر"! لكني رأيته بشكل أخر "من لحم ودم" وكانت أول وآخر مرة أتواجه فيها مع "وجه عدو" بقينا على مدى عقود نتقاتل معه عن بعد!

اليهودي "مزراحي" قادني إلى قصر العدل

بدأت عملي في الصحافة من بوابة "الأرشيف" وإن كنت أستعين بأصدقائي الذين يعملون في المطابع لمساعدتي بعمل يوفر لي دخلاً مالياً يعينني على تأمين معيشتي ومصروفي ودفع أقساط دراستي.

أول محطة لي كانت في مجلة "الحوادث" بعد أن فشلت بالعمل "غرسون" أي-نادل- في مقهى تابع لمجلس المشاريع الإنشائية الكبرى، من الأسبوع الأول، وكان ذلك في شهر نوفمبر عام 1964 .

تدرجت في مواقع الوظيفة واكتسبت خبرة لا بأس بها وأصبحت متمرساً بهذه المهنة وما تتطلبه من مهارات واحتياجات، اختبرت جيداً طريقة عمل بطاقات الفهرسة ، ملفات المعلومات وطرق التصنيف المتبعة .. وبالممارسة صار لدي مستوى من الأداء أتيح لي أن أحظى بعناية خاصة من صاحب المجلة الأستاذ سليم اللوزي، والذي سمح لي بالخروج يومياً ومبكراً من المجلة كي ألتحق بالمدرسة (مرحلة البريفه والبكالوريا) بالفترة المسائية.

عاصرت مجموعة من الصحفيين والكتاب الكبار و تعلمت منهم الكثير أمثال السادة: شفيق الحوت، إلياس سحاب، رياض شرارة، إبراهيم سلامة ، رضى خوري، محمد النقاش، أمين الأعور، وليد عوض، نبيل خوري، ليلى الحر، نيازي جلول، برهان كبارة، وبالطبع الأستاذ الكبير سليم اللوزي .. الذي أدين له بالفضل بأن كان خير أستاذ لي في حياتي المهنية.

كنت من "الجنود المجهولين" كما يسمونهم، أؤدي وظيفتي وأحرص على تطويرها، مجتهداً بتقديم ما هو أفضل في حقل المعلومات وتنوع المصادر والصور المناسبة للموضوعات والتحقيقات التي تنشر في المجلة ... كان منها تحقيق حول "يهود وادي أبوجميل" والذي ساهمت فيه من حيث البحث

وتوفير الصور والمعلومات المطلوبة وكان ذلك في العام 1966.
بعد مضي أسبوع تقريباً من النشر أخبرتني سكرتيرة صاحب المجلة أن "الأستاذ" يريدك فوراً .. دخلت مكتبه في الطابق الثاني وكنت مجاوراً له ... وإذ به يقول أنت مطلوب للمحكمة! لم أصدق ما سمعت استفسرت عن الموضوع، فشرحه لي وزودني بتوجيهاته وبالأجوبة التي سأدلي بها في المحكمة أمام القاضي ... أما القضية المرفوعة ضد "الحوادث" وطالت صاحبها والكاتب رياض شرارة وأنا بصفتي شريك بالموضوع والمزود للمعلومات والصور فهي عن أحد اليهود اللبنانيين من عائلة "مزراحي" يتهم فيها المجلة بالتشهير بشخصه والإساءة إليه مطالباً بتعويض أدبي ومادي! تم تبليغي رسمياً من قبل المحكمة وبواسطة المخفر بالحضور، وبالفعل قمت بالتجهيز للجلسة واستدعاني مرة ثانية "الأستاذ" وبحضور رياض شرارة ومحامي المجلة جميل مكاوي ... للإتفاق على أن تكون أجوبتنا مختصرة ومتوافقة .
وفي اليوم المحدد ذهبت لأول مرة في حياتي إلى مبني قصر العدل وجلست في المقاعد المخصصة ملتزماً بالتعليمات ... وعندما نودي على إسمي وقفت وأجبت على أسئلة القاضي .. وحمدت الله أنني أديت "الواجب" دون إرباك أو تغيير، وخرجنا معاً من قاعة المحكمة مستبشرين بعدالة القاضي، والذي صدر حكمه لاحقاً بتعويض "المزراحي" مادياً.
وعلى ذكر يهود لبنان، فقد كنت على صلة بهم لكن عن بعد فشقيق صديقي سعيد السردوك ويدعي محمد السردوك كان مسؤولاً عن عمارة يعمل ويسكن فيها بوادي اليهود أو "وادي أبوجميل" كما تسمَّى، قرب محلات الأرلكان، وكنا نتردد عليه بإستمرار ونقضي الساعات برفقة أصدقائي القريبين مني جداً أيام الدراسة وهم رفقاء العمر ،سعيد السردوك وغسان النابلسي و نبيل داوود وفاروق كلش.

عمارة "السردوك" (مجازا) تقع بجانب منازل اليهود وفي محيطهم، ولديه علاقات طيبة جداً معهم، يروي لنا حكايات تتصل بعاداتهم وأعيادهم، إضافة إلى أن قريب من عائلتي أيضاً كان يعمل في المكتب الثقافي الفرنسي والمهتم بالآثار والتنقيب عنها في لبنان والذي كنا نزوره بين وقت وآخر في "وادي أبوجميل" ولهذا نشأت بيني وبين اليهود علاقة مودة .. لكن دون معرفة شخصية مباشرة ...

محطات الفصل الثاني بالصور

مع أسرة صحيفة السفير اللبنانية شهر مارس عام ١٩٧٥.

أثناء عملي في مجلة الدستور اللبنانية لصاحبها الاستاذ علي بلوط بعدسة المصور زهير سعادة

مع الدكتور حسان دياب عندما كان وزيرا للتربية و أصبح فيما بعد رئيسا للوزراء أثناء زيارته للكويت ومع الدكتور هيثم كباره «أبوباسل»

مع الأستاذ والزميل سمير عطاالله في مطعم روتانا في بيروت عام ٢٠١٩

في منزل السفير اللبناني لدى الكويت الدكتور بسام النعماني والزميل أحمد البوز عام ٢٠١١

حفل عشاء أقامه السفير بسام النعماني على شرف الوزير طارق متري ويبدو الزميلة سميرة فريمش والأديبة هدى النعماني والدة السفير

زيارة السيدة رباب الصدر إلى الكويت وتكريمها من قبل الصديق والسفير اللبناني في الكويت الدكتور خضر حلوة ويبدو الزملاء : سميرة فريمش وخالد الشرقاوي .

في مقهى ببلدة حصرون اللبنانية مع الأصدقاء الدكتور خضر حلوة – غسان النابلسي – نبيل داوود عام ٢٠١٩ .

مع أصدقاء الدراسة والشباب في صورة جمعتنا بمدينة طرابلس شمال لبنان وهم سعيد سردوك – غسان نابلسي – نبيل داوود.

المنزل البريطاني الذي سكنت فيه أثناء دورة باللغة الإنجليزية لمدة شهر في مدينة Eastbourne عام ١٩٨٥ .

لقاء في منزلنا بالكويت يجمع: حسن عليان المرحوم السفير أحمد غيث وعلي الخليل وفيصل خاجة وام فؤاد والقنصل اللبناني فرح سبليني وحمزة عليان وسلمان عليان

أمام بحيرة كاترين في أدنبرة عام ١٩٨٥

في السفارة اللبنانية في الكويت أثناء الإعتصام الذي أقيم تضامنا مع لبنان بوجه الإعتداءات الإسرائيلية مع خالد قطمة وابنتي إيمان وخضر دبوق وغسان جابر .

مصافحة رئيس وزراء لبنان نجيب ميقاتي بدارة السفير اللبناني لدى الكويت خضر حلوة.

مع نقيب الصحافة اللبنانية محمد بعلبكي في فندق الشيراتون بالكويت عام ٢٠١٤.

صورة جماعية أمام مبنى "الحوادث" في منطقة عين الرمانة عام ١٩٧٠ يتقدمهم الأستاذ سليم اللوزي والزملاء العاملين في المجلة.

في مكاتب مجلة "الدستور" عام ١٩٧٢ بعدسة زهير سعادة

صورة عائلية تجمع الزوجة والأبناء : رانية - إيمان – فؤاد – سلمان

الجمهورية اللبنانية
وزارة العدلية

مذكرة جلب
(للمدعي عليه)
امام المحكمة

عدليه النموذج ١٢ – ١٩٦٥

رقم الدعوى ٦٦/٢٢ من محكمة

اسم المدعي عليه وشهرته واوصافه المميزة ومحل اقامته حمدي سلمان علبيكان

مجلة الحوادث - كورنيش المزرعة - مقابل ابو شقرا

يقتضي حضورك الى هذه المحكمة في الساعة ٩ من يوم الاثنين

الواقع في ١٠/١٠/٦٩ لبيان دفاعك بالدعوى المقامة عليك من محمد القدلوني

بمادة نشر اخبار كاذبة واستجوابك فيها مع اعلامك بانك اذا تخلفت عن الحضور في الموعد المذكور تحاكم غيابياً وفقاً لاحكام المادتين ١٥٣ و ١٧٨ من اصول المحاكمات الجزائية .

في ٨/١٠/ سنة ١٩٦٩

يجب ابراز هذه المذكرة حين الحضور الى المحكمة

مذكرة جلب للمثول أمام المحكمة بتهمة نشر أخبار كاذبة عن اليهودي مزراحي، عندما كنت أعمل في مجلة "الحوادث" عام ١٩٦٩.

في مكتبي بأرشيف مجلة "الحوادث" عام ١٩٦٦

أثناء عملي في أرشيف جريدة "السفير" عام ١٩٧٤

الفصل
الثالث

رسمتُ خطاً في حقول الألغام

- لا تقترب من الماسونية حياتك في خطر
- الخرائط الجغرافية أيام حرب الثماني سنوات
- سَنَدُكْ "أتاتورك" بصواريخ الحسين!
- ممر الدبابات بإتجاه البصرة
- خلّي عينك على الملحق الإعلامي العراقي.
- أحداث صادمة، ليس كل شيء على ما يرام.

لا تقترب من "الماسونية"... حياتك في خطر!

عام 1988 فكَّرَتْ "القبس" بطرح موضوع "الماسونية" وتم تكليفي بعمل دراسة تنشر على حلقات وبمتابعة شخصية من نائب رئيس التحرير الأخ "بوخالد"، الأستاذ يوسف السميط تولى فيما بعد رئاسة مجلس إدارة "كونا" للانباء وشغل منصب وزير الإعلام.

طرقنا موضوع لم نكن ندرك عواقبه، كنا نظن أن الامر لن يتعدى "جماعة لها نشاط هدام متغلغلة في أرجاء العالم" على حد تعبير الأستاذ السميط، لكن الصورة تغيرت خلال فترة الإعداد والنشر التي توليتها فقد بدأت تتجمع لدي خيوط متشابكة عن هذه الحركة، وتظهر أسماء وشخصيات معروفة في الخليج العربي والعالم العربي يملكون حضوراً إعلامياً وسياسياً نافذاً ومؤثراً!

ولأن الماسونية بقيت مثار جدل وموضع خلاف شديدين بين مريديها وخصومها بشكل حاد، منذ النشأة، فالكتابة عنها ستبقي محفوفة بالمخاطر، طالما بقيت "السرية" طابعها الدائم وإن إرتبط الإسم بعمليات اغتيال مشبوهة وتورطها في فضائح ورشاوي سياسية ومالية.

حاولت الإجابة عن مجموعة من التساؤلات المشروعة بالدراسة، ماهي حقيقة الماسونية وغاياتها، هل هي جمعية خيرية إحسانية أم حركة سياسية سرية تعمل تحت شعارات الإخاء والمساواة؟ هل هي معادية للإسلام والمسيحية تحديداً أم مشروعها إبادة الأديان؟ وما مدى إرتباطها بالصهيونية واليهودية؟ وهل إنتشارها في العالم العربي كان بناءاً على دعوة فكرية أم نتيجة لنفوذ سياسي أجنبي وإحتلال إستعماري؟

واجهت مشكلة بنوعية المصادر وخصوصيتها، لأن المصادر التي كتبها ماسونيون تهدف إلى إظهار محاسنها والأخرى لا تحتوي على كل الحقائق، لأن جزء أساسي منها محاط "بالسرية".

أثناء نشر الحلقات الخمس في شهر يوليو 1988 تلقيت إتصال هاتفي من شخص مجهول يطلب التوقف عن النشر وبلغة التهديد!
أبلغت رئيس التحرير الأستاذ محمد جاسم الصقر ونائبه بالأمر وطمأنوني بالقول ... لا تخف نحن سنتصرف علمت فيما بعد أنهم أحاطوا جهاز أمن الدولة علماً بما حصل من باب الإحتياط ...
إستمرينا بالنشر وباليوم التالي، جائني إتصال آخر رسالة خاصة لي وضعت عند موظف الأمن بمبنى "القبس" مضمونها أن حياتي ستكون في خطر وعليك الالتزام بما تقول!
لم تأبه الصحيفة لهذا التهديد وأنجزنا مهمة البحث والنشر كما ينبغي إستنتجت بعدها أن هناك أسماء كويتية وبصراوية (نسبة إلى البصرة) وبحرينية منخرطة في هذه الحركة، تحفظت على البوح بها أو الحديث عنها وهو ما يعزز الأسئلة المشروعة التي طرحتها بالبحث عن "السرية" ودرجاتها المخيفة التي تتحكم بها وبنشاطاتها!

الخرائط الجغرافية ... أيام الحروب

إنخرطت الصحافة الكويتية بأحداث ويوميات الحرب العراقية -الإيرانية طوال ثمان سنوات (1981-1989) وكانت الشغل الشاغل لها، كأنها حدث كويتي بكل ما تعنيه الكلمة من معني .

كان التنافس بين الصحف الخمس (القبس-الوطن-السياسة-الأنباء-الراي العام) على أشده من يفوز بسبق صحفي أو لقاء مع قائد عسكري مرموق أو بتغطية ميدانية من الجبهة، يكسب أكبر عدد من القراء ويحظي بمعاملة مميزة من قبل العراق!

تبارزت الصحف فيما بينها على من يملك كوادر مهنية مؤهلة من كتاب وصحفيين ومصورين ومراكز معلومات ولم تشذ صحيفة عن التواجد في قلب المعركة ونقل ما يدور على الجبهات لاسيما جبهة الفاو والبصرة نظراً لقربها من الكويت.

كانت الخرائط الجغرافية من أدوات العمل الأساسية وملازمتها لتطور المعارك بحيث توضح للقارئ المواقع وأسماء المدن وإتجاهات الحرب.

تميزت "القبس" بوجود مركز للمعلومات يغذي الصحيفة بما تحتاجه من معلومات وخرائط ولديها قسم خاص بالخرائط الجغرافية المعتمدة وبأحجام مختلفة، فكانت الاستعانة بها وإبرازها على الصفحة الأولى وبالداخل يكسبها الكثير من المصداقية.

ذات يوم جاء إتصال من أحد العارفين والمعايشين للشأن العراقي منذ أربعينات القرن الماضي يسأل عن الجهة الصادرة منها خريطة للعراق تم نشرها تبين فيها جبهة "الفاو" وكانت منطقة مشتعلة على الدوام، أجبته أن الخريطة مصدرها وزارة الإعلام العراقية.

راودته شكوك حول النقص بأسماء المدن والمواقع الجغرافية واحتج عليها لما تحمله من أخطاء!

حاولنا أن نشرح له ونوضح طريقة العمل من الناحية الفنية واستعنت

بالمخرج الفني لمساعدتي، لكنه أصر على تعديلها، وجلسنا لأيام ، نعد ونرسم خريطة جغرافية جديدة تكون هي المعتمدة للنشر، تبين أن السبب وراء ذلك يكمن بمعرفته الكاملة بتلك المناطق.

وهكذا أصدرنا خريطة جديدة يعود الفضل فيها إلى هذا الرجل الوقور الذي يمتلك وثائق ومخطوطات نادرة عن منطقة الخليج والعراق، تعود إلى القرن السابع عشر.

ومن أجل زيادة الفائدة وتعميمها تم طباعة خريطة ملونة تحمل إسم القبس وزعت على القراء مع العدد اليومي كي تكون بمتناول الجميع تعينهم على تتبع أحوال الحرب ومساراتها.

يبدو أن قصة الخرائط بقيت تلازمنا إلى مرحلة ما بعد الحرب العراقية -الإيرانية ففي العام 2003 أيام الحرب التي قادتها أمريكا والحلفاء لإسقاط صدام حسين، شكلت الكويت القاعدة والممر الأساسي لقوات التحالف الدولي للدخول إلى العراق، فكانت نقطة الانطلاق من حدود مدينة البصرة وموانئها والمحاذية لدولة الكويت تماماً.

في حينه لمع إسم الجنرال الأميركي نورمان شوارزكوف كقائد عسكري يشار إليه بالبنان إلى جانب قادة أخرين أمثال الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود وأخرين إشتركوا معاً بساحة العمليات.. وهؤلاء رسموا الخرائط العسكرية الضرورية وحددوا النقاط الاستراتيجية وخطوط التموين وخلافه ...

غرفة عمليات قادة التحالف إنتقلت إلى "القبس"، بقيادة الزميل سهيل عبود الذي استنفر منذ الأيام الأولى للحرب، بأن طلب تجهيزه بعدد من الخرائط الموسوعية ذات الأحجام الكبيرة وباللغتين العربية والإنكليزية.

وضع تلك الخرائط على جدران مكتبه وبشكل يثير الفضول وراح يرسم الخطوط ويضع دبابيس حمراء على الطرق التي ستسلكها القوات العسكرية!

تحول مكتبه إلى ما يشبه غرفة قائد المعركة الميدانية، يتجمع عنده

الزملاء والضيوف يقف حاملاً مسطرة كبيرة ينهض من على كرسيه ليشرح سير المعارك وكأنه يرتدي ثياب الماريشال مونتغمري! بحيث أصبح مرجعاً عسكرياً، تتم إستشارته أو يقوم هو بتوجيه الفريق الصحفي الذي سيلتحق بتلك القوات أي الطرق عليه أن يسلكها!

لعبة الخرائط الجغرافية لم تنته، بل بقيت معلقة إلى ما بعد إسقاط صدام حسين لتتهاوى من على الجدار كما تهاوي صدام حسين نفسه في الحفرة التي انتشله منها الجيش الأميركي وإقتياده إلى المحاكمة ثم الإعدام!

سندك أتاتورك بصواريخ الحسين!
صورة صدام في الصحافة الكويتية

كيف هي صورة صدام حسين في الصحافة الكويتية؟
حصرت السؤال بالفترة التي عشتها أثناء الحرب العراقية -الإيرانية كمسؤول لمركز المعلومات والدراسات في "القبس".
أزعم، برغم القراءات العديدة عن تاريخ هذا الحاكم أنني مازلت مبتدئاً بفهمه!
ومع أني كنت أحد الذين قرأوا الدرس جيداً في سيرته الممتدة من 1990 إلى 1991 أثناء بطشه وزحف جيشه لإحتلال الكويت، إلا أن ما أورده حسن العلوي يستحق المناظرة والتفكر ربما للإختلاف بالرؤية وبالقراءة الشائعة ...
فهذا الإسم أي حسن العلوي - الذي لعلع في سماء العمل الصحافي والحزبي بالعراق على مدى أكثر من ربع قرن، والذي أنتج عشرات الكتب عن صدام ومن حوله، إختصر سيرته في نصف صفحة وردت في كتاب لعدنان الأمير، بعنوان "بقية الصوت" وهو عبارة عن محاورات أجراءها المؤلف معه وإختار هو بنفسه عنوان الكتاب.
فماذا يقول عنه خال عبد الكريم قاسم، والقومي الذي وقف ضد الشيوعين، والمنتمي لحزب البعث "ورفيق" الدرب لصدام حسين، والمستشار المتجول لدى بعض الحكام في الخليج العربي...
"هو طفل مقهور في وسط ليس فيه كنيسة ترعى المشرد ولا دار للأيتام ولا كفالة عشائرية رغم كون الوسط عشائريا.
هو صبي يذهب إلى المدرسة ولا يدافع عنه أحد سوى سيخ الحديد الذي يهش به عنه الكلاب، ويقطع رؤوس الأشواك، ويقاتل به من يحاول أن يعتدي عليه. في طريقه الطويل من القرية إلى المدرسة.

هو شاب لم ير في المجتمع نأمة خير رغم إدعاءات خاله بأنه تعهده ورعاه وكان على صدام حسين ومن حقه أن لا يثق بغير عصاه!
أن صدام حسين يشعر بأعماقه أن المجتمع لم يقف بجانبه يوم كان يحتاج إلى المجتمع، حتى إذا أصبح زعيما للحزب ثم رئيسا للجمهورية، وصار المجتمع يتطلع إليه، توقف صدام حسين ليسترجع تاريخ طفولته وصباه ولعله وصل إلى قناعة أن هذا المجتمع الذي يغني له الآن هو نفسه الذي كان يتفرج على عوزه وحرمانه.
صدام حسين لا يثق بأن أحدا يحبه بعد أن صار إلى وضعه الحالي، ولعله لم يقتنع مرة أن رفيقه بالحزب أو في الإعلام محب خالص الحب له، ولهذا فهو يفاجئ الذين حوله بالانقضاض عليهم وهم في حالة الحب إليه كعدنان الحمداني مثلا ويقودنا هذا التحليل إلى سبب إحتفاظه ب "طه الجزراوي" المعروف بكراهيته لصدام حسين، فهذا لغز لا أحد توصل إلى حله، كيف يقتل صديقه ومحبه ويحتفظ بغريمه ومبغضه؟
عقدة صدام حسين في الطفولة والصبا جعلته يؤمن إيمانا راسخا بأن لا حل لمشكلة سوى قطعها، وصار الموت حلا لمشكلات يسيرة، يكاد قانون العقوبات لا يضعها سوى في صنف الجنحة السياسية وهذا ما جعله يبتكر مفردة "شهيد الغضب" وكأنه يعترف بأن ضحيته قتل ظلما، لكن هذا الاكتشاف يأتي عادة بعد تنفيذ قرار الموت وليس قبل ؟
المجتمع العراقي اليوم في محنة وهو يواجه هذا النمط السيكولوجي الذي يتحكم بمصير الناس فيقضي بالموت العاجل على الضحايا ثم يصدر قرار البراءة بعد تنفيذ قرار الموت" .
- إنتهى النص –

لم تشذ أغلب الصحف الكويتية عموماً وخلال فترة الثمان سنوات من

الحرب ضد إيران عن تمجيد هذا الحاكم بل اتهمها البعض بتضليل الرأي العام والنأي بالنفس عن نشر الجرائم التي ارتكبها تجاه مجموعات واسعة من شعبه وآخرين.

غاب الرأي الآخر والمعارض لنظام صدام وإن وجد فالسرية طريقه، كانت التعليمات واضحة للعاملين في الصحف وعلى مستوى الصف الثاني وما دون .. مع صدام والعراق دون تحفظ!

إستفاد النظام العراقي من وجود ساحة صديقة وآمنه كالكويت وفي محيط الخليج العربي وبعض الصحف حققت مكاسب مهمة بزيادة إنتشارها في العراق وتجاوزت المبيعات، حدود الثلاثين وعشرين ألف نسخة يومياً .

صارت الصحف اليومية تصدر طبعات خاصة للسوق العراقي وعلى الصفحة الأولى صورة القائد الرئيس وهو يبتسم وهذا من لزوميات الخطاب الدعائي للعراق، بحيث تتماهى الصحف الكويتية بزميلاتها صحف النظام في بغداد.

"عرقنة" الصحافة الكويتية، عبارة كنت تسمعها في أروقة الصحف بالكويت.

أطلق صدام على الصحافة الكويتية لقب "الفيلق الخامس" في أحدى المرات التي استقبل فيها رؤساء التحرير والذين كانوا يسعون إلى لقاءه، فقد التقوا به على مدى الثمان سنوات عدداً من المرات يفوق لقاءاتهم مع أي زعيم أو رئيس عربي أو غيره !

لم تغب الصحافة الكويتية عن ساحة الحرب، بل تحولت إلى مادة إعلامية شبه يومية، أرسلت مجموعة صحفية لتغطية المعارك، وفود تذهب وأخرى تعود، نقلت الشأن العراقي إلى الداخل الكويتي والعربي كما يتوافق مع السياسة الإعلامية للنظام.

صورة صدام في الصحافة حولته إلى "بطل" وقائد للأمة، أعادت صورة جمال عبدالناصر إلى الواجهة ، جعلت منه "الرمز" ولذلك كان من الممنوعات أن تخرج كلمة تعارض أو تنتقد، بل ذهبت افتتاحيات بعض الصحف إلى تشبيهه بصلاح الدين الأيوبي، القائد الجبار الذي لا يخطئ ولا يمس، عشنا

في ضل سلطة سياسية عراقية استنسخت نظام كوريا الشمالية وقائدها كيم أيل سونغ بكل جبروته واستبداده!

خط الكويت – بغداد بقي مفتوحاً بالاتجاهين، كانت الكويت في دائرة الاستقطاب، واصطفت مع اشقائها دول الخليج باستثناء سلطنة عمان إلى حد ما بمواجهة إيران الشعبوية ...

أصاب الكويت ضرراً اقتصاديا بالغاً، تعطل تصدير النفط، وتعرضت المصافي للصواريخ الإيرانية، أدخلت في دائرة الخطر، أمنياً واقتصاديا، ودفعت "فواتير" الحروب اللاحقة.

توقفت "مدافع آية الله" وتجرع الإمام الخميني " كأس السم" بموافقته على قرار مجلس الأمن رقم (598) وانتهت الحرب! وإدعى العراق أنه خرج "منتصراً" وهي كذبة كبرى تبينت فيما بعد أنها دمرت بلداً عربياً، وجعلته ينقلب رأساً على عقب ضد من وقف معه وسانده ودعمه طوال 8 سنوات، بل وتحولت الكويت إلى ضحية لغطرسة حاكم أرعن لم يتردد عن غزوه بالقوة العسكرية !

مغامراته البطولية والتي استمرت بدون توقف منذ العام 1980 وحربه مع إيران لمدة ثمان سنوات ثم غزوه الكويت عام 1990 وإنسحابه منها تحت ضربات القوة العسكرية وتوقيعه الإستسلام في خيمة "صفوان"، كانت حصيلتها فواتير مالية وخسائر بشرية وأكلاف اقتصادية بقي العراق وشعبه والعرب أيضاً يدفعون نتائجها حتي أيامنا هذه...

وإذا ما تجاوزنا الوصف البلاغي بالكلام وانتقلنا إلى عالم الأرقام فسنجد أنه في سبتمبر عام 1980 بداية الحرب كانت للعراق فوائض مالية تزيد عن 35 مليار دولار والبعض قدرها بـ 60 مليار دولار وكان دخله في سنة الحرب أكثر من 26 مليار دولار أي ما يعادل 37 ضعفاً لدخله عام 1970.

وبعد ثماني سنوات من الحرب خرج مثقلاً بديون قدرتها الحكومة في

حينه بأكثر من 42 مليار دولار في نهاية عام 1990 عدا عن الديون المستحقة للكويت وللسعودية وبما يقارب 35 مليار دولار لا يعتبرها ديوناً مستحقة عليه أو تستوجب الدفع، في حين إن المصادر المحايدة تقدر الديون الإجمالية بأكثر من 100 مليار دولار!!

وإذا ما أخذنا في الاعتبار ما ورد إلى العراق خلال الفترة (1980-1988) وكما جاء في تقرير بصحيفة "الحياة" اللندنية، من عوائد نفطية تقارب 80 مليار دولار يكون إجمالي ما أنفقه خلال حربه مع إيران أكثر من 190 مليار دولار.

ولا تؤاخذونا إذا أطلنا بالحساب أو نسينا عدد القتلى والدمار الذي لحق بهذا البلد الصابر على مآسيه حيث قيل أن الرقم تجاوز 150 ألف قتيل و 500 ألف جريح و 70 ألف أسير فقط لاغير.

ويكفي أن يقال أن بلد ألـ " 21 مليون نخلة خسر في الحربين الأولى والثانية أكثر من 9 ملايين نخلة وإن مدينة البصرة وحدها خسرت 4 ملايين منها خلال حرب "القادسية" و "القعقاع" للدلالة على مدى الخراب الذي تعرض إليه في موارده الطبيعية.

وبخلاف ذلك وفيما يخص غزو الكويت فقد ورد في المذكرات الرسمية التي خاطبت الأمم المتحدة أن مجموع الديون الخارجية مع الفوائد المترتبة عليه لغاية سنة 2000 بلغت حوالي 97 مليار دولار. والمجموع الكلي لخسائر حرب الخليج الثانية التي تكبدها فقط عن عامي 1990 و 1991 هي بحدود 330 مليار دولار عدا خسائر الحصار والتي بلغت أكثر من 140 مليار دولار.

تلك هي حروب صدام حسين بحساب الكلفة بانتظار ما يستجد من "منازلات" ينظر إليها هنا في الخليج العربي وعلى امتداداته البحرية على أنها جزء من لعبة البقاء ومستلزماتها والتي برع فيها "القائد الضرورة" على مدار أكثر من عشرين سنة خلت وبقي يتقنها إلى أن هوت تماثيله في

ساحة الفردوس وسط بغداد عام 2013، وسقط العراق بأيدي الاميركان، وأصبح العراق بدون صدام.

قبل الغزو وفي الشهر الأول من عام 1990، كانت لي قصة مع النظام العراقي، يوم قررت "القبس" إيفادي ... لكتابة تحقيقات وإجراء لقاءات حول حجب مياه نهر الفرات عن كل من سورية والعراق أثناء بناء "سد أتاتورك" وما يعرف بمشروع "الغاب" .

زرت العراق والتقيت صلاح المختار وكيل وزارة الإعلام وكان الغرض عرض ما يعانيه هذا البلد العربي من مصاعب إقتصادية وجفاف بالأرض وتراجع بالمزروعات وما إلى ذلك .

جلست في مكتبه بمبني الإعلام، وضعت آلة التسجيل على الطاولة ورحت أسأل بحرية بإعتبار أننا "محسوبين على العراق" ولسنا خصماً له،وجئنا بغداد للتعبير عن تضامننا وإيصال الصوت العراقي إلى الخارج!

سألته عن الخيارات التي قد يلجأ إليها العراق في حال لم تلتزم تركيا في عهد تورغوت أوزال بالقوانين الدولية وقطعت المياه عنكم، أجاب بلهجة عراقية مستوحاه من لغة الرئيس صدام .."يا بي إندك السد بصواريخ الحسين"! –"أي أننا نضرب السد بصواريخ الحسين"- فاجأني الرد، حاولت أن أستدرك وأستفهم، معلقاً أليس هذا إعلان حرب ضد سيادة دولة مجاورة لكم؟

إنتفض من مكانه وطلب إغلاق التسجيل والتوقف عن إستكمال المقابلة .. حاولت تهدئة مشاعره وأنني ملتزم بما يود نشره، لكنه لم يستكن، بعدها بقليل، خرجت من اللقاء ... وأنا أرتجف من الخوف على حياتي، وشعرت بأن البقاء سيجلب لي متاعب ومخاطر لايعرفها غير الله سبحانه اتصلت بسفارة الكويت ببغداد وكذلك برئيس تحرير القبس الأستاذ محمد جاسم الصقر وأبلغتهم بما حصل قررت بعدها وعلى الفور الخروج من العراق وعلى اقرب رحلة طيران للعودة إلى الكويت!

ممر الدبابات بإتجاه البصرة

ثمان سنوات عشناها في ظل النيران (العراقية-الإيرانية)، كانت الكويت بمثابة الجبهة الخلفية للمعارك الدائرة على "البوابة الشرقية" للعراق كما هي التسمية في الأدبيات السياسية...

لم أكن على صلة مباشرة بما يجري خلف تلك الخطوط، لاسيما وأن الصحافة الكويتية كانت تصدر في ظل رقابة حكومية كاملة، وكان الرقيب يتمتع بصلاحيات أكبر وأوسع من صلاحيات رئيس التحرير، فهو الآمر والناهي... ولذلك ما كان يسمح بنشره هو ما تريده الحكومة ولا يخالف توجهات النظام العراقي، فالصدى الحقيقي للمعركة الإعلامية، كنت تجده في الصحافة الكويتية وكأنها إحدى فيالق الجيش العراقي، وهذه التسمية أطلقها صدام حسين نفسه.

وفي أحد الأيام من سنوات الحرب كنت أسكن في منطقة اليرموك والقريبة من مقر عملي قررت أن أزور أحد الأصدقاء من عائلتي.

ذهبت مساءاً برفقة زوجتي كي نقضي السهرة معاً. ونحن في الطريق إلى منطقة "جليب الشيوخ" لم تكن بعد قد تحولت إلى "غيتو للعمالة الآسيوية السائبة"، أوقفتنا سيارة شرطة وطلبت منا الركون على جنب الطريق دون أن نعرف السبب...

ما هي إلا دقائق وإذ بأرتال من الدبابات والمصفحات العسكرية متجهة صوب الحدود العراقية ... تسمَّرنا في مكاننا وبقينا مشدوهين في منظر قل نظيره ولمدة نصف ساعة والأرتال لم تتوقف وكأننا نشاهد مسلسل مكسيكي طويل ...

في اليوم التالي، سألت عدد من الزملاء العاملين معنا في "القبس" عن مشاهداتي، أخبروني أن خط الكويت -البصرة يسير في الإتجاهين ولم يتوقف طوال فترة الحرب، بتزويد العراق باحتياجاته من مواد تموينية تأتيه عن

طريق البحر أو بمعدات عسكرية تصله إلى العلن وعبر وسائل الإعلام ... لقد تحولت الكويت إلى حديقة خلفية أمدت النظام العراقي بمستلزمات الحرب والصمود، وسخرت إمكانياتها لبقاء الجيش العراقي صامداً في الجبهة الأمامية دون أن يتعرض لضائقة عسكرية أو مالية فمنطقة الخفجي (المنطقة المقسومة) بين الكويت والسعودية كانت تصدر إنتاجها من النفط للخارج طوال سنوات الحرب لصالح العراق وتدفع عوائدها المالية له بالعملة الصعبة، والمنطقة المحايدة هذه قسمت عام 1970 على أثر معاهدة الطائف الموقعة عام 1965 ونصت على أن يكون النفط المستخرج مناصفة بين البلدين.

ووفقاً للتقارير الاقتصادية الموثوقة (تقرير "الشال" لجاسم السعدون) فقد بلغت جملة القروض والمساعدات المالية التي منحتها الكويت للعراق خلال حرب الثماني سنوات نحو 15 مليار دولار أميركي، منها خمسة مليارات قيمة نفط باعته الكويت لصالح العراق من "المنطقة المقسومة" ...

في حين أن العراق كان لديه فائض مالي بحدود 30 مليار دولار عند بداية حربه عام 1980، انتهت وهو مدين بـ 80 مليار دولار تقريباً أو أكثر.

والدعم الكويتي للعراق إتخذ عدة أشكال منها دعم مباشر عام 1980 بستة مليارات دولار صادق عليها مجلس الأمة كقرض، كما ورد في الجزء الأول من كتاب "تاريخ الغزو العراقي لدولة الكويت" والصادر عن مركز البحوث والدراسات الكويتية في يونيو 2020، أما الدعم غير المباشر كما يصفه الباحث الإيراني أصغر ولداني هو بيع النفط من المنطقة المقسومة لحساب العراق، فالعائدات الناجمة عن بيع 340 ألف برميل يومياً من النفط المستخرج من هذه المنطقة، كانت تودع في حسابات العراق وتبلغ قيمتها السنوية أكثر من ثلاثة مليارات دولار، ويذكر أنه تم تمديد الإتفاقية المعقودة بهذا الخصوص عام 1986، وقبل اندلاع الحرب مع إيران كانت الكويت والمملكة العربية السعودية تقسمان بينها بالتساوي عائدات النفط المستخرج من هذه المنطقة.

خلّي عينك على الملحق الإعلامي العراقي

دور الملحق الإعلامي بالسفارة العراقية بالكويت أيام سطوة حامي البوابة الشرقية صدام حسين يشبه دور أنور الجمل الضابط المصري الذي عين ملحقاً إعلامياً في سفارة بلاده في بيروت بعهد جمال عبدالناصر وكان يدير مجموعة صحف تنطق بالهوى الناصري (كا "المحرر" و اللواء" و"الكفاح" و "الحوادث").

سطوة حامد الملا على شارع الصحافة بالشويخ برزت أثناء الحرب العراقية – الإيرانية (1981-1989) مستمداً نفوذه من واقع النظام الحاكم والمستبد في بغداد .

والنظر إلى الكويت من زاوية وقوعها في دائرة الدول المساندة لها وبما تحمله هذه السياسة من إرث الماضي بأحماله الثقيلة وتبعاته!

إستطاع حامد الملا وعلى مدى ثماني سنوات من تطويع عدد كبير من الصحفيين وجعلهم أدوات مهنته للتوجيهات التي يصدرها ... وكانوا خليطاً من الجنسيات...

كان يجول ويصول في صالات التحرير في الصحف، يدخل ساعة يشاء ويخرج متى يشاء، يلتقي بعدد من الزملاء تحت غطاء "التعاون الإعلامي" وتسهيل مهامهم، لاسيما الذين يتم ترتيب زيارات لهم إلى بغداد، في مهام صحفية، وهناك يتم إستقبالهم بصورة مريحة ويجري "فرزهم" فيما بعد على طريقة المخابرات السائدة في تلك الأيام.

لم تخرج أصوات معارضة في الصحافة الكويتية للنظام الذي يقف في وجه إيران وإن خرجت، وهذا من النوادر يتم تصنيفها إما مع "الخونة" أعداء العروبة، ومن الشعبويين أو يوضع تحت "المراقبة" إلى أن تثبت إدانته!

شاهدت هذا الرجل أكثر من مرة وهو "يتمخطر" في صالة التحرير في "القبس" وينتقل من مكتب إلى أخر وكأنه في "عزبة" العمدة التي تعود ملكيتها إليه!
في حينه كان يتهامس الزملاء عن عدد قناني المشروبات الكحولية التي يوزعها كلما دخل شارع الصحافة!
لكن ما حدث مع الزميل والشاعر أحمد مطر كان أمراً مختلفاً تماماً ...
ففي اللحظة التي يتنامي إلى مسامعه عن طريق موظف الإستقبال أن حامد الملا في طريقه إلى صالة التحرير، تراه يرتعد من الخوف، ويسارع إلى الاختفاءعند أحد الزملاء المتوارين عن الأنظار، ويهم بالخروج من مكتبه إلى أن تأتيه الإشارة بأن فلان غادر مبني الجريدة، حتى يعاود إستئناف حياته الطبيعية!
سألته مرة وأنا بصحبته عندما كنت أهم بتوصيله بسيارتي إلى بيته المتواضع جداً وهو عبارة عن ملحق في إحدى الفلل السكنية، في إحدى ضواحي الكويت، لماذا هذا الخوف يا صديقي؟
قال: الرجل يؤدي مهنة قذرة ولي تاريخ طويل مع هذا النظام، فقد ذقت العذاب والسجن والتشرد على يديه، وليس لهم أمان، انهم يطاردونني وكل إنسان معارض لهم ولا يتورعون عن فعل أي شيء.. لذلك تنتابني لحظات من الرعب كلما سمعت إسمه أو أحداً يمثل السفارة!
احترمت رأيه والتزمت الصمت، ناصحاً إياه بتحييد نفسه..!
لكنه لم يهادن ، كانت "لافتاته" التي احتلت الصفحة الأولى من القبس بمثابة إفتتاحية جعلت منه إسماً يملأ آذان القارئ العربي، لما قدمه من أدبيات سياسية ساخطة وناقدة، وضعته في مصاف الأدباء العرب الكبار...
دارت الأيام وإذ به مع مجموعة من الزملاء الصحفيين ومنهم رفله خرياطي وناجي العلي وفواز عابدين يبعدون من الكويت عام 1986 وفي عز الحرب العراقية-الإيرانية ليذهب هو إلى لندن وينضم إلى اسرة القبس وبقرار جرئ ووقفة مسؤولة من رئيس تحرير القبس الأستاذ محمد جاسم الصقر الذي لم يتخلى عنهم بأصعب الظروف.

أحداث صادمة

تعلمت أن أحتفظ بالصحيفة التي تؤرخ لحدث كبير، أو أكتفي بتدوينه على الورق، فالذاكرة قد "تخون" وتشيب كما يقال، فمن الصعب أن يكون بمقدورك وصف مشهد غير عادي بعد ثلاثين أو أربعين سنة، كما لو كنت كتبته في اللحظة التي وقع فيها...

في الذاكرة تواريخ وأيام حَفَزَتْ لها حيِّز محكم جرى تغليفها بألواح من الذهب الخالص، نظراً لجسامتها وما تسببت به من تغييرات على المستوى الشخصي أو العام.

أحداث تؤرخ لمفاصل تاريخية صارت "ذكرى" يستدل بها، كأن يقال، بعد الغزو أوقبله، أو بعد أحداث 11 سبتمبر أو قبلها؟ وهكذا.

إستعدت ستة وقائع مفصلية، أحداث مررت بها في حياتي المهنية، لكل واحدة منها قصة؟

1- الصدمة الأولى

عندما وقعت أحداث ثورة 1958 ضد حكم الرئيس كميل شمعون لم يكن قد بلغت العاشرة من عمري ولم أغادر مسقط رأسي بعد...

كنا نسمع عن "الفداوية" وهم رجال متطوعين بالمقاومة الشعبية، يعمدون إلى التخفي عن أعين الناس حتى لا تطالهم أيادي "الدرك" أو "الجندرمة" وفي الأحاديث أن هؤلاء "الفداوية" يختارون غزواتهم على القرى في ساعات الليل من الصعب أن يتعرف أحداً على وجوههم المغطاة بالكوفية بإستثناء "النواطير" الذين تبقي آذانهم مفتوحة وأعينهم تقدح أضوائها ليلاً، على العابرين بالصحاري التي يحرسونها من الذئاب في فصل الصيف، وكان منهم رجل ذو حنكة ومعرفة من أهالي القرية بنى له خيمة في أرض

إستأجرها وحَّولها إلى صحراء يستفيد من خيراتها وتسد رمق العيش له ولأبنائه ويدعى "رضا خليل" والذي يستعيد شريط الأحداث في اليوم التالي ويروح يسرد على أبناء بلدته حكايات الغزوات بتفاصيلها وكنت من الذين يستمع إليه خفية .

وجدت نفسي أسترجع هذا الشريط القصير يوم الأحد 13 نيسان 1975 عندما انطلقت شرارة الحرب الأهلية، كنت في حينه أستمتع براحتي الأسبوعية وهو يوم عطلة، لجأت إلى الراديو والتلفزيون لأتابع التطورات أجريت عدد من الاتصالات مع زملاء لي في صحيفة "السفير".

لم أتمالك البقاء في البيت، خرجت لأستطلع الأجواء وإذ بالمسلحين ينتشرون في الشوراع و"الدشم" تعلو عند الساحات أدركت حجم الخطر الذي ستتعرض إليه بيروت في حينه وصارت الأخبار تتوالي علينا ساعة بعد أخرى وقيل أن "بوسطة" تقل فلسطينيين دخلت منطقة "عين الرمانة" وهي في طريقها إلى مخيم تل الزعتر للإحتفال بمرور سنة أولى على عملية "الخالصة" وقعت في كمين نصبه لهم مسلحون من حزب الكتائب أمام كنيسة يقام فيها قداس يوم الأحد، قتل فيها 26 فلسطينياً وكتائبيان... وبقية الوقائع صارت معروفة تقريباً للجميع.

وفي الحروب الأهلية عادة تبقي الشرارة الأولى ذات رمزية معينة لأن الإنفجار لا يحتاج إلا إلى عود الكبريت لإشعاله وهذا ما حصل، فقد كانت الأرضية مهيأة تنتظر من يوقدها ... وربما كان رسم الكاريكاتير لناجي العلي زميلنا في "السفير" أقرب إلى توصيف الحال عندما أجرى حواراً بين شخصين، يخاطب أحدهما الأخر بقوله "القصة مش قصة عين الرمانة القصة قلوب مليانه"!

هذه الحرب رمتني خارج أسوار بلدي، دفعتني للهجرة، قادتني إلى الكويت لأعيش فيها أكثر مما عشت في لبنان.

كانت بيروت تحترق يوم غادرتها مكرهاً، لكن بقيتْ أحلامي معلقة برائحة العودة، تطاردني كل يوم علَّها تأتي سريعاً .

إستمريت سنوات وأنا في حالة لهيب وإنتظار، إلى أن تلاشى هذا الحلم يوماً بعد آخر وسنة بعد أخرى لتبلغ عتبة الثلاثة وأربعين سنة وما يزيد قبل ان تصل الى الخمسين!

2- الصدمة الثانية

يوم الجمعة 18 نوفمبر 1977 كانت صدمة هزت كياني، تمهيداً للزلزال الذي إنتظر العالم حدوثه في اليوم التالي.

في حينه كتبت "القبس" بالمانشيت الرئيسي على الصفحة الأولى ، السادات يحج إلى إسرائيل يوم وقفة عيد الأضحى .

كنا في حالة ذهول غير مصدقين لما تراه أعيننا، ساعة حطت طائرة الرئاسة المصرية في الرحلة الخاصة رقم 51 بمطار بن غوريون (اللد سابقاً) بمدينة تل أبيب...

يوم السبت وهو يوم العطلة الرسمية عند اليهود كان قادة إسرائيل وعلى راسهم مناحيم بيغن وغولدا مائير يصطفون لإستقبال أول زعيم عربي يهبط بطائرته في إسرائيل!

لحظات من الحدث الصادم حتى كانت غرفة مدير التحرير الأستاذ رؤوف شحوري تغص بالزملاء الذين تسمروا خلف شاشة التلفزيون الوحيدة في قاعة التحرير وهم مشدوهين بالمنظر أثناء الهبوط و السلام وعزفهم السلامين الوطنيين المصري والإسرائيلي...

كان أشبه بفيلم هوليودي، جرى عرضه سريعاً ليخرج المتفرجون وهم في حالة من فقدان التوازن!

صدرت "القبس" في اليوم التالي بعد أن إستبدلت وصف الحدث في المانشيت بإفتتاحية تحت عنوان "سيادة الرئيس .. ماذا فعلتـ هل حققت لليهود نبوءة نبيهم فينا؟!".

إستقبال تاريخي كان بمثابة زلزال أسقط العديد من المحرمات التي رفعها العرب بوجه "دولة إسرائيل" عادت سيناء دون طلقة رصاصة واحدة ولم يعد شبر من الأرض الفلسطينية!

وصلت العلاقات بين مصر وإسرائيل إلى توقيع معاهدة كمب ديفيد عام 1979 بعد مفاوضات ماراثونية كنا نتابع أحداثها يوماً بعد يوم، إلى أن صحى العالم على صدمة ثانية عام 1981 عندما أفرغ أحد الجنود المصريين عدة طلقات في رأس "الريس" أنور السادات أثناء الاحتفالات بعيد 6 أكتوبر 1973 ، ليسقط على الأرض مضرجاً بدمائه وتكتب نهايته على مسرح أرضية خصصت ليوم النصر بعبور خط بارليف ومفاجأة الإسرائيليين بمعركة حقق فيها العرب شيئاً من النصر العسكري لأول مرة بتاريخ الصراع؟

3- الصدمة الثالثة

مسميات الأيام بأحداثها، حلقة في مسلسل طويل لازمني وأنا فتى صغير أسرح مع أبناء جيلي في البراري، بعد عودتي من مدرسة أتلقى فيها تعليمي الإبتدائي "مدرسة خربة سليم" تبعد عنا حوالي الخمسة كيلومترات، سيراً على الأقدام أمارس فيها متعتي باللعب واللهو!

نزلت العاصمة بيروت في هجرة داخلية من الريف إلى المدينة، إستقريت فيها، وأنا في عمر الأربعة عشر عاماً أكملت دراستي ودخلت المرحلة الجامعية، جاءت الحرب وحرمتني من إكمالها، في الوقت الذي رحت أزاول فيه الوظيفة، التي أشغلها واعتاش من ورائها، أسد فيها ما استطعت من رمق الحياة وأساعد أهلي وأشقائي. بين "ثورة 1958" وأحداث حرب الـ 1975 ، كبرت مع الحروب المتواصلة، سرت في دفاترها وأنا أقرأ يوميات لأعثر على من يفتح لي باباً من الأمل والنجاة.

أكبر الحروب التي رافقتها كانت حرب حزيران 1967 وأنا في "الحوادث" و6 أكتوبر 1973 وأنا في مجلة "الدستور".
بينهما احتلالات ومواجهات مسلحة بالداخل اللبناني مسرحها بيروت وباقي المناطق والمحافظات أطرافها المشاركين والفاعلين على تماس جغرافي معها، تارة من إسرائيل وأخرى من الفلسطينيين وتارة من سوريا وما يأتي إلينا من ديار العرب على شكل هبات ساخنة تلهب الساحة ومحيطها.
ما كان هذا ليحدث لولا وجود تناغم قوى لبنانية وجماعات تعزف لحن الموت والتقاتل والإستقواء!
وأنا في الكويت سقطت "ست الدنيا" بيروت تحت أقدام الجيش الإسرائيلي المحتل، كان ذلك يوم الأحد السادس من شهر يونيو 1982.
عشنا أيام من الرعب والخوف أثناء "الحصار" وبعده كنت أرى بالكتابة شيء من الواجب المهني والوطني، أستعيض بها عن الفاجعة التي أصابتنا وألزمتنا البقاء في الكويت صيف 1982.
عملية "الجليل الأعلى" كما أطلقت عليها إسرائيل أسدلت الستار على "العنصر الفلسطيني المسلح" في لبنان، خرجت منظمة التحرير واستبدل اللاعبون الكبار.. بها، "الشقيقة سورية" لتملأ الفراغ تأخذ دور "الوصي" والوصاية على رسم الخريطة السياسة لبلد خاض أهله حروب الآخرين على أرضه!

4- الصدمة الرابعة

كنت أشعر بالضيق عندما أرى اللون الأسود يغطي أجساد الجموع.
فالصورة القاتمة بالنسبة لي تنقلني إلى عوالم الحزن والأسى، وهي حالة لم أتآلف معها أو أرتاح إليها.
من اللون إلى الكلمة، السواد يحيلني إلى حالة من الدفاع عن النفس.
ذاع صيت "السبت الأسود" في بيروت أيام الحرب "الوحشية" التي

أخرجت العفن الداخلي من النفوس وأفرغته في أحشاء الآدميين .. كان الذبح على "الهوية"، حواجز لميليشيات الطوائف، تقتل وتسحل لمجرد الإنتماء إلى طائفة معينة أو دين!

كرهت "الأسود" من ذاك السبت، دارت الأيام وإذ به يفاجئنا بيوم "الخميس" الثاني من أغسطس 1990 .

صحونا فجر ذاك اليوم على أصوات المدافع و"السمتيات" العراقية (طائرة الهيلوكبتر) وهي تدخل سماء الكويت تزرع فينا الكراهية والحقد.

صار "الخميس" يوماً مشؤوماً بعدما ألبسه النظام الصدامي ثوب السواد ليزيد من عتمة الليل وقهر النفوس.

لم تطل الإقامة بعدها، سوى إثني عشر يوماً قضيتها "وحيداً" إلى أن عزمت على المغادرة وفي ظروف "سوداوية" بالعودة إلى وطني.. لنبدأ دورة حياة قد تكون خالية من السواد".

5- الصدمة الخامسة

دارت الدائرة وإذ بنا أمام حائط مسدود أغلقت نوافذه علينا، هذه المرة نقلتنا أعمال الإرهاب إلى مبني برج التجارة العالمي في مدينة نيويورك، ونعيش مع الحدث لحظة بلحظة، صبيحة يوم "الثلاثاء الأسود" 11 سبتمبر 2001 الذي غير مجرى التحالفات والاحداث، يوم اصطدمت طائرتين مختطفتين بالبرج وضربت الثالثة مقر وزارة الدفاع البنتاغون.

دب الصوت عالياً في صالة التحرير، وجدنا أنفسنا أمام "هول الكارثة" ... ماذا حدث؟

فقد كانت الأعين تسرح بعيداً، لم نستوعب تبعات الصدمة في لحظتها.

تهاوت "الأبراج" يوم كانت أنظار العالم تتجه إلى "البيت الأبيض" لينال نصيبه من "الأرهاب" العابر للحدود!

إهتز العالم بعد 11 سبتمبر وعشنا في ظل "الحرب على الإرهاب" لسنوات

حصد منها العرب والشرق الأوسط حروباً متتالية، في أفغانستان (أكتوبر 2001) الحرب ضد "طالبان" ومطاردة أسامة بن لادن المتهم الأول، وفي العراق (2003) وسقوط صدام .

صار العالم يؤرخ لما يحدث بالقول أن القضية الفلانية وقعت قبل هجمات 11 سبتمبر أو بعدها؟

6- الصدمة السادسة

وعلى سيرة الصدمات ، تذكرت واقعة جرت منذ عشر سنوات ، رواها زميلي المرحوم طلال رحمة الذي استشهد في بيروت عام 1976 .

استاذ جامعي متخصص في علم النفس بجامعة دمشق ، كان يشرح لتلاميذه نظرية عنوانها: "الحد الأدنى من الشعور للإحساس بالفارق" ، أطال بالشرح والتحليل لدرجة أضفت جوا من الضجروالملل والضيق لصعوبة استيعابها، فما كان من الاستاذ الجامعي الا أن أحضر اناء من الماء ووضع في داخله ضفدعة وربط هذا الإناء بسلك كهربائي ، أدار التيار الكهربائي للحظة زمنية ، أحدثت صدمة لدى الضفدعة ، بعدها سرعان ما تكيفت مع المناخ الجديد ، ثم عاود الكرة مرة واثنتين وثلاث ، وفي كل مرة تنتفض الضفدعة وتعاود السكون ، وذلك تحت وقع تجربة كيفية " الحد الأدنى من الشعور للإحساس بالفارق" وبنتيجتها ماتت الضفدعة دون أن تشعر بهذا الحد الأدنى من الشعور وعلى طريقة الصدمات المتلاحقة .

هذه الواقعة تذكرني بحال العالم العربي مع اسرائيل التي من كثرة الصدمات التي لم يعد لدى الكثيرين منا الحد الأدنى من الشعور بالإحساس بالفارق والذي ساهمت فيه الولايات المتحدة الأميركية "بمبادراتها السلمية" ، لدرجة أن العرب أصبح لديهم الاستعداد للقبول بأي شيء خوفا من الموت تحت نظرية الاستاذ الجامعي الدمشقي وموت الضفدعة!.

محطات الفصل الثالث بالصور

غبقة رمضانية أقامها الأب بيغول راعي كنيسة الأقباط عام ٢٠١٦ مع الشيخ الدكتور أحمد حسين والمستشار عادل بطرس ودانيال بولس والمطران ماسيس زوبويان وطارق مقتي ومماركو من كنيسة الأرمن .

حمزة عليان يتوسط داوود حسين والزميل إيليا قيصر في غبقة رمضانية أقامتها كنيسة الأقباط عام ٢٠١٦

مع عبدالله كوبري وعبدالله برهم في عمان بالأردن ٢٠١٩.

أمام موقع سد أتاتورك في جنوب شرق تركيا والمعروف بمشروع الـ (GAP) مع أحد المراسلين الأجانب .

بمناسبة عيد القيامة في كنيسة الأقباط من اليمين : أمجد زكي – حمزة عليان – الأنبا بيشوي بيغول والشيخ على جابر الأحمد الصباح ٢٠١٩ .

أثناء حفل أقامه الصديق والسفير محمد البلهان على شرف الزميل محمود حربي لمغادرته الكويت عام ٢٠١٩ ويبدو السادة: علي البغلي وعبدالرحمن النجار والسفير محمد البلهان وإلى جانبه «أبو فهد» والسفير أحمد غيث والزميل خالد الطراح وعلي الغانم والدبلوماسي خالد الخشتي والوزير السابق عيسى المزيدي ورجل الاعمال يعقوب الجوعان والزميل نبيل حاوي وخالد أحمد غيث والقنصل المصري في الكويت

أثناء المشاركة في منتدى الثلاثاء الثقافي القطيف – المملكة العربية السعودية وبدعوة من الناشط السيد جعفر الشايب وحضر المناسبة الزميل أحمد فرحات والدكتور عبدالحسين شعبان والدكتور محمد المالكي الخبير التونسي في الدستور والمدرس في جامعة قابوس ٢٠١٩ .

في منطقة البحر الميت بالأردن أكتوبر ٢٠٠٩ .

لقاء تم في منزل سفير الكويت في كوبا الصديق محمد خلف وبحضور طبيب العظام الكوبي وزوجته والذي كان يعالج صدام حسين .

مع الزملاء أسامة الغازولي و خالد البطراوي في مقهى ريش في القاهرة .

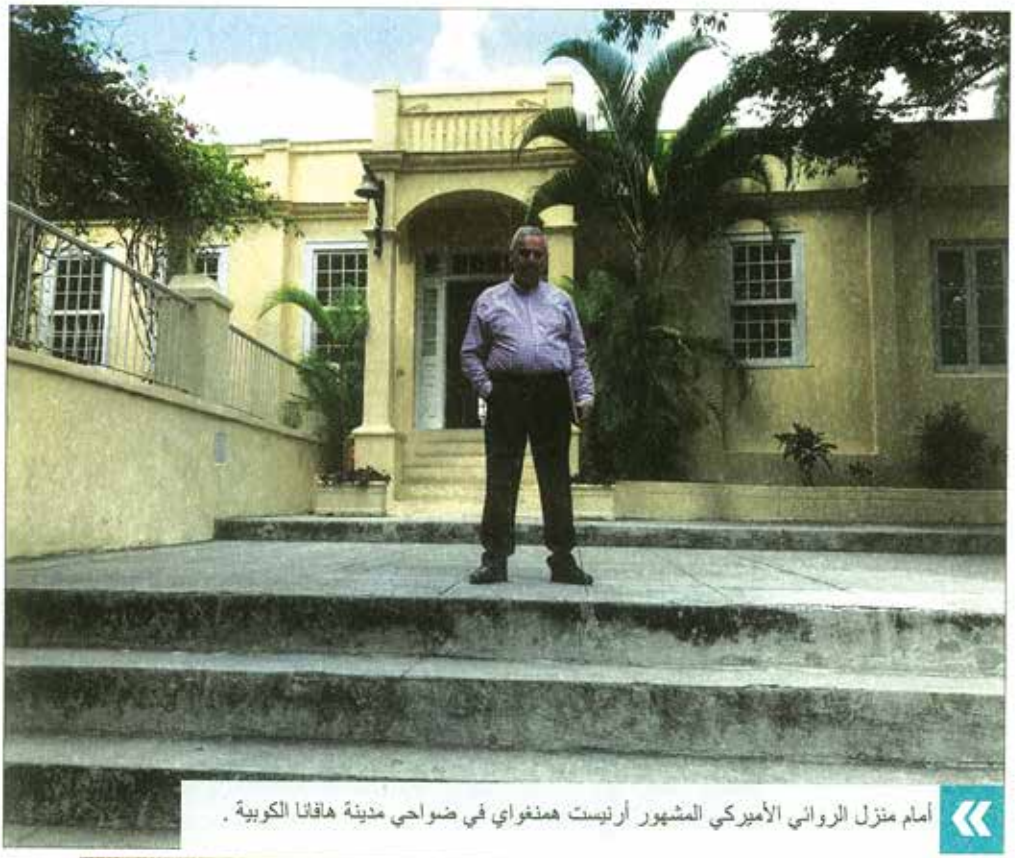

أمام منزل الروائي الأميركي المشهور أرنيست همنغواي في ضواحي مدينة هافانا الكوبية .

لوحة جدارية في حي هافانا الصغير الموجود في مدينة ميامي الأميركية حيث تأوي المعارضين لنظام كاسترو .

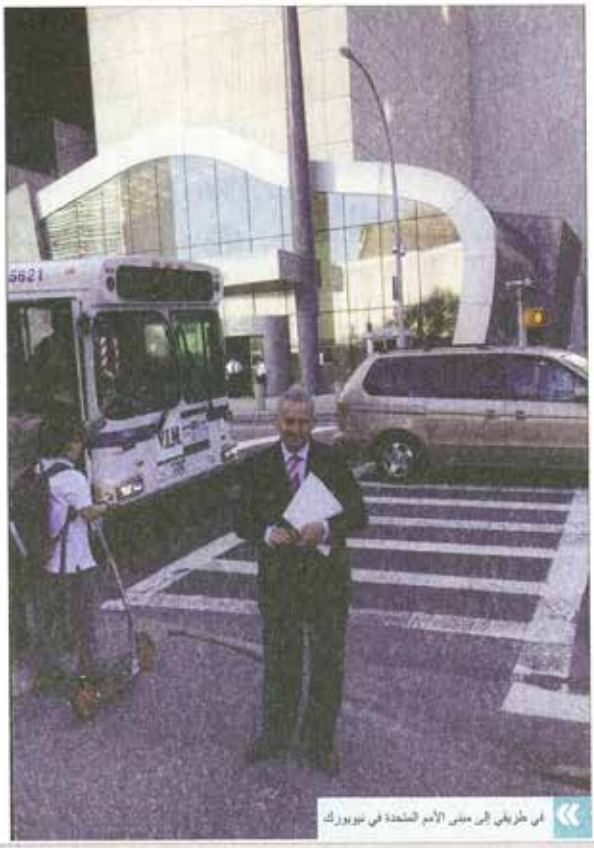

في طريقي إلى مبنى الأمم المتحدة في نيويورك

مع نائب مدير عام مؤسسة سد الفرات في سوريا المهندس هنيدي وآخرين أمام موقع السد يناير ١٩٩٠

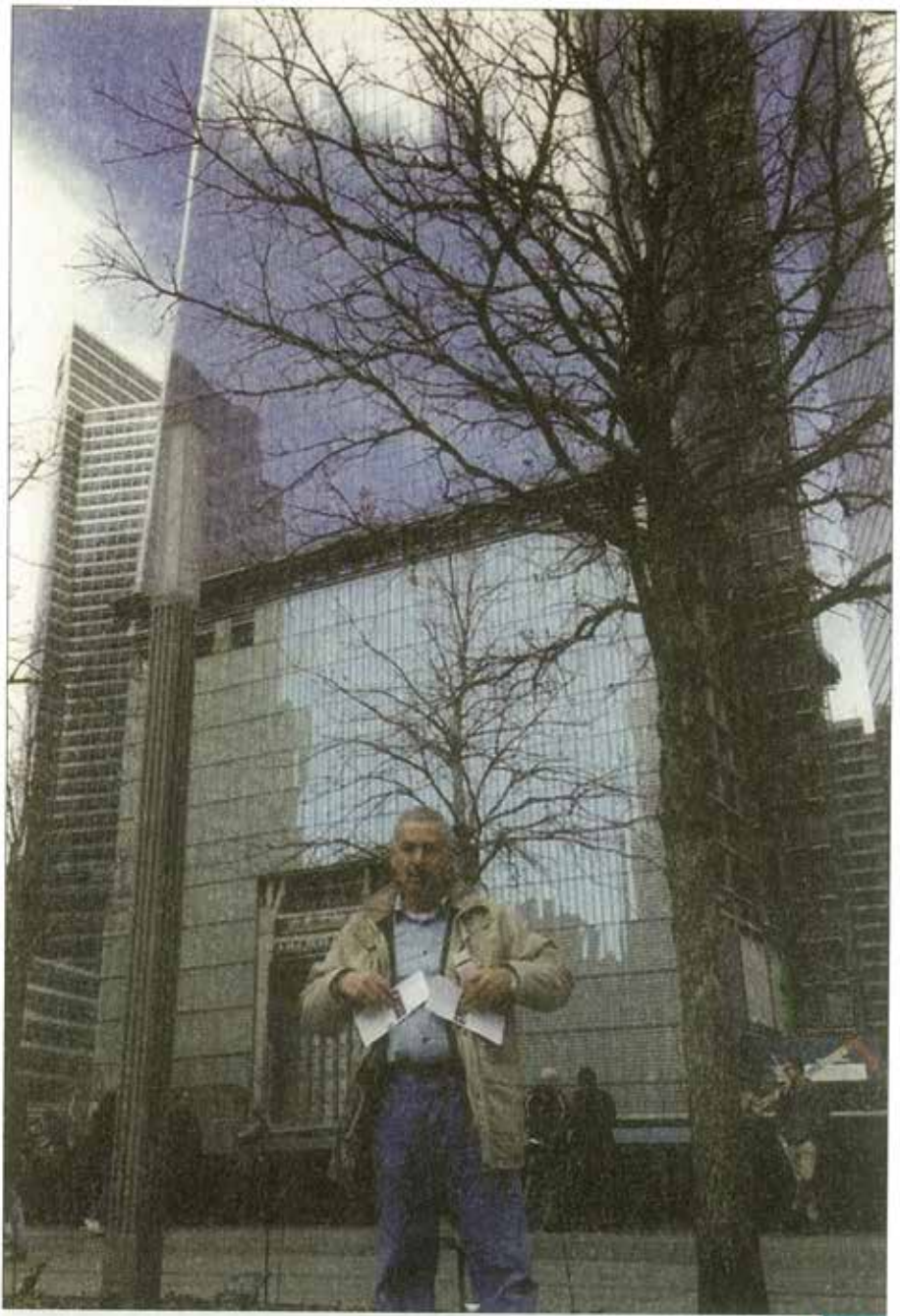

أمام مبنى مركز التجارة الدولي بعد ترميمه وتعرضه لهجمة إرهابية عام ٢٠٠١ .

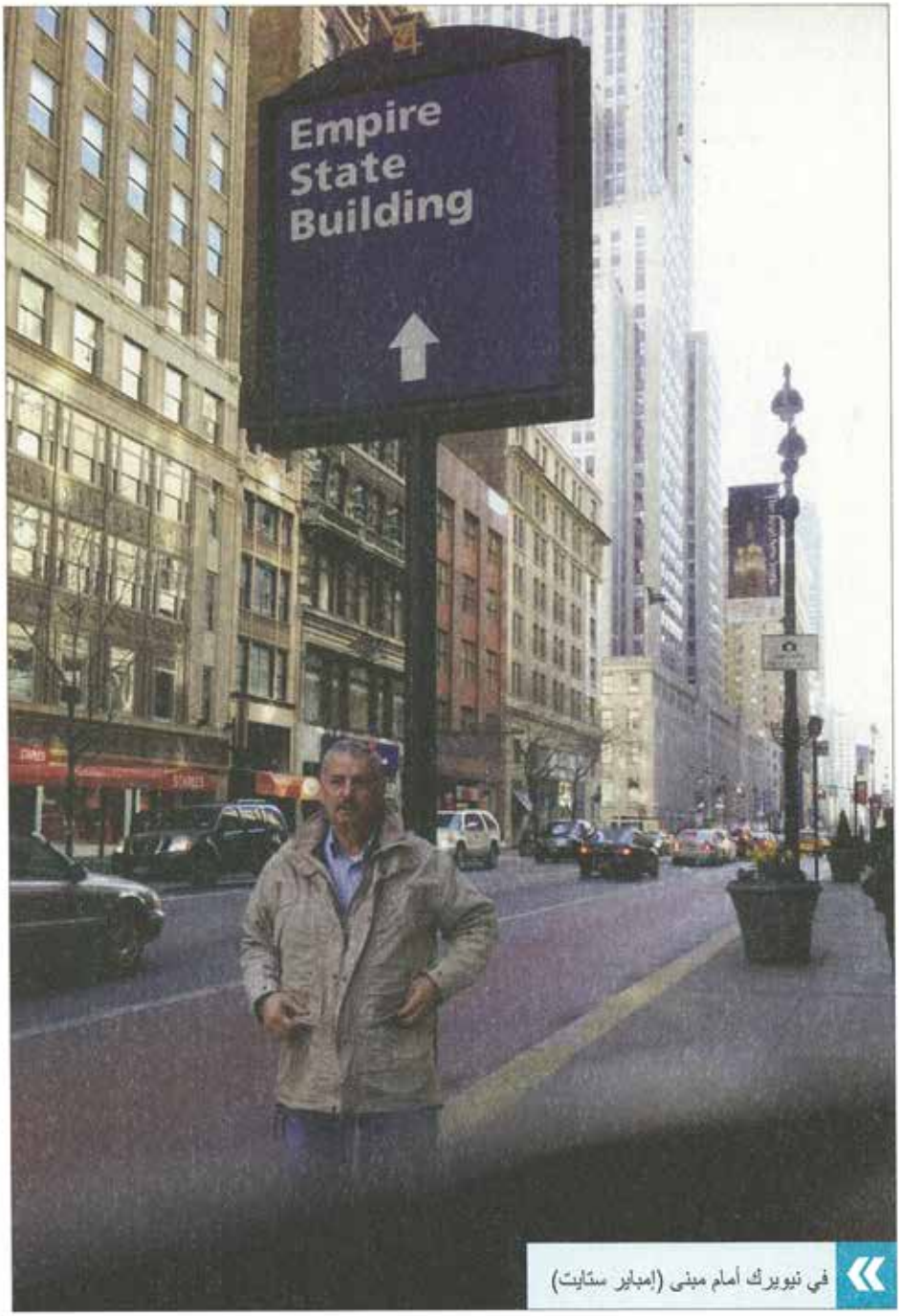

في نيويرك أمام مبنى (إمباير ستايت)

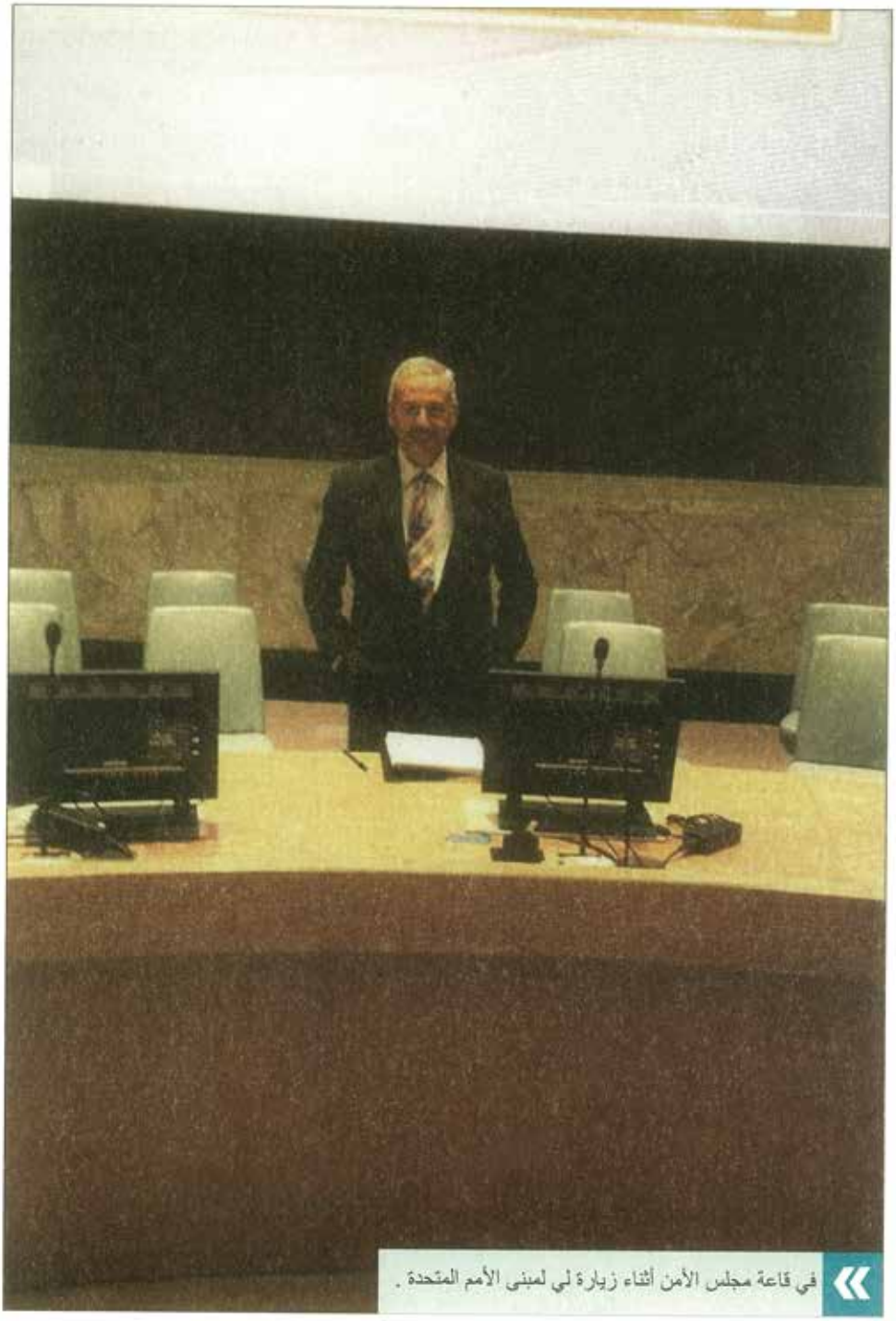

في قاعة مجلس الأمن أثناء زيارة لي لمبنى الأمم المتحدة .

في مدينة صنعاء وأمام بوابة اليمن في سوق الملح مايو ١٩٩٠ .

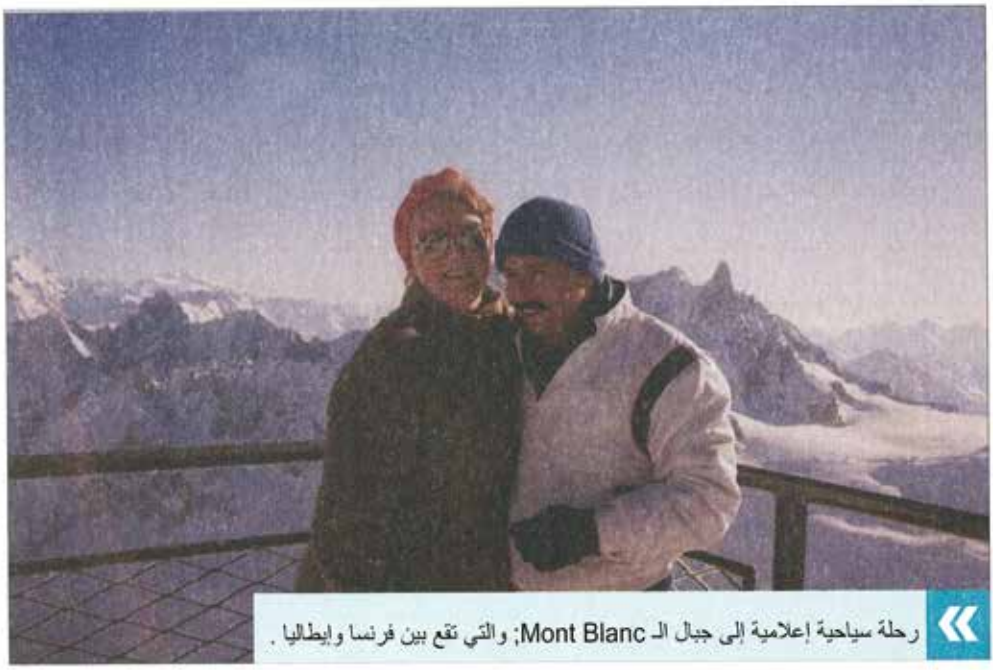

رحلة سياحية إعلامية إلى جبال الـ Mont Blanc; والتي تقع بين فرنسا وإيطاليا .

في منزل تراثي أقمت فيه في العاصمة الكويتية - هافانا - مع الصديق السفير محمد فاضل خلف .

مع سيدة كوبية في العاصمة هافانا بالزي التقليدي والسيجار .

الفصل الرابع

إبحار وسط العواصف والنكبات

» ذَهَبَتْ عائلتي إلى بيروت وبقيت تحت الاحتلال.

» عشرة أيام تحت الاحتلال العراقي

» قصتي مع عبدالكريم قاسم وبينهما الكويت.

» من الكويت "المحتلة" باتجاه لبنان .... ويا قلبي لا تحزن

» ستة أشهر في الشارقة الطريق إلى "الكويت الحرة" يمر عبر الإمارات.

» ما الذي جرى ليلة الصدور؟

» أمام حقل "برقان" وهو يقذف حممه.

ذَهَبَتْ عائلتي إلى بيروت وبقيت تحت الاحتلال

كانت العادة السنوية عند غالبية السكان في الكويت أن يحزموا حقائبهم إستعداداً للسفر، مباشرة بعد عطلة المدرسة، ولم أكن لأشذ عن تلك القاعدة، فالفرحة تدب داخل البيت وفي قلوب الأولاد الذين ينتظرون تلك الساعة وهم يرتدون ثيابهم الجديدة وبكامل أناقتهم.

في ذاك العام قررنا النزول في شهر يوليو/تموز 1990 ذهبت الزوجة بصحبة الأولاد وبقيت وحدي ريثما يحين موعد الإلتحاق بهم كما كان مقرراً أوائل شهر أغسطس /آب.

كانت الأجواء السياسة ساخنة بين الكويت والعراق والاحداث تنبيء بالتصعيد غير العادي وعلى خلفية المواقف الصادرة من بغداد ضد الكويت و"الإتهامات" الموجهة لها تحديداً ولدولة الإمارات العربية المتحدة، بتجويع الشعب العراقي وسرقة النفط من آباره المتاخمة للحدود؟

تسارعت الأحداث وبشكل ينذر بالخطر، ومع مرور أيام شهر يوليو وفي عزّ الصيف كنت أقضي ساعات النهار والتواصل إلى الليل في عملي بجريدة "القبس" نتابع، كالعادة ما يحدث ونؤدي دورنا في دائرة التحرير من إجتماعات وكتابات وقراءات. كنت مكلفاً بمتابعة ما يرفض "الرقيب الحكومي" نشره من مواد صحفية غير مسموح بها، وهذا الرقيب يداوم في الجريدة كما آخرين من الرقباء الموزعين على الصحف الأربعة، وهو الحال القائم منذ حل مجلس الأمة عام 1986 وفرض الرقابة المسبقة على المطبوعات.

تنسي لي الإقتراب أكثر من "عقلية الرقيب" ترتب على ذلك أن بدأنا في مركز المعلومات بوضع تصور للملفات وتجميع "القصاصات" المرفوضة تبعاً للعنوان العام للملف، بحيث تراكمت الملفات وبات لدينا مخزون هائل من المواد الإعلامية التي لم يسمح الرقيب بنشرها ... وهي مواد تعكس سياسة الحكومة عبر وزارة الإعلام والتعليمات التي يتلقاها الرقباء من مسؤوليهم المباشرين..

إرتفعت حدة المواجهات على مستوى القيادات كلام سياسي ومذكرات من البلدين حول إنتاج النفط من حقل الرميلة النفطي، وتعبئة في الشارع والإعلام في بغداد ضد الكويت!

كانت الصحافة الكويتية تسير تحت خط التهدئة والإبتعاد عن الإثارة وضد أي إنتقاد أو إستفزاز للنظام في العراق وبالطبع إلتزمت كل الصحف بتعليمات الوزراة ولم تخرج واحدة تخالف قلم الرقيب .

شعرت بنوع من عدم الإرتياح لدى رئيس التحرير من التضييق الذي يمارسه الرقيب على النشر، خصوصاً ما يتصل بمفاوضات "جدة" وما يصدر من العراق وهو مالمسته من الزملاء على مستوى إدارة التحرير والذين صارت لديهم "مهارات" بكيفية تمرير معلومة ضمن الخبر دون إنتباه من الرقيب ...

دخلنا الأسبوع الأخير من شهر يوليو/تموز 1990 وبدأنا نعيش الساعات بقلق وخوف، والأسئلة تتدحرج مع الزملاء.. ماذا يمكن أن يفعل العراق أو بالأحرى، صدام حسين تجاه الكويت؟ هذا البلد الذي وقف معه في حربه مع إيران لمدة ثمان سنوات واغدقت عليه المساعدات المالية والعسكرية والسياسية والإعلامية وكانت في نفس الخندق الذي تحارب فيه بغداد.

كنت على تواصل دائم مع عائلتي التي استقرت في لبنان، وتمضي الصيف هناك، كان سؤالهم، متى ستأتي إلينا؟ وأنا بدوري أطمئنهم، لقد حجزت على أول طائرة باليوم الأول من شهر أغسطس/آب القادم حينما تصل إلى مطار بيروت!

ليلة الخميس كانت تمثل ذروة الأحداث بعد أن وصلت التطورات إلى حافة الإنفجار الكبير والكل في صالة التحرير بحالة توتر وخوف مما قد يحدث فجأة وعلى وقع خطاب إعلامي عراقي أكثر وضوحاً بنواياه، بعد أن عاد الوفد الكويتي من "لقاء جدة" برئاسة ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح.

قاربت الساعة العاشرة ليلاً إلتقينا مع بعض، مجتمعين في صالة التحرير نتنقل

بين غرفة مدير التحرير وقسم الخارجيات وأصوات ماكينات "التلكس" الملاصق له تسمع من بعيد وبشكل يوحي بالإنذار أصوات تعزف لحن الإستنفار، جعل عدد من الزملاء يهرعون بإتجاهها لمعرفة ماذا حصل؟ وإذ بهم يتأبطون حزمة من النشرات لوكالات الأنباء التي تحمل أخباراً خطيرة تشي بوجود حشود عسكرية على الحدود مع العراق.

صاح أحدهم، هذا هو المانشيت الرئيسي لعدد الغد؟ ولم يكمل عبارته بل راح "يدسّك" الخبر أي يعيد كتابته وصياغته بالطريقة المناسبة، وبعد أن انتهى من ذلك طلب مدير التحرير إعطائه للمخرج الفني ووضعه بالعنوان الرئيسي بالصفحة الأولى.. كان "الرقيب الحكومي" يراقب الحركة ويسمع الحوار لكنه كان صامتاً، لحظات ويأتي المخرج حاملاً "بروفة" الصفحة الأولى ليعرضها عليه ليأخذ الموافقة قبل الطبع...

إستمهله الرقيب قليلاً، قرأ الخبر، رفع حاجبيه، أجرى إتصالات، ليأتي الجواب ممنوع من النشر.. لا حشود ولا تهديدات، بل مفاوضات وتهدئة..

لم يتقبل الزملاء ما أبلغهم به الرقيب وحاولوا تليين موقفه وإقناعه بأن الأمر خطير والكويت في خطر، وبالتالي لا يجوز أن نصدر غداً بهذا العنوان!

لم تفلح المحاولات بتعديل العنوان وما كان أمامهم الا الامتثال لتعليمات الرقيب..

قاربت الساعة منتصف الليل، خرجنا من مبنى الجريدة ونحن في حالة ضياع، والكل يسأل زميله هل يدخل الجيش العراقي فعلاً ويحتل الكويت! أم يكتفي بالوصول إلى "الجهراء"؟ وماذا يريد صدام حسين حقيقة؟ وهل يقدم على خطوة جنونية وانتحارية كهذه؟

لم يغالبني النعاس، بقيت صاحياً إلى ما بعد ساعات الفجر الأولى، قررت بعدها أن أنزل إلى الشارع أسير منفرداً علني أعثر على ضالتي، بما يحدث.. مشيت خطواتي الأولى، شعرت أن الأجواء غير طبيعية، تقدمت إلى الامام وإذ بأصوات مدفعية تصل مسامعي دون أن تخطئ، وقعت عيناي على رجل كويتي مسن يجلس على كنبة من الخشب أمام منزله ممسكاً بالراديو ومنصتاً إليه

بوجل ((دخول فرقة من الجيش العراقي داخل الأراضي الكويتية)).
أدركت حينها أننا بتنا تحت الاحتلال العراقي استدرت سريعاً نحو المنزل، وإذ بالهاتف لا يهدأ، إحضر حالاً إلى مبني "القبس" بالشويخ .. وتوالت الاتصالات والكل في حالة ذهول ....
شوارع خالية، سائقي السيارات يتجاوزون إشارات المرور الحمراء، شعور بالخوف يلاحقك أينما إتجهت...
وصلت الجريدة، جلسنا في غرفة مدير التحرير، وراح يوزع المهام ويطلب من المحررين والمصورين تغطية "المناطق الملتهبة" وأصوات المدافع لا تتوقف والقرار أن تصدر الصحيفة طبعة مبكرة، صباحية!
حضر "الرقيب الحكومي" وإنضم للزملاء في التحرير معتبراً أنه واحداً منهم، بعد "عتاب" و"محاججة" بمنعه نشر الحشود والتحركات العسكرية .. قائلاً "أنا موظف أنفّذ تعليمات الوزارة"! فقد ظهر عدد "القبس" ليوم الخميس الثاني من أغسطس عام 1990 مثله كباقي الصحف بعنوان رئيسي مضمونه" أن ما حصل عبارة عن أزمة عابرة.
ونحن في معمعة الإستعداد لإصدار طبعة مبكرة، أجرى مدير التحرير إتصالاً مع أحد ملاك الصحيفة ليسأله عن رأيه بالصدور ومستمزجاً توجهاته ، أجابه .. ليس عندي جواب أنا وإياكم متساوين، الآن كلنا تحت الاحتلال أنصحكم بالمغادرة!
في تلك اللحظات الخاطفة، حضر مدير الشؤون الإدارية، فتح الخزانة الحديدية في مكتبه وراح يوزع علينا جوازات السفر التي كانت الصحيفة تحتفظ بها وتمتنع عن إعطائها لأصحابها! قائلاً .. أنتم الآن طلقاء بإمكانكم أن تفعلوا ما تشاؤون .. ونحن لسنا مسؤولين عنكم ..
حملت جوازي وعدت أدراجي إلى المنزل بعد أن عاد جميع الزملاء الذين تم تكليفهم بتغطية الأحداث وتفرقنا جميعاً وذهب كل واحد إلى حيث يأوي ويستريح...

عشرة أيام تحت الاحتلال العراقي

صحوت مبكراً صباح يوم الخميس 1990/8/2، خرجت من بيتي في منطقة السالمية وكنت أعيش لوحدي بعيداً عن عائلتي، خطوت بإتجاه الشارع المطل على "مستشفى هادي" شعرت في تلك اللحظات أن هناك شيئاً ما قد حصل في الكويت، بعد سماعي أصوات قذائف من بعيد، أدرت وجهي نحو رجل مسن يجلس على الكنبة ممسكاً بجهاز الراديو يستمع لنشرة الأخبار، وما يمكن إلتقاطه من تطورات متسارعة ومثيرة تترك الناس في حالة من الضياع والذهول؟

لم أتمالك نفسي بالسير إلى الأمام ، فقد عدت من حيث أتيت، ما أن دخلت شقتي حتى رن جرس الهاتف أكثر من مرة، وإذ بأحد الزملاء في "القبس" يطلب حضورنا سريعاً..

كان علي النزول مباشرة إلى السيارة ولم تكن الساعة قد وصلت إلى الثامنة صباحاً وأنا في طريقي على الدائري الرابع قاصداً مكاتب "القبس" في منطقة الشويخ، كنت التفت يميناً ويساراً أتفقد ما يجري على الأرض، كانت مخاوفي تزداد على ما بلغته الأحداث من خطر وجودي علينا وعلى الكويت.

المشهد يكاد ينطق في الساعات الأولى من صباح يوم الخميس، سيارات تعبر الإشارات الحمراء دون اكتراث أو إحساس بالمسؤولية وتصرف يوحي بغياب هيبة الدولة، شعور مخيف ينتابك وأنت تشاهد المارة والسيارات وكأنهم في حالة إنفصال عن "السلطة"، لم يعد هناك رادع، سقطت الهيبة وباتت الحركة بين الناس تسير وفق الأهواء والنزعات الفردية.

دقائق من الرعب سيطرت على ما عداها من أفكار طوال رحلة الذهاب إلى الجريدة والتي قطعتها مئات آلاف المرات في الأحوال الطبيعية لكنها الآن شيء مختلف!

ما أن صعدت درج مبني القبس كان عدد من الزملاء يتسابقون على الوصول وتقصي آخر الأخبار.

إلتقينا في مكتب مدير التحرير الزميل رفلة خرياطي وعدد من الزملاء والمصورين كان التوجه أن نصدر طبعة خاصة بحدود الساعة الواحدة ظهراً ، توزعت الأدوار والمهام ، قسم من المحررين نزلوا إلى الميدان مع المصورين بحيث يتم تغطية المناطق التي تشهد مواجهات أو أن تكون معرَّضه لحدوث أعمال عسكرية، وقسم آخر اسندت إليه مهام التنسيق و متابعة أخبار والوكالات بمحطات التلفزيون وتلقي الإتصالات الهاتفية.

الكل مضطرب يلاحقهم السؤال هل دخل الجيش العراقي الأراضي الكويتية، وإلى أين وصل ؟وهل صحيح أن المواجهات تحدث في معسكر الجيوان في منطقة الرقعي؟ وإن هناك إنزال كوماندوس عراقي على شارع الخليج العربي بالقرب من قصر دسمان؟

كنا نسمع أصوات القذائف ونحن داخل مبني القبس وهو ما أثار فينا الخوف والفزع..

إقتربنا من ساعة الظهيرة، بادر الزميل رفلة خرياطي، الاتصال بأحد أعضاء مجلس الإدارة للاستئناس برأيه وأخذ موافقته على إصدار طبعة خاصة مسائية!

بعد أن أشار عدد من الزملاء بذلك ونحن جالسين في مكتبه يجري الحوار، أجابه بالقول "الآن حالنا من حالكم، ونحن وإياكم أصبحنا تحت الإحتلال ولا سلطة لي أو صلاحية، لكي أطلب منكم إصدار طبعة أولا، وأنا لست في هذا الوارد ولن أجازف بذلك وأتحمل مسؤولية القرار، فالأمر متروك لكم ولتقديركم وأتمني عليكم أن لاتقدموا على هكذا خطوة".

خلال نصف ساعة كان الجميع يهرول نحو مكتب الأخ غالب عرباسي في الإدارة بعد ان صدرت له التعليمات بتسليم الجوازات لأصحابها..

إنصرفنا جمعياً وتوجهنا إلى حيث المبيت في منازلنا، بعدما صار في

حكم اليقين ان الكويت احتلت من قبل الجيش العراقي ووصلت الدبابات الى شارع البلاجات، والتي تحولت في اليومين التاليين من الاحتلال الى ما يشبه الكرنفال العراقي.

أفواج من العراقيين القادمين إلى الكويت من البصرة بسيارات الأجرة التي ضاقت بركابها وهم يلوحون بأيديهم، وفي مشهد نادر، فالغزو البشري يحمل لون الفقر بأبشع صوره، فما تراه الأعين أشبه بالصدمة .. غزاة يتكدسون فوق بعضهم وفي سيارات متهالكة يحطون رحالهم في شوارع الكويت طمعاً للفوز "بالغنيمة"!

مكثت حوالي عشرة أيام في الكويت المحتلة تدبرنا أمورنا المعيشية وبالتي هي أحسن، تنقلنا من بيت إلى آخر خوفاً من الوقوع في أيدي "المندوب السامي" حامد الملا ، الملحق الإعلامي بالسفارة العراقية وصاحب اليد الطولى بترتيب أفراد يعملون لصالح المخابرات العراقية...

في العشرة أيام الأولى من الإحتلال كنا نتفقد الزملاء .. والأصحاب ونستطلع أحوالهم، نتواصل هاتفيا مع معظهم، وعندما تضيق بنا الأجواء نذهب إلى شارع البلاجات، حيث استعراضات الجيش العراقي الذي نصب على امتدادها المدافع هناك وأقام نقاط للسيطرة، كنت شاهداً على أحد فصول المسرحية التي أعلن عنها صدام حسن بالإنسحاب العسكري من الكويت تحت الضغط الدولي فقد تراجعت الدبابات ونقلوا المدافع إلى الأحياء السكنية بالداخل ثم ما لبثوا أن اعادوها في اليوم التالي!

قررنا ومجموعة من الزملاء المغادرة إلى لبنان ورتبنا "CONVOY" مشترك كان منهم حسين نعمة وحسين سلامة ومحمد رمال وجورج مجاعص وراشد عليان وأنا. علمت فيما بعد أن باقي الزملاء غادروا أيضاً وهناك من بقي يعمل ويتعاون مع العراقيين.. ومن الذين قرروا العودة الزميل رفله خرياطي والذي توجه إلى لندن بعد ان صدرت جريدة"النداء" أصدرها المحتل العراقي من القبس واستعان بعدد من الصحفيين الذين ارتضوا البقاء!

قصتي مع عبدالكريم قاسم وبينهما الكويت

علاقتي بالكويت تعود إلى أوائل الستينات، كنت شاباً صغيراً على مقاعد الدراسة.

يومها وبعدما رجعت إلى بيتنا تنامي إلى مسامعي أن أهالي البلدة سيجتمعون غداً في الساحة العامة لتوديع أحد أبنائها المسافرين إلى الكويت للعمل في مشاريع البناء، وتلك عادة أهل القرى بالمشاركة الاجتماعية لبعضهم مع بعض تراهم يفرحون لفرح أحدهم ويتقبلون العزاء لموت أحدهم، فالتضامن والتكاتف مفتاح العلاقات فيما بينهم، الفرح يعم والعزاء يعم والنجاح كذلك.

بقي إسم الكويت يتردد على مسامعي بين وقت وآخر وكنت أتساقط أخبارها من محيط العائلة وأحياناً يذكر الإسم عندما يأتون على سيرة فلان أوعلان خاصة عدد من أبناء البلدة التي أنتمي إليها وكانوا يشتغلون في مجال المقاولات وأعمال البناء...

وعندما يتحدثون عن "الزعيم" عبدالكريم قاسم كانوا يأتون على سيرة الكويت دون معرفة الخلفية ـو ماذا يحدث !

إستقريت في بيروت منذ العام 1964 وكنت أتابع دراستي بالفترة المسائية حتى المرحلة الجامعية وأعمل في النهار لأعيل نفسي وعائلتي وفي ذاك العام بدأت أول خطوة في مشوار العمل الصحفي، عندما دخلت مجلة "الحوادث" لصاحبها سليم اللوزي والذي أولاني رعايته واهتمامه ، وأول وظيفة لي كانت بقسم "الأرشيف".

قضيت حوالي ثمان سنوات في "الحوادث" التي اتخذت من مبناها في كورنيش المزرعة مقراً لها وإنتقالها إلى منطقة "عين الرمانة" بعدما إنطلقت من قصر هنري فرعون عام 1911 على يد لطف الله خلاط.

مارست عملي في قسم الأرشيف وكنت بحكم الوظيفة أتلقى مجموعة من الصحف والمجلات الكويتية بخلاف ما يصدر في لبنان من بينها صحيفة "السياسة" و"الوطن" وعلى رأسهم مجلة "العربي" ...

وخلال تلك المرحلة تكونت لدي صورة عن الكويت عززت انطباعي عنها بكونها تتشابه إلى حد ما بالوضع في لبنان من حيث الحريات الصحفية ومستوى المعيشة والإنفتاح وخاصة جلسات مجلس الأمة التي كنت أحرص على قراءتها ومتابعتها.

بتاريخ 13 نيسان (أبريل) عام 1975 وقعت الحرب الأهلية وكنت أعمل في جريدة "السفير" منذ تأسيسها عام 1974 ، وفي نفس الوقت أتابع دراستي الجامعية إلى أن ساءت الأحوال في لبنان وباتت حياتنا مهددة بالموت من جراء تنقلاتنا تحت دوي القذائف والمدافع.

يومها، أي في الشهر الرابع من عام 1976 قررت الرحيل من مدينة، بات العيش فيها محفوفاً بالمخاطر في أي لحظة أجريت إتصالاً مع أصدقاء لي، وكان شقيقي الأصغر مني "يحيى"، يعمل في "القبس" كمخرج فني ... وما أن حل شهر مايو 1976، حتي كانت طائرة الميدل إيست تحط في مطار الكويت، وأتوجه في اليوم التالي بعد وصولي إلى منطقة "الشويخ" – شارع الصحافة لأنضم إلى أسرة "القبس" على أمل العودة بعد ستة أشهر بحد أقصى!

وطوال ثلاث وأربعين سنة من عملي في «القبس» وبعدها كنت على صلة مباشرة بما يحدث بين الكويت والعراق، فهذا جزء من عملي وبالتالي نشرت العديد من الأبحاث والتقارير وقرأت كتب مرجعية ذات قيمة عن تاريخ العلاقة بين البلدين، ولي صداقات مع إعلاميين ومثقفين عراقيين. من ضمن ما شغلني حقيقة الغوص في التعرف أكثر والإستزاده بمعرفة التاريخ والعلاقة الملتبسة بين البلدين.

كنت أقتنص أي فرصة تتاح لي لمعرفة المزيد وسبر أغوار ذاك التاريخ

الممتد، بحكم التقارب الجغرافي ووشائج القربي التي طبعت علاقات الشعبين والبلدين.

بحثت مطولاً عن "عقدة" العراق تجاه الكويت والخوف المتجذر عند غالبية الشعب الكويتي والخشية من الاحتلال أو الضم وخلافه من قبل جار يضمر الهيمنة، قرأت كتب ونشرت العديد من الدراسات والمقالات والأبحاث تناولت فيها حقب زمنية منذ حكم أيام الملك فيصل الأول وصولاً لعهد صدام حسين ومن جاء من بعده!

وقفت ملياً عند العقلية العراقية التي امتلأت بالأوهام وعرفت جيداً مزاج الرأي العام تجاه الكويت، وهو مزاج متقارب جداً للسوريين نحو لبنان.

وفي عالم السياسية والعلاقات بين الدول تسود نظرية أن الأقوى بالمساحة والموارد والعسكر ينظر للأصغر منه علي أساس التبعية والإلحاق وهي نظرية موروثة من أيام تقسيمات الاستعمار الأوروبي التي غذت هذا التفكير بعد أن وزعت الأراضي ورسمت الحدود وفق ما تشتهي!

عانيت كما غيري من هذا "الفهم المُوجه" لنوع العلاقة التي تربطه بالكويت، وكنت أتساءل عن نقطة أثارت فضولي هل حقاً كان عبدالكريم قاسم في سبيله لإحتلال الكويت والدخول العسكري إليها أم أن الردة التي أعلنها في مؤتمره الصحفي عام 1961 وقفت عند حدود الوعيد والتهديد والضم وما إلى ذلك من مبررات!

يوم السابع من أغسطس عام 2007 لفت انتباهي إعلان نعي نشر بالصحف، الكويتية لآل "الحصونة" ولفقيدهم الغالي المرحوم الشاب " مشعل إنمار حميد حسين الحصونة" والبالغ من العمر 24 عاماً.

إستوقفني الاسم، وإن لم تربطني بهم أي معرفة أوعلاقة، سوى قرائتي للدور الذي قام به الجد وهو حميد حسين الحصونة في عهد "أزمة عبدالكريم قاسم" مع الكويت عام 1961.

إختلفت الروايات حول موقفه من عبدالكريم قاسم ومحاولة دخوله الكويت

وعلاقته بالأمير الراحل الشيخ عبدالله السالم الصباح وبموقعه من نظام البعث والشيوعيين وما قام به خلال شغله لمناصب قيادية عسكرية بالدولة.
يذكر حسن العلوي في كتابه "أسوار الطين" أن الشيوعين العراقيين يتهمون قائد الفرقة الأولى اللواء "حميد الحصونة" بإستلامه رشوة من الكويت بإحجامه بعدم تنفيذ أمر الزعيم لكن العلوي يشكك بهذه الرواية ويعتبرها غير صحيحة إطلاقا فقد كان بإمكان عبدالكريم قاسم كونه قائد القوات المسلحة إستبداله بقائد آخر ويورد هنا الدكتور عدنان آل طعمة الذي كان التقى باللواء حميد حمد الحصونة بالقاهرة عام 1975 وأبلغه بحضور بعض زائريه أنه تلقى أمراً عسكرياً من عبدالكريم قاسم بإحتلال الكويت ، لكنه لم ينفذ الأمر بناءاً على فتوى صدرت له من المرجع العلاَّمة السيد محسن الحكيم عندما زاره في محل إقامته بالكوفة، بتجريم سفك دماء المسلمين على أي بقعة كانوا ولأي سبب كان، وقد اعترف الحصونة للدكتور عدنان آل طعمة أن عبدالكريم قاسم قد أصدر أمرين له وليس أمراً واحداً وقد رغب القائد العسكري أن يكون لهذا الموقف ما يدعمه من صبغة دينية وتعاطف إسلامي وقد دار حوار بينهما بحضور بعض أنجاله، قال الحصونة للسيد الحكيم: إن عبدالكريم قاسم أمرني بإحتلال الكويت وهو قائدي العسكري وأنتم قائدي الروحي فبماذا تأمرونني أن أفعل؟
سأله السيد الحكيم، ان كانت الحركة العسكرية المطلوبة دفاعاً عن النفس استغاثة لنجدة أو دفعاً لضرر يلحق أذى بالمسلمين؟ وعنما أجاب بالنفي، عاد السيد حكيم فسأله: إن كانت ستهدر فيها دماء المسلمين ومن سيتحمل مسؤولية ذلك أمام الله ولهذا أفتي بحرمة استخدام القوة العسكرية ضد الكويتيين إذعاناً لحرمة دم المسلمين.
عاد اللواء الحصونة إلى مركز قيادته في تلك الليلة، وفي اليوم التالي حينما لم يحدث شيء طلبه على الفور عبدالكريم قاسم ليستفسر عن هذا التلكؤ الذي أصاب صديقه القديم وهو يعرفه جيداً في حرب فلسطين

وفيما أوضح له الحصونة حقيقة الموقف من جانب السيد الحكيم أبدى عبدالكريم قاسم دهشته لتصرف الحصونة لكنه شعر بمأزق عسكري حقيقي، وقد طلب الحصونة من قاسم أن يعين رجلاً آخر مكانه ليقوم بالمهمة فرفض الأخير هذا الطلب وأراد أن يقوم الحصونة بنفسه بتنفيذ هذه الرغبة، خاصة وقد أنيطت به قيادة الفرقة الثانية وكالة، وكان مقرها كركوك بعد ثورة الشواف وقائدها الزعيم الركن ناظم الطبقجلي.

بقي الحصونة في مركزه مدة طويلة وبعد ستة شهور من انتقاله إلى السلطة المدنية حدث إنقلاب 1963 وتبعه تطورات أخرى ساعدت بإرجاء فكرة استخدام الحل العسكري والإكتفاء بالحملة الإعلامية في الدعوة لضم الكويت ..

هذه وجهة نظر أوردها الكاتب والصحفي العراقي حسن العلوي وكما جاء في عرض لصحيفة "البيئة الجديدة" بالحلقتين (8)و(12) وهي صحيفة يومية سياسية عامة، صاحب الامتياز السيد عبدالوهاب جبار، إلى جانب رواية أخرى نقلها على لسان الدكتور إبراهيم علاوي زعيم القيادة المركزية المنشقة عن الحزب الشيوعي العراقي في معرض تدليله على نظرية الاستدراج التي طرحها سواء ما يتصل بعبد الكريم قاسم أو بصدام حسين والتساؤلات عن إعلان قاسم ضم الكويت يوم 25 يونيو 1961 ثم تراجعه عن خطته دون أن يقدم تبرير لذلك وترددت التحليلات وإشاعات كثيرة لكن لم يتم التطرق إلى دور السياسة البريطانية في استخدام قضية الكويت لإبعاد قاسم عن اليسار العراقي والتصدي لشركات النفط البريطانية، يضيف الكاتب حسن العلوي أن التحليل المنحدر لمستوى الإشاعة الممزوجة بروح الثأر والانتقام والتي يروج لها الدكتور إبراهيم علاوي إنما يرضي حقداً قديماً على قائد عسكري منع جريدة "إتحاد الشعب" من دخول مناطق فرض فيها حظراً وشلّ نشاط الشيوعيين في مناطق نفوذهم، لينهي حسن العلوي كلامه بأن إهانة هذا القائد العسكري

وطعنه بتهمة الرشوة لا تنسجم لا مع المعروف عن أخلاقياته ولا عن أخلاقية الدكتور علاوي...

إشاعة الإنكليز

وفي بحث للكاتب العراقي المقيم في لندن الدكتور عبدالخالق حسين والمنشور على الإنترنت يتحدث عن أسباب إغتيال ثورة 14 تموز ويضع إعلان عبدالكريم قاسم وإدعائه بضم الكويت من ضمن القشة التي قسمت ظهر البعير وينفي أن يكون عبدالكريم قاسم حرك قواته لإحتلال الكويت بقيادة اللواء الركن حميد السيد حسين حصونة كما أشيع في وقته وأكد ذلك قاسم نفسه في مقابلة مع صحيفة "لوموند" الفرنسية الصادرة في 5 فبراير 1963 عندما سأله الصحفي عن سبب عدم إحتلاله للكويت فأجاب بأنه "ليس فاشستياً ليستعمل القوة ضد أي بلد عربي" ويستشهد الباحث بشهادة السيد مرتضى الشيخ حسين الذي يقول "لي صداقة مع اللواء السيد حميد السيد حسين الحصونة وكان يزور برلين في السبعينات والثمانينات وهو ذو إطلاع واسع في أحداث العراق بحكم وظيفته وثقافته الاجتماعية وسألته وكان معي الشاعر العراقي السيد كاظم جواد بالنسبة لمقولة أن عبدالكريم قاسم كلف السيد حميد السيد حسين الحصونة باحتلال الكويت وامتناع اللواء السيد حميد عن تنفيذ هذا الأمر العسكري أجاب اللواء حميد قائلاً :" إن هذا النبأ مجرد إشاعة كاذبة مظلّلة دبَّرها الإنكليز للإنزال في الكويت أي ضد عبدالكريم قاسم الذي أطاح بحلف بغداد وتكالبت عليه جميع الأطراف من الداخل والخارج لتشويه حقيقته والإطاحة به.

إن عبدالكريم قاسم لم يكلفني بإحتلال الكويت ولو كلفني وامتنعت عن التنفيذ لفصلني لمخالفتي أمراً عسكرياً صارماً لا يجوز في الجيش مخالفته دون عقاب لمن يمتنع عن تنفيذه ولو كان الامر المذكور حقيقة ولو اني خالفته

لحق لعبدالكريم قاسم وهو قائد عسكري في أعلى السلطة أن يعاقبني بالفصل من الوظيفة وإناطة الأمر بإحتلال الكويت إلى غيري من قادة الجيش وكل ذلك لم يتم وهو إشاعة مغرضة كما بينتُّ"..

فتوي الحكيم

على أن هناك مسألة أخرى ذات صلة تتعلق بفتوى حرمة الصلاة على

الأرض المغتصبة وهي فتوى السيد محسن الحكيم للجنرال حميد حسين الحصونة بعصيان أوامر عبدالكريم قاسم وعدم اجتياح الكويت وفي حال إجتياحها فإن أرض الكويت ستصبح مغتصبة ولا تجوز الصلاة عليها هكذا كتب "بهلول الكظماوي" في موقع شبكة العراق الجديد الإعلامية من ديترويت بأميركا تحت عنوان بغداديات وعن هذا الشأن يوضح الدكتور حيدر مجيد رستم الحصونة بمقالة بتاريخ 2007/6/17 بثتها "وكالة أنباء براثا" قصة السيد حميد الحصونة وعلاقته بالإمام الراحل السيد محسن الحكيم والتي يذكرها السيد علي ابن آية الله السيد على تقي الكشميري في كتاباته الموسومة (مع الصادقين) شريف الكاظمي المشهور بالشريف الكاظمي وقصيدته "الكرارية" ويشير إلى مناسبة إلقاء القصيدة عام 1962 وهي مناسبة وفاة "والد أحد كبار الضباط في الجيش العراقي السيد حميد الحصونة الذي كان قائد الفرقة الأولى في الجيش العراقي ومركزها مدينة الديوانية وحمل جنازة والده المرحوم السيد حسين الحصونة وهو من وجهاء العراق ومن التجار وان التشييع كان عسكرياً أكثر مما كان شعبياً وصلى على الجنازة في الصحن الحيدري السيد محسن الحكيم وأضاف ، أن قائد الفرقة الأولى وقف أمام جثمان والده وخاطب السيد الحكيم بكلمة إرتجالية " إذا كان هذا والدي في النسب فأنت والدي في العقيدة".

قصة حياته

ويستذكر الدكتور حيدر مجيد رستم الحصونة دور القائد حميد الحصونة بغلق كافة مقرات الحزب الشيوعي بالمحافظات التي كانت تحت أمرته ومنع تداول جريدة "طريق الشعب" في تلك المحافظات بعد صدور فتوى السيد محسن الحكيم " الشيوعية كفر وإلحاد" ويتناول في المقام سيرة حياة اللواء الحصونة الذي عاش لاجئاً سياسياً في مصر بعد إنقلاب البعث عام 1963 وفي بداية حكم البعث برئاسة أحمد حسن البكر وصدام حسين راجع السيد حميد الحصونة السفارة العراقية في القاهرة لتنظيم امور تقاعده وبعض القضايا العائلية فاحتجزته السفارة العراقية داخل مبناها لمدة اسبوع مانعة اياه من أي اتصال خارجي . وكانت السفارة تنتظر موعد طيران الطائرة العراقية لنقله مخفورا الى العراق غير خاضعة لتفتيش اجهزة الأمن المصرية . وبكيفية ما استخبر الرئيس المصري جمال عبد الناصر بحادث اعتقال السفارة العراقية في القاهرة للضيف العراقي اللاجئ حميد الحصونة في مصر فامر سلطاته بتطويق السفارة العراقية ومنعها من نقل اللواء المحتجز. وبعد اسبوع من هذا الحجز اضطرت السفارة العراقية وبضغط من جمال عبدالناصر أن تسمح للواء حميد الحصونة بالخروج من السفارة .....

توفي اللواء حميد الحصونه في لندن عام ١٩٨٧ ونقل جثمانه إلى العراق ليدفن في مقبرة وادي السلام الى جوار جده أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) وقد استقبل جثمانه وزير الدفاع آنذاك عدنان خيرالله بمراسم عسكرية واقيم له تشييع عسكري مهيب ثم نقل الى النجف..

وبدعوى باطلة من خصوم اللواء حميد الحصونه ولأسباب سياسية وطائفية اطلقوا اشاعة لاتمت إلى الحقيقة بصلة كما يقول الدكتور حيدر مفادها أن السيد

حميد الحصونه لم يمتثل لأمر عبد الكريم قاسم في غزو الكويت عام 1961 ويستشهد على ذلك الإدعاء بما قاله اللواء الحصونة في كتاب الكاتب مرتضى الشيخ حسين والموسوم (عبدالكريم قاسم اسوة بمصدق بين المطرقة والسندان السوفيتي) والذي جاء فيه:-

((ما أشيع أن عبد الكريم قاسم اراد احتلال الكويت وأمر اللواء السيد حميد الحصونة بأن يزحف على الكويت ويحتلها فامتنع حميد الحصونة عن اداء هذه المهمة. هذا القول اصبح ومايزال شائعاً لدى الشعب العراقي ولدى كثير من الأوساط السياسية والثقافية والصحافية . اما حقيقة عزم عبد الكريم قاسم على احتلال الكويت واناطة أمر هذا الاحتلال باللواء حميد الحصونة وامتناعه عن تنفيذ الامر فمجرد فكرة استغلها خصوم قاسم من جميع اطرافهم لتأليب الاحقاد ضده . وما كان عبد الكريم ليغامر في تنفيذ هذه الفكرة خاصة وان مشاكل العراق التي شغلته إلى أقصى واعنف حد تحول دون تحقيق هذه الفكرة. كما ان الانجليز استغلوها لأعادة سيطرتهم على الكويت بحجة حمايتها من عدوان عبدالكريم قاسم المزعوم . واثباتا لهذه الحقيقة فقد كانت لي صلة صداقة باللواء السيد حميد الحصونة وقد زار برلين حيث اقيم عدة مرات وكنا معاً نسافر الى عدة مدن المانية ونلتقي مرات مستمرة في برلين فسألته وكان معنا الشاعر العراقي كاظم جواد عن صحة امتناعه عن تنفيذ امر عبدالكريم قاسم باحتلال الكويت فاجابني ما يلي :

((لم تكن هناك خطة من قبل الزعيم عبد الكريم قاسم لإحتلال الكويت كما انه لا صحة ابدا لما يقال بانه أمرني باحتلال الكويت وما يقال اني امتنعت عن تنفيذ مهمة الاحتلال. فلو فرضنا من ناحية المنطق انه أراد فعلاً احتلال الكويت او انه أمرني بذلك فامتنعت لكان من السهل أن يعزلني

من منصبي إذ أنه رئيسي الاعلى وهو قائد القوات المسلحة ومن السهل عليه عند مخالفتى امره ان ينيط امر الاحتلال بغيري من القادة العسكريين ليقوم بالتنفيذ ، فما أنا إلا ضابط تحت امره وقيادته ، فقضية محاولة احتلال الكويت واناطة مهمة الاحتلال بي وامتناعي عن الاحتلال مجرد أكاذيب واشاعات باطلة غرضها الاساءة لعبد الكريم قاسم ولي كذلك واثارة الأحقاد ضد سياسة العراق آنذاك .))

إلتباس وتشكيك

ويبدوا أن هذا الأمر يحظى بنقاشات واسعة لدى المهتمين بالشأن العراقي فقد كتب الدكتور عدنان الظاهر بتاريخ التاسع من شهر أبريل لسنة 2007 رداً على ما نشره السيد عمر الحصونة في موقع صوت العراق بتاريخ الثامن من أبريل لعام 2007 وبرأيه فإن ما يقال عن دور الحصونة بإفشال مشروع ضم الكويت للعراق يوم أن كان قائداً للفرقة الأولى ومقرها الديوانية وإناطة عبدالكريم قاسم بهذه الفرقة وقائدها تنفيذ المهمة فيه إلتباس كبير ضاعت فيه الحقائق، يتسائل في البداية هل إذاعة قاسم بيانه الشهير في كل من الراديو وتلفزيون العراق وتسميته أمير الكويت منصب قائممقام على قضاء الكويت، هل هذا لهو ولعب في الفضاء، وهل دخول قوات مصرية ثم إنكليزية أرض الكويت كان قراراً عبثياً؟ ثم يقول أشيع في حينه أن سيد حميد قائد الفرقة الأولى كان سرَّب الخبر إلى أمير الكويت أو السفارة البريطانية ويعتبر أن سيد حميد السيد حسين الحصونة لعب أدواراً "خطيرة" يوم كان قائداً للفرقة الأولى حيث نشطت الإغتيالات وأنه محسوب على البعثيين وعمل ضد حكم عبدالكريم قاسم ومنحاز للسيد محسن الحكيم وأنه لم يكن محسوباً على الوطنيين .

الرأي القاطع

هذا الإستعراض للروايات المتضاربة كان من زاوية معرفة الخلفية التاريخية للحدث لكنني كنت أبحث عن رأي قاطع لهذا الدور وبالفعل وجدت ضالتي بمقالة نشرها الباحث العراقي رشيد خيون في صحيفة "الإتحاد" الظبيانية بتاريخ الأول من فبراير عام 2012 جاء فيها ((إن الكويتيين والعِراقيين كافة يعلمون بأن تجهيز عبد الكريم قاسم، عام 1961، لحملة عسكرية قائدها العميد حميد الحصونة، قائد الفرقة الأُولى، لاحتلال الكويت، كان أمراً مفروغاً مِن صحته، ولكن رفض الأخير حال دون ذلك، بل شاع وبقوة أنه تسلم رشوة كبيرة مِن الكويت، حتى قالوا: "كونية أم خط أحمر مملوءة دنانير"! (كيس الخيش الذي يُحمل فيه الرِّز أو الطَّحين عادة). بل إن حسن العلوي كتب في "أسوار الطِّين": أن الحصونة ذهب يستفتي المرجع الدِّيني محسن الحكيم، وأن الحكيم أفتاه بحرمة احتلال الكويت! ولفائدة مرجوة، وعداوة لعبد الكريم قاسم، ظلت الأطراف المعنية ساكتة عن الحقيقة، مع أن القصة كانت كذباً في كذب. كنت كتبت قبل هذا في "مائة عام مِن الإسلام السِّياسي بالعراق" (الجزء الأول)، بأنه لو رفض الحصونة الأمر الصَّادر مِن القائد العام ووزير الدِّفاع لعزل مِن منصبه كقائد فرقة على الأقل، إذا لم يُحل إلى محكمة عسكرية. وبالفعل ورد في كتاب "أمالي السَّيد طالب الرِّفاعي" (مدارك 2012) ما نصه، وهو عالم دين كان وكيلاً لمرجعية النَّجف بمصر (1969-1985). قال الرِّفاعي: "سألت الحصونة: أبا أياد هناك سؤال يدور في خَلدي، ولم أحصل على جواب قاطع: ما هي قضية الكويت وتكليف عبد الكريم قاسم لك ورفضك التكليف. وهذا كما تعرفه شائعاً وأُريد الحقيقة منك؟! أضاف: "أخذ الحصونة يضحك ويضحك، قائلاً: سيدنا كيف تُصدق بهذه القصة... ما يخص قضية

الكويت، كيف يرفض عسكري يوجه إليه أمراً مِن قيادته العليا! ولو صدر مثل هذا الأمر ورفضت تنفيذه لما جلست معك الآن، كان يُنفذ بيَّ حكم الإعدام، لأن القانون العسكري هو: نفذ ثم ناقش. إطلاقاً لم يصدر أمر مِن عبد الكريم قاسم ولا مِن غيره باحتلال الكويت، ولم استفت السيد الحكيم ولا غيره على الإطلاق، إنها إشاعة في إشاعة؟! قال الرِّفاعي: "فسألته حينها: لماذا لا تنشر ذلك وتُصحح خطأً؟! فرد قائلاً: دع الشَّائعة كما هي، إنها نفعتني. جرى ذلك في بيته في شارع الفداء بالقاهرة"! هذا، ولكم قياس الفوائد المرجوة مِن الإشاعات، وإن كان فيها تأسيس لتاريخ بلدان وشعوب واستغفال العقل، عقل مَن يكتب وعقل مَن يقرأ!)).

من الكويت "المحتلة" بإتجاه لبنان
ويا قلبي لا تحزن

كلما إقتربت من تاريخ من 1990/8/2 تجول في خاطري ذكريات الأمس العصيبة وها انا أسترجع شريطاً منها ...

لم يكن أمامي من خيار سوى الخروج من الكويت فالبقاء تحت الاحتلال العراقي سيقودني إلى التعامل معه.

وهذا أمر كان مرفوضاً مني، فقد سعى هذا النظام وعبر موظفيه الذين يعملون بالسفارة العراقية بالكويت إلى "تجميع" عدد من الصحافيين الموالين لهم، تحضيراً لإصدار صحيفة تنطق بلسانهم.

"عرّاب" شارع الصحافة في الكويت هو الملحق الإعلامي حامد الملا والذي كانت له اليد الطولى بتحريك الصحف وزرع أشخاص يدينون له بالولاء داخل المؤسسات الإعلامية الخمس وله صولات وجولات، من توزيع "الويسكي"، إلى ملاحقة المعارضين للنظام في بغداد، إلى تدجين الصحيفة وجعلها في خدمة السياسة التي ينتهجها صدام حسين.

بقيت حوالي عشرة أيام أثناء الاحتلال، كنت من ضمن الأشخاص الذين يطاردهم حامد الملا لإجبارهم على الالتحاق "بالقبس" التي وضعوها تحت وصايتهم وإدارتهم وقرروا استغلال المبنى والمطبعة وجهاز التحرير بهدف إصدار صحيفة تحمل اسم "النداء"، صحيفة الاحتلال.

غيّرت مسكني وتنقلت بين بيوت عدد من الزملاء للمبيت عندهم إلى أن قررنا المغادرة، ضمن "Convoy" جماعي باعتبار أن الرحلة ستكون صعبة جداً وستواجهنا مشاكل على الحدود، وفي أجواء غير طبيعية.

أغلقت بيتي وسلمت المفتاح إلى أحد المعارف، وركبت سيارتي وتجمعنا في منطقة الشويخ مع عدد من الزملاء اللبنانيين الذين تربطني بهم علاقة مهنية.

إنطلقنا باتجاه الأراضي العراقية عن طريق معبر صفوان الحدودي الذي بات مفتوحاً بالاتجاهين، يوم الثاني عشر من أغسطس 1990 وسرنا نحو البصرة، تلك المدينة الساحرة ببساتين النخيل التي لا تفارق عينيك لساعات في منظر يوحي بالسكينة، تصادفك مجموعات تصطف على جانبي الطريق أغلبهن من النساء يبعن السمك النهري ويقدمن "السمك المسقوف"...

وصلنا عصراً إلى مدينة بغداد، وكان لزاماً علينا مراجعة السفارة اللبنانية لتسهيل عملية الخروج، اقتنصنا فرصة الوصول إلى هناك وزيارة أقرباء لنا.

اللقاء لم يكن متوقعاً أبداً في ظل ظروف بالغة الصعوبة، جلسنا نتحدث ونتبادل الأخبار لكن ما يجري في الكويت فرض نفسه على الحضور وتحول اللقاء إلى ندوة مفتوحة.

وضعت في حسابي أن يكون بين المدعوين الذين جاؤوا للسلام والتعارف بعد أن علموا بقدومنا من هم على صلة بالمخابرات العراقية، وهذا أمر وارد جداً في تلك الظروف.

تفاجأت أن معظم الحديث دار حول "الغنائم" التي حصلوا عليها ووصلتهم من الكويت! استفسرت عنها وإذ بها مواد مسروقة من بيوت الكويتيين تباع في السوق السوداء، ومواد غذائية حصل عليها "تجار" عراقيون وآخرون يخدمون في الجيش لم تكن متوفرة بالسوق العراقي، ومحرومين منها طوال سنوات الحرب مع إيران وكانت بالنسبة إليهم بمثابة "هدية من السماء"!

لم يطل بنا الليل في بغداد التي كانت تعيش أجواء الحرب في الكويت وتترقب ما سيحدث لها، وإن كانت الشوارع والحركة فيها تسير بشكل معتاد وإلى حد كبير!

المفردات المتداولة عند الشارع العراقي كانت صدى للخطاب الإعلامي الذي تبثه بغداد وترددة "الجماهير" ولم يكن مفاجئاً لي.

أكملنا السير نحو الحدود مع الأردن، دخلنا معبر "الرويشد" مع غروب

الشمس، وإذ بالمكان يموج بالبشر وبالسيارات العابرة من العراق، وهم من الفلسطينيين والأردنيين والسوريين واللبنانيين...

وقيل لي إن هذه المساحة من الأرض حوالي 15 كيلومتر مربع منحها صدام حسين للأردن أثناء الحرب مع إيران.

سيارات محملة بالأمتعة، الناس تفترش الأرض لتنام كأنك في سوق شعبي مفتوح، تخيلت نفسي أنني لن أخرج من هذا المكان!

انتحينا في إحدى زوايا الأرض المفتوحة واستلقينا جنب السيارات التي أقلتنا من الكويت، حاولنا الدخول لقضاء حاجتنا، ويا لبشاعة المنظر والمكان...

حتى الحيوانات تأنف من الوقوف والدخول، روائح كريهة لا تقوى على تحملها...!

أخذنا "استراحة" ليلية على الأرض وتحت ضوء القمر وأمامك منظر لا يغيب عن الذاكرة، أكوام من البشر والسيارات تنوخ هناك ولا أحد يسألك أو يقترب منك...

مبكراً وفي ساعات الفجر ذهبنا لنأخذ دوراً عند موظف الجوازات "وأمة محمد" تنتظر وبعد ساعات من الحشر ختمنا جوازاتنا، وهممنا بركوب السيارات لندخل الأردن، قطعنا المسافة دون توقف لنصل الحدود مع سورية من ناحية محافظة درعا... هناك كانت الحركة منضبطة إلى حد ما، إنتظرنا الدور إلى أن جاء الفرج!.

ما إن تخرج من أول معبر سوري حتى يوقفك حاجز آخر، وتبقى تعيش بين الحواجز المتنقلة إلى أن تصل إلى آخر نقطة بدرعا باتجاه دمشق، هناك وعلى هذا الحاجز، وقف مجموعة من صبية يعرضون السجائر للبيع، ما إن رآهم زميلي حتى استطاب له الشراء وتوقفنا جانباً، ودار حديث بيننا عن الثمن ونوعية السجائر، فاختار شراء "كروز مارلبورو" وهو النوع الذي يفضله، دفع ثمنه وعدنا إلى سيارتنا، فتح الصندوق ليتناول سيجارة وإذ به يجد نوعا آخر من السجائر بنوعية رديئة جداً ولاعلاقة له بالمارلبورو،

استشاط غضباً وقرر العودة إلى الحاجز من جديد... وهكذا وجدنا أنفسنا أمام سيارة "بيجو" يترجل منها شخصان يتقدمان نحونا ويوجهان كلامهما بصورة استفزازية وبما معناه، إذا لم نسكت ونكمل طريقنا فسيتم حجزنا للتحقيق!

أنهينا الشجار مع "الشبيحة" الذين تبين أنهم من عصابات بيع السجائر المهربة وتحت حماية أفراد من جهاز المخابرات الذين يستخدمون الأطفال الصغار للتغطية!

لازمتنا الحواجز الأمنية السورية طوال الطريق وكل حاجز يختص بناحية ... حاجز يفتش عن مواد غذائية وآخر عن عملة صعبة وثالث عن مبالغ نقدية لتسهيل المرور، وفي هذا الحاجز حصل ما لم يكن بالحسبان ... أوقفنا الأمن وانتحى بي جانباً طالباً ما لدي من إكرامية، أجبته، نحن صحفيين وخرجنا من الكويت وهي محتلة ولا نحمل مالاً وذاهبون إلى أهلنا في لبنان! وبعد أخذ وعطاء، بادر زميلي بإعطائه خمسة دنانير كويتية: أجاب ... نريد المبلغ بالدولار! شكونا له أمرنا وبعد مناشدة واسترحام ... سمح لنا بالمرور!

وصلنا إلى منطقة "المصنع" نقطة الحدود اللبنانية مع سوريا وأتممنا إجراءات الدخول وسط طوابير طويلة جداً من السيارات والشاحنات، لنحط الرحال كل حسب وجهته، ونتوزع من هناك بحثا عن الراحة والاطمئنان إلى عوائلنا التي كانت تنتظر القدوم على أحر من الجمر!

ستة أشهر في الشارقة
الطريق إلى "الكويت الحرة" يمر عبر الإمارات

كان علينا البحث عن مصدر للدخل ومكان للعمل بعد الخروج من

"الكويت المحتلة"، وهذا استغرق منا حوالي الشهر، بالتنقل بين دور صحف لبنانية والكتابة في صحيفة "الحياة" إلى أن عدنا إلى إمارة الشارقة والتحقنا بجريدة "الخليج" بدولة الإمارات العربية المتحدة... جاءت الدعوة من العم جمعة الماجد الذي أظهر معدن الوفاء في تلك المحنة، فقد فتح الباب لكل أهل الكويت الذين دخلوا الإمارات، فكانت عماراته وشركاته تستقبلهم دون مقابل يكفي أن يكون كويتياً.

علاقتي بالإمارات تعود إلى سنوات، وكانت في معظم الزيارات إما لحضور مؤتمر أو مناسبة أو لقضاء إجازة، من تلك الزيارات الذهاب إلى إماراة دبي لتقديم استشارة لمركز جمعة الماجد الخاص بالمخطوطات والتراث والمكتبة، وتحديداً استخدامات الميكروفيلم بحفظ وتخزين المخطوطات والوثائق، بعد معرفته بأن "القبس" لديها قسم للميكروفيلم يمكن الاستفادة من خبراته، وكان ذلك عن طريق العم عبدالعزيز الشايع وموافقة رئيس تحرير "القبس" محمد جاسم الصقر آنذاك.

جريدة "الخليج" كانت أولى المحطات نظراً لمعرفتنا بعدد من الزملاء العاملين فيها، ولكونها من الصحف الأولى والرائدة على مستوى الإمارات، ولها روابط مع الكويت عن طريق مؤسسها تريم عمران والذي درس بثانوية الشويخ وكانت صحيفته تطبع في مطابع مقهوي عند التأسيس أوائل السبعينيات.

انضممت إلى أسرة الصحيفة وكانت تجربة حية وعن قرب للتعرف أكثر على صحافة الإمارات التي كانت تضع الصحافة الكويتية نصب

أعينها لبلوغ ما وصلت إليه وما تعيشه من أجواء بالحريات تفتقد إليه وللمستوى الذي حققته على مدى عقود.

عشت تلك الأيام والأشهر وسط المعركة الدائرة على أرض الكويت، شاركت بعمل تقارير إعلامية ووثائقية تنشر في الصحيفة تباعاً ذات صلة بالحرب والاحتلال، وكنا نعيش تطورات الحدث يوماً بيوم، انتظاراً ليوم التحرير.

تجولت في معظم الإمارات والتقيت بعدد من زملاء المهنة في صحف "الاتحاد" و"الوحدة" و"البيان"، باعتبار أن الصحف الثلاث تشبه كل واحدة منها الإمارة التي تصدر منها، وإن كانت "الخليج" لسان حال الإمارات الشمالية، بحكم الموقع الجغرافي بدءاً من الشارقة مروراً بعجمان والفجيرة وأم القوين وصولاً إلى رأس الخيمة.

صورة الكويت تتجلى أكثر في إمارة الشارقة فلها تاريخ طويل من العلاقة والحضور الكويتي المتنوع من التعليم إلى المرافق الصحية والتماثل الثقافي الذي يجمعهما.

كنت مهتماً "بمشاكل الحدود" في دول المنطقة والإمارات واحدة منها، زرت "العين" ورأيت كيف هي الحدود المتداخلة مع بعضها مع سلطنة عمان، وذهبت إلى "دبا الفجيرة" ويوم عدت إلى الكويت عن طريق "السلع" باتجاه قطر، فجأة تنتصب أمامك لوحة ترحب بكم بأراضي المملكة العربية السعودية، لتخرج منها وتكمل الرحلة برفقة الزميلين علي العدواني وناهس العنزي، وصولا إلى الخفجي ودخول الكويت المحررة في الأول من يونيو عام 1991.

شدني موضوع " الحدود" ومشاكله في العالم العربي منذ زمن طويل. كنت أتابع وأقرأ جيداً ما أستطيع الحصول عليه.

تناولت الحدود في العديد من الكتابات والتقارير والدراسات التي أعددتها ونشرتها في عدة صحف ومجلات .

وبالرغم من إحاطتي وإطلاعي على وثائق وإقتناء كتب سردت وقائع وروايات

تاريخية إلا أنه لم يشكل عندي الإنطباع الذي خرجت به بعدما خبرته جيداً على الأرض.
تسني لي من خلال وجودي بالكويت وتنقلي بين عدد من دول الخليج العربي وإقامتي بدولة الإمارات حوالي ستة أشهر أثناء الاحتلال العراقي عام 1990 أن أعيش وأشاهد التداخل العجيب في الحدود بين الدول .

بين العين و"البريمي"

إنطلقت بنا السيارة، صباح يوم الجمعة، بشهر مايو 1991 من أبوظبي، بعدما وصلتها بصحبة شقيقي «محسن» من إمارة الشارقة، متوجهين إلى مدينة "العين" ليرافقنا شقيقي الأكبر المرحوم «قاسم» والذي كان يعمل بجريدة "الوحدة" .
وصلنا إلى "عاصمة" المنطقة الشرقية بعد قطع مسافة تصل إلى 157 كلم وفي أجواء يغلب عليها الغبار ودرجة حرارة عالية ورياح شديدة السرعة زرنا جبل "حفيت" وهو الجبل الذي يشبه بتضاريسه جبال سلطنة عمان بعد جولة قصيرة بحديقة الحيوانات أكملنا المشوار بإتجاه "العين الفايضة" والتي يقصدها السواح .
عدنا بإتجاه الشارقة عن طريق دبي، بعدما ودعنا شقيقي الأكبر إستقل الباص إلى أبوظبي.
ونحن في مدينة "العين" سلة الغذاء للإمارات طالعتنا لوحة مكتوبة عليها "أهلاً بك في ولاية البريمي"! توقفت قليلاً لألتفتَّ من حولي خوفاً أن نكون ضيَّعنا الطريق، فما كان من شقيقي إلا ان طمأنني، ليس هناك خطأ ... هذه أراضٍ عمانية!
كل شيء فيها عماني، داخل وبقلب "العين" أراضي وشعب وشرطة وحاكم يتبعون سلطنة عمان!
أرقام السيارات، مراكز الشرطة، علم السلطنة لوحة كبيرة تشير إلى مدينة "صلالة"...!

تراها أمام ناظريك وبهدوء يكاد يلف المنطقة.. وما هي إلا دقائق وأنت تقطع المسافة بالسيارات لتطالعك لافته أخرى "مدينة العين ترحب بكم"! عدنا بإتجاه الشارقة عن طريق دبي، بعدما ودعنا شقيقي الأكبر الذي إستقل الباص إلى أبوظبي لنصل الشارقة الساعة الرابعة من بعد الظهر ذاك اليوم، وبطريق تكثر فيه الإستراحات ومراكز توزيع "لبن مراعي العين" والبساتين التي تتوزع على جانبي الأوتوستراد العريض.

من مركز "السلع" إلى مركز "سلوى"

وأنا أحزم حقائبي للعودة إلى الكويت في الثاني من يونيو عام 1991، جائني الزميل علي العدواني بسيارة "الميتسوبيشي" للتوجه نحو مدينة "الرويس" التابعة لإمارة أبوظبي، وفي اليوم التالي تحركنا نحو الحدود القطرية بعد خروجنا من مركز "السلع" الإمارات وندخل أراضي دولة قطر من منفذ "سودانتيل " ...

المفاجأة التي لم نكن نتوقعها بعد بضعة كيلومترات، انتصبت أمامنا لافتة عريضة يرفرف عليها علم المملكة العربية السعودية وعبارة ترحب بالقادمين إليها...

توقفنا أمام الحاجز بمنطقة "البطحاء" للتدقيق في الجوازات وأكملنا سيرنا لآلاف الكيلومترات ونحن داخل أراضي السعودية ... تابعنا المسير، ووصلنا إلى آخر نقطة في حدود دولة قطر، عبر منفذ منطقة "أبوسمرة" وندخل السعودية من منفذ "سلوى" الحدودي.

كان الطريق إلى الكويت يمر بمدينة الهفوف ثم الإحساء بإتجاه الدمام وإلى الخفجي ومنها إلى النويصيب والسالمي في "الأراضي الكويتية المحررة" حيث أعمدة دخان آبار النفط التي أشعلها الجيش العراقي تلف سماء المنطقة وتطليها باللون الأسود.

لقاء القائد المؤسس

من محاسن الإقامة بالإمارات أنني إلتقيت بزميل مخضرم، وهو المرحوم الأستاذ محمود زين العابدين والذي تزاملنا سوياً العمل في "القبس" بالكويت لسنوات وارتبطنا بعلاقة حميمة، فهو من جيل الاربعينات والخمسينات من الصحفيين العرب الذين اشتغلوا بالصحافة اللبنانية ودارت بهم الأيام ليأتي إلى الكويت ويعمل عند "عميد" الصحافة، عبدالعزيز المساعيد، صاحب دار "الرأي العام" وأخواتها والذي استقطبت نخبة من الصحفيين اللبنانيين.

من لطائفه التي أضفت على شخصيته نوع من السخرية والنقد المحبب إلى النفس تأسيس "حزب وهمي" هو قائده وأنا أمينه العام، وأشبه بإسقاط سياسي على واقع الأحزاب الهشة في العالم العربي وتقديس الرمز القائد، الأوحد!

هذا "الحزب الوهمي" صار يصدر بيانات و فرمانات يعلق فيها على ما يجري في الساحة العربية والساحة "القبسية" وغالباً ما يحرص على ان تكون تحركاته محاطه "بالسرية" زياده في الحبكة!

احد الأيام اصدرنا بياناً شديد اللهجة تجاه زميل لنا علمنا انه سيغادر القبس الى الامارات للعمل هناك بإحدى الصحف، فما كان منه إلا أن وزع بيانه عن طريق الفراشين حتى لا ينكشف امره، ووضع على لوح زجاج في صاله التحرير، ونسخه ثانيه منه الى الإنتربول الدولي ومنظمة الصحة العالمية تحذرهم من وصول أحد الركاب خلسة الى إحدى مطارات الامارات حاملاً فيروس معدي ولذلك يطالب البيان بإلقاء القبض عليه وحجره إلى ان يتم تعقيمه وطرد الفيروس النشط من جسمه!

وكانت قصه بقينا نتحدث عنها لسنوات، إلى ان التقيت به من جديد في إمارة أبوظبي و بصحيفة "الوحدة" التي زرتها خصيصاً للسلام والكلام.

مرحلة العودة للكويت

كانت فترة الأشهر الستة حافلة بالأحداث والمنطقة تغلي وهي في حالة طوارئ كاملة على وقع الاحتلال العراقي الذي ألحق دولة الإمارات وشملها "بالمغامرة" التي إشتركت بها مع الكويت لتدمير إقتصاد العراق واللعب بأسعار وإنتاج النفط!

كثيرة الوقائع التي عايشتها في حينه، وكيف فتحت الدولة هنا والناس بيوتها ومتاجرها عوناً للشعب الكويتي الذي توزع على معظم الإمارات السبعة.

كانت لي مساهمات بعمل أبحاث وتقارير نشرت "بالخليج" تواكب تطورات المعركة من أجل تحرير دولة الكويت، ولقاءات مع أسرة الصحيفة بشكل يومي والمناكفات التي كنت أسمعها من أبناء جاليات عربية إستقرت لزمن في الكويت تشتم منها رائحة الشماته؟

بدأت المعركة الجوية وكنا نعيش أحداثها لحظة بلحظة إلى أن بانت إشارات العودة والحرية إلى الكويت المحررة، وبالفعل دخلنا سنة 1991 وفي الشهر الثاني كانت ساعة الخلاص من الاحتلال العراقي وطرده من الكويت بالقوة العسكرية.

ما الذي جرى ... ليلة الصدور؟

حط بي الرحال بعد نكبة الثاني من اغسطس لعام ١٩٩٠ في امارة الشارقة, والتحقت بجريدة "الخليج"، بين اصدقاء اعتز بهم.
ولم تكن المسافة بعيدة بين الكويت والإمارات ليس بالمقياس الجغرافي وحسب بل بوضعها في دائرة النار وحدود الغنيمة التي تخيلها حاكم أرعن تسلط على مقدرات هذه الأمة واستباح حرماتها.
وفي تلك الدائرة بدت صورة التآخي وسط الإمارة الزاهية التي احتضنت العديد من ابناء جلدتها وقدمت لهم ما يستحقون.
وبعد هدوء العاصفة وسكوت المدافع، كان لابد من العودة وإن "قَصُرَ" السفر... وهذا ما حصل في الأول من يونيو ١٩٩١.
رحلتنا من الشارقة الى الكويت برا بصحبة الزميل علي العدواني اثارت فينا هموم المهنة واحوال "القبس"، وما جرى لها بعدما تشتت "القبسيون" في ديار الغربة، ليعودوا الآن للالتقاء لأن ساعة النفير التي أطلقها رئيس التحرير لابد لها من الاستجابة.
في ذلك الشهر كانت الكويت تعيش تحت خيمة سوداء وحمم النفط تطلق نيرانها في الصحراء التي تحولت الى براكين حمراء ولسان حالها يقول من اراد العيش في محيطها عليه واجب المشاركة والتحدي في اعادة البناء.
لم يطل بقاؤنا تلك الليلة مع الزميل احمد صفاوي الذي آوينا إلى بيته بعد ما سرق منزلنا وبقي هو من الصامدين .. حتى دخلنا دارا لنا فيها من الذكريات والآمال والاسماء، ما ليس لنا القدرة على نسيانه.
تجمع الزملاء وقوفا مع رئيس التحرير الأستاذ محمد جاسم الصقر لعدم توفر طاولات أو كراسي سرقت الى بغداد، وسط قاعة خالية لم يبق فيها سوى بعض المكاتب المعطوبة في هذه الأجواء. تتساقط

عليك صور من الماضي هل هذه هي القبس التي تعرفها أم انها اطلال تشهد على فعل الجريمة. لكنه التحدي الذي يواجهك ويبدأ السؤال كيف نستطيع الصدور وقد اتي المحتل على ماكينة الطبع التي "فتح" لها نافدة بالحائط الخارجي ليتم سحبها إلى حيث يشاء السارق ، مع كل ما تيسر له من معدات وأجهزة حتى السجاد اقتلعوه من الأرض ليجعلوا المبنى دارا مهجورة مليئة بالأوساخ تلك النفايات التي تطوع ابناء القبس وبسواعدهم الى جمعها ووضعها في صناديق القمامة .

تنظر حولك وبلحظة من الرعب. لتسأل أين وكالات الأنباء أين المصورين؟ أين هم الزملاء الباقون أين الهواتف التي توصلك بالعالم ؟ أين اجهزة التلفزيون والراديو؟ لا شيء، يأتيك الجواب من رجل خرجت الدموع من عينية . لا تعرف هل هي فرحة اللقاء أم عثرة المرارة.

سوف تصدر القبس بعد أسبوعين ولا خيار لدينا بالتأجيل. فساعة العمل دقت، ولا مجال للبكاء والحسرة.

دلفنا الى الدور الأول، لنعانق تلك المساحة القائمة من مركز المعلومات والدراسات والتي تربطنا بها سنوات طويلة في كل زاوية لما لنا فيها من ذكرى وموقف. أول ما تشاهده عبارة "محجوز لمجلة الف باء" ملصقة على الخزائن ونسأل الزملاء ليخبروك أن هذه الموجودات كانت من نصيب مجلة الف باء العراقية ... التي تخصصت على ما يبدو بسرقة المعلومات ومراكزها من المؤسسات الصحفية ...

تقترب من المعلومات وتفاجأ بأن الأرفف خالية من الملفات.. تتقدم من وحدة الصور فاذا بالخزائن مسروقة... تتجه نحو المكتبة فاذا بها منهوبة.. تصل إلى الميكروفيلم فاذا بالأجهزة مفقودة...

حمدنا الله وشكرناه على ان ما بقي من محتويات المركز تعوض لنا بعض الخسارة.. خصوصا.. وان افلام القبس الميكروفيلمية مازالت

موجودة بفضل زملاء لنا عملوا على اخفائها والحفاظ عليها.
امضينا الأسبوعين الأولين من الشهر السادس في إطار التحضير والإعداد للصدور الى ان تحدد موعد الانطلاقة الجديدة في السابع عشر من يونيو، على ان يصدر عدد تجريبي قبلها بيوم واحد.
ففي تلك الليلة تحولت القبس الى خلية نحل، ودب الحماس في الزملاء الذين كانوا يتسابقون وبلهفة على المشاركة باي عمل وكأنهم في تحد مع من أراد قتل الكلمة واغتيال أدوات التعبير الحضاري والإنساني.
ووقع الاختيار على مطابع مجلة "الرسالة" التي سلمت من السرقة بعدما قطع المحتل روح القبس عن جسدها، بأن نهب المطابع وما تمتلكه يداه.
كان علي البرجي وزميله محمد الحمصي دائمي الحضور عند رئيس التحرير، يتنقل بين القبس ومطابع "الرسالة" وابو عبدالله يتساءل بلهفة هل نستطيع أن نصدر؟. إني قلق وغير مطمئن يجيبه مسؤول الطباعة لا تخف لقد عملنا كل الاحتياطات اللازمة، والمهم أن لا يتأخر الإخراج والتنفيذ والمونتاج بتسليمنا الصفحات.
اقتربت ساعة الصفر، دخلنا في يوم 91/6/17 ، والساعة تقترب من الواحدة ليلاً.
إنتقلنا بعدها الى مطابع الرسالة، تجمع الزملاء جاسم اشكناني و احمد صفاوي وصلاح حيدر والزملاء في قسم المونتاج والمطبعة وكاتب السطور حول "بوعبد الله" ليشاهدوا عرضا مثيراً يؤديه على برجي على ماكينة الطباعة بحضور السيدين خالد التركاوي واحمد الحناوي.
الساعة تقترب من الثانية والاعصاب مشدودة فها هو رئيس التحرير يخرج من المطبعة ليدخلها ثانية ويسأل وماذا بعد" أين المشكلة" وبدون ان ينطق يتسلق البرجي ماكينة الطباعة بحركات بهلوانية كحركات لاعبي السيرك، القدمين للأعلى والرأس للأسفل هذه الحركات التي

استطاع بمعاونة زميله محمد الحمصي ان يضعا قطعة خشبية تسند رولات الورق التي تقطعت عدة مرات قبل ان تنتظم في لفتها الاعتيادية. فكم كانت من لحظات بائسة .. أشعرتنا بالحسرة الكبيرة لماكينة القبس العملاقة التي فقدناها لكن مع كل هذه الآلام لا استطيع ان اصف السعادة التي غمرت الجميع ونور القبس يضيء و يعاودهم من جديد ليحتل مكانه الطليعي مع بزوغ فجر جديد وهو فجر التحرير.

أمام حقل "برقان" وهو يقذف حممه

ونحن في الشهر السادس من عام 1991 كانت الكويت تعيش تحت غيمة من "التلوث الأسود" الناتج عن حرق أكثر من 730 بئر من النفط -أي ما يعادل هدر ملياري برميل- أقدم عليها المحتل العراقي قبل رحيله عنها ...

سكنت في شقة بشارع المثني بمنطقة حولي وكنا ثلاثة زملاء نعمل في "القبس" "أنا وأحمد طقشه وسهيل عبود" نتشارك بالبيت وبالعمل، نذهب سوياً ونعود كذلك عند خروجنا كنا نلبس الكمامات نظراً لوجود كتلة من السحب تغطي سماء الكويت، سحب أشبه بغيوم داكنة تتساقط على رؤوس البشر مثلما تساقطت على الأبنية التي تغيرت معالمها واكتست باللون الأسود.

كنا نخدم أنفسنا في البيت، فلا وجود لأحد معنا ولا حتى خادمة تساعدنا بالتنظيف وتحضير الطعام .. كان علينا القيام بما يتوجب من غسل الملابس، المهم أنجزت المهمة وتركنا "منشر الثياب" على شرفة البيت لتعريضها لأشعة الشمس كما هي العادة!

وفي اليوم التالي، فتحت باب الغرفة لكي أجمع الثياب وهالني ما رأيت .. تحولت القطع البيضاء إلى قطع سوداء لم يكن بمقدوري فرزها أو تمييزها نظراً إلى اللون الجديد الذي إكتسبته! ... حملت السلة وهرولت نحو الداخل عارضاً حالة "الملابس السوداء" وصرت أستعرضها أمام الزملاء واحدة تلوى الأخرى... وهم في حالة من الذهول لما شاهدوه!

كان علينا التخلص منهم فوراً وبتنا نمتنع عن نشر الغسيل في الهواء الطلق ونكتفي بالنشافة، داخل الغرفة المغلقة!

السحب السوداء حجبت عنا ضوء الشمس في عز النهار، ففي أيام كبيرة كانت الكهرباء تضاء نهاراً في الشوارع وعندما يتصادف لقاءنا بشكل جماعي أمام مبنى "القبس" يسارع المصور لإلتقاط صورة لنا للذكرى ونحن نلبس الكمامات البيضاء وكان ذلك منظراً غير مألوف بتاتاً.

مع مرور الأيام بتنا "نتعايش" مع الظاهرة البيئية السوداء التي شغلت الصحافة المحلية ووسائل الإعلام الأجنبية بتغطيتها "لجريمة القرن" المتمثلة بتفجير وتدمير وحرق أكثر من 700 بئر نفطي...

في حينه كانت الأنظار تتجه نحو حقول النفط وتواجد الفرق الأجنبية بمعداتها الضخمة التي استعانت بها الكويت لإطفاء الآبار المشتعلة، بحيث جمعت على أرضها عشرات الخبراء والفرق المتخصصة في العالم وعلى رأسهم أشهر خبير إطفاء آبار النفط الأميركي المعروف بإسم "رد أدير".

عدسات الكاميرات كانت حاضرة في أرض المعركة كل يوم تظهر صورة معبرة، منها صورة لطائر البط وهو في البحر يسبح في محيط الزيوت النفطية محاولاً الخروج من البقعة التي يغرق بها وهو "مغسول" بالنفط المتسرب من الحقول التي ترمي إنتاجها في مياه الخليج العربي!

عجلة إطفاء الآبار تعمل دون توقف بعد أن تحولت إلى موقعة مبارزة فيها إرادة التحدي بين الفرق المشاركة والوقت الذي تستغرقه وعدد الآبار التي تسيطر عليها، كان أشبه بمباراة يومية يسجل فيها العداد أسماء الآبار التي تم إخمادها والدولة التي سجلت هذا الإنجاز بعد أن وجدت بذلك فرصة لها، توظف خبراتها وتخرج بتجارب جديدة، بعد أن أحضرت عدداً منها طائرات الشحن العملاقة محملة بأحدث المعدات المخصصة في إطفاء حرائق النفط.

تسارعت الخطى وكادت أن تكتمل ما عدا "أم الآبار" كما كانت تسمى وهو حقل برقان ومن أكبر حقول النفط التي لا زالت مشتعلة.

كانت فرصة لي أن أقف أمام هذا الحقل في شهر نوفمبر 1991، وبصحبة الزميل المرحوم مبارك العدواني بعد أن أقلنا باص جمع فيه الصحفيين من مدينة الكويت إلى منطقة الأحمدي.. ومن باص إلى آخر ، حتى اقتربنا من بئر تخرج منه النيران، يقذف بها كالحمم، وقفنا على مسافة خمسمائة متر من البئر والمحاط بمجموعة برك من المياه وبعمق خمسة

أمتار وبطول عشرة أمتار، من أجل تبريد المنطقة المحيطة بهذا البئر.
كانت الأرض تغلي من شدة الحرارة ووجوهنا تزداد احمرارا لم نستطع الوقوف طويلاً، انتحينا جانباً، الصورة الجماعية مع فريق الإطفاء الكويتي وكان منهم المهندسة سارة أكبر التي تبرعت مع فريقها بتحقيق إنجازات غير مسبوقة، وبحضور وزير الديوان الأميري الشيخ ناصر المحمد الأحمد الصباح.
غادرنا المكان وعدنا باتجاه المدينة وحديث متصل عن "جريمة العصر" التي اقترفها النظام العراقي قبل إجباره على الرحيل...
السيناريو الذي أعده صدام لإجتياح دولة عربية جارة له ارتأى أن يكون النفط مدخلاً للحرب في غزوته عام 1990 مثلما كانت نهايتها بحرق الآبار!
بداية الأزمة من حقل "الرميلة" وبالتحديد حقل "الرتقة" الذي اكتسب شهرته عندما إدعي العراق في مذكرة طارق عزيز أن الكويت تسرق النفط من هذا الحقل ومن حقل الرميلة أيضاً، وكان هذا الادعاء أحد أسباب الغزو! لكن الحقيقة بخلاف ذلك، فمجلس الأمن ولجنة ترسيم الحدود التي شكلت لهذا الغرض اعادت للكويت ثماني آبار كانت في حوزة العراق قبل الحرب وانتقلت ملكية الآبار إلى الكويت بعد أن أعلنت الأمم المتحدة أنها توجد جنوب خط الحدود بين البلدين علماً أن هناك مكامن حقول نفطية تحت سطح الأرض تشترك فيها أكثر من دولة ووجود مكمن "الزبير" في حقل "الرتقة" الكويتي كإمتداد لمكمن الزبير في حقل الرميلة لا يعني ملكية العراق له فوجود هذا النوع من المكامن المشتركة بين الدول شيء عادي .. وقد دلت التحقيقات على أن جزءاً من حقل "الرميلة" الذي حفره العراق على الحدود بطول 1.5 كلم يقع داخل الأراضي الكويتية.
ووفقاً لدراسات علمية، أظهرت أن حقل الرميلة، حقل مشترك بين البلدين، الجزء الأكبر منه يقع في العراق والجزء الآخر في الكويت ويسمى "الرتقة".

إنتاج الكويت من هذا الحقل يتراوح ما بين عشرة آلاف و 14 ألف برميل يومياً، يمثل 1.1% من مجمل إنتاج الحقل في حينه ووصل عام 2020 إلى حوالي 80 ألف برميل يومياً.

وفي هذا المضمار، أتيح لي المشاركة بجلسة غداء في فندق الهيلتون بالكويت يوم 7 سبتمبر 2004 جمعت وزير النفط العراقي إبراهيم بحر العلوم وعدداً من الزملاء وفي جلسة تكاد تكون خاصة، روى لنا فيها أن للعراق حقول نفط مشتركة وعلى الحدود مع كل الدول المجاورة ولا تحكمها اتفاقيات بطريقة الاستغلال والكمية المستخرجة وأكثر الحدود يحدث فيها تهريب هي سورية وإيران.

ثم روى قصة عجيبة حدثت مع سورية قال "أثناء توليتي لوزارة النفط علمت بأن هناك مفاوضات وتسويات تجرى بدون علم الوزارة بين محافظ الموصل والنظام السوري حول بئر نفط مشترك على الحدود وتبين أن "الموصليين" أخذوا الكهرباء من سوريا مقابل أن تسحب ماتريد من النفط من هذا الحقل..

أي أن محافظ الموصل قام بترتيب اللقاء وبادر بنفسه وبموافقة خمسة من الأميركيين على أن يأخذ الكهرباء للمدينة مقابل السكوت عن شفط النفط من الحقل المشترك...

بعدها جرت مفاوضات مباشرة بين وزير النفط العراقي والمسؤولين السوريين ومنهم بشار الأسد وكان بين الجانبين العديد من الملفات العالقة: قال لبشار وللمسؤولين: كيف ترضون بالتفاوض على شأن سيادي يخص العراق مع محافظ الموصل، ولو قلبنا المعادلة وقام محافظ سوري بالتفاوض سراً مع الحكومة العراقية هل تقبلون...

ثم جرى إتفاق لتبادل المشتقات النفطية من العراق مقابل الكهرباء من سورية، تضمن بنوداً أخرى منها:

- الأرصدة العراقية في سورية تصل حوالي 400 مليون دولار نصفها

حساب جاري ونصفها بضائع يستوردها العراق وأغذية.. والحساب الجاري يوضع في بنك سردار في بيروت.

- قام العراقيون بدفع مبالغ من تلك الأرصدة وبدون موافقة النظام العراقي الى تجار سوريين بحجة ان لديهم ديون على العراق.

- فاتحوا السوريين بموضوع مصفاة طرابلس وإعادة فتحها ولم يكن لديهم أي السوريين اعتراض على ذلك.

- لم يفرج السوريين عن الأرصدة العراقية بل بقيت لديهم وفي مصارفهم.

ولأن لهذا الموضوع صلة بالحدود والترسيم الذي تم لأول مرة بتاريخ العلاقات بين الدولتين قمت بوضع مقارنة لنتائج الترسيم بين ما حصل عليه العراق وما حصلت عليه الكويت لأن ما تم "إنجازه" بشأن إحداثيات الحدود لم يكن إعادة توزيع للأراضي كما أشيع بل رسم خطوط دولية من قبل خبراء وفنيين وفق معايير علمية متبعة.

حصل العراق على:

- خور الزبير بأكمله رغم اطلاله 6 كلم من ساحل الكويت.

- تحديد نقطة الحدود جنوب ام قصر ب 800 متر جنوب ما تطالب به الكويت وأصبحت جميع مرافق "أم قصر" داخل الأراضي العراقية.

- مساحة جديدة في منطقة "سفوان" بزيادتها إلى 1430 مترا بعد ان كانت 1000 متر.

- تم تعويض العراقيين ب 230 مليون دولار دفعتها دولة الكويت عبر الامم المتحدة ل 95 مزرعة عراقية و206 وحدة سكنية ... تم بناءها على اراضي اعيدت للكويت رفض العراق مبدأ التعويض وتم وضع الاموال في صندوق خاص تحت تصرف الامين العام.

-أصبح العراق يمتلك ساحلاً بحرياً يتجاوز طوله 70 كلم يمتد من راس

الببشه في الفاو إلى أم قصر وهناك 3 موانئ نفطية عراقية تطل على مياه الخليج العربي: ميناء الفاو – ميناء خور العمية- ميناء البكر، وبإمكانهم استقبال الناقلات النفطية العملاقة وبغاطس يتراوح ما بين -12.5 13.5 متراً وتقدر الطاقة التشغيلية لجميع الموانئ العراقية بحوالي 80 مليون طن سنوياً.

أما الكويت فقد حصلت على ما يلي:

- اعيد شريط من الارض على طول الحدود البرية إلى الكويت علماً أن طول الحدود يبلغ 207 كلم متوسط عرضه 600 متر.
- أعيدت ثمانية حقول نفطية بالرتقة إلى الكويت التي يراوح عدد الابار بها 15 بئراً، طاقتها الانتاجية باليوم 20 الف برميل، تنتج منها الكويت حوالي 14 الف برميل باليوم.

محطات الفصل الرابع بالصور

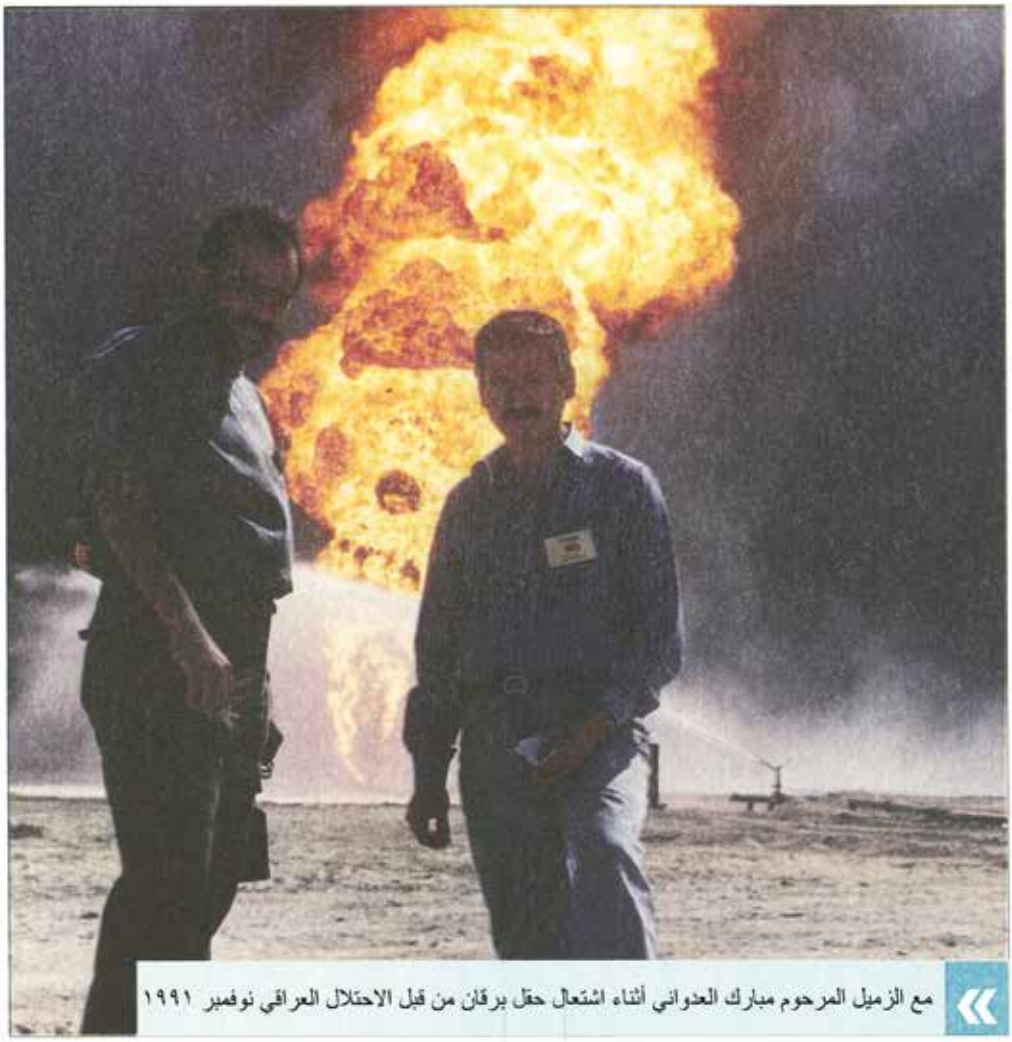

مع الزميل المرحوم مبارك العدواني أثناء اشتعال حقل برقان من قبل الاحتلال العراقي نوفمبر ١٩٩١

أثناء إطفاء حقل برقان نوفمبر ١٩٩١ ويبدو الشيخ ناصر المحمد الأحمد الصباح وزير الديوان الأميري وفريق إطفاء الآبار الكويتي

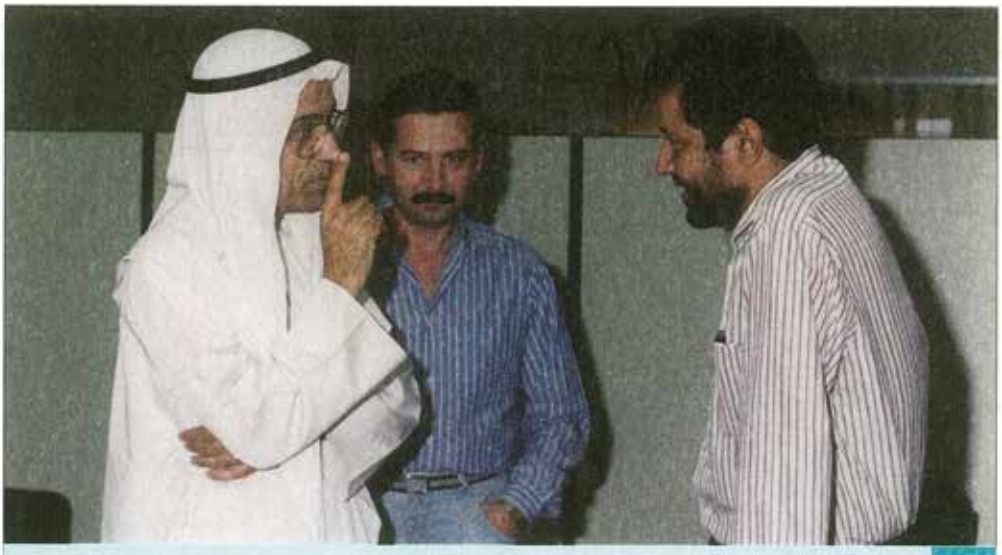

في مؤتمر القوى السياسية التي دعت إليه القبس بعد تحرير الكويت عام ١٩٩١ وفي الصورة العم يوسف النصف (العم أبو عمر) والزميل د.غانم النجار

مع الزميلين حمود البغيلي وجاسم أشكناني أمام مبنى القبس (٢-١٠-١٩٩١)

صورة تجمعني مع أشقائي قاسم ومحسن في إمارة الشارقة حيث كنت أعمل في جريدة الخليج أثناء غزو العراق للكويت عام ١٩٩٠.

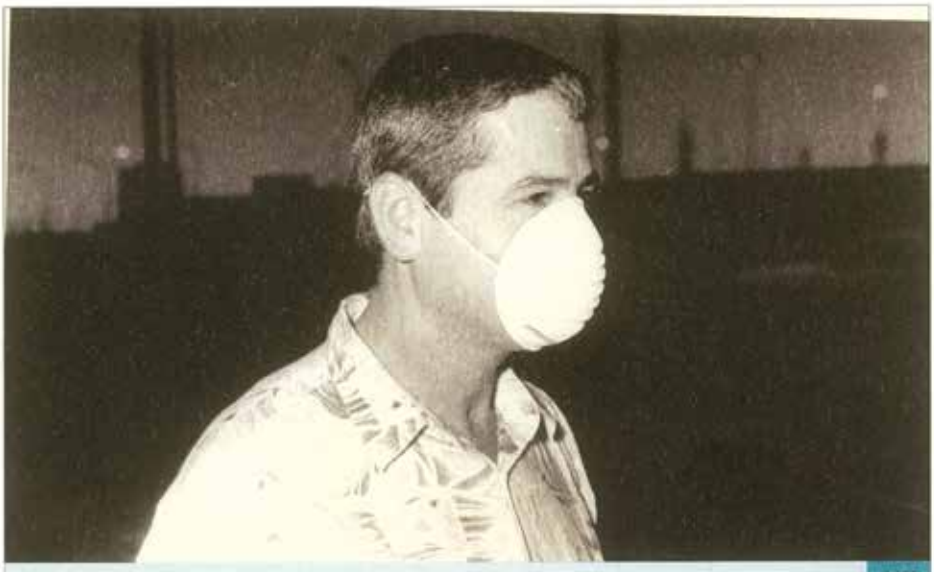

وضعت "كمامة" واقية من التلوث في عز النهار وكانت السماء مغطاة بالسواد (٢-١٠-١٩٩١)

مع الزميل أحمد طقشة أمام مبنى القبس بتاريخ ٤-١٠-١٩٩١ بعد هطول أمطار بغير موسمها نتيجة الدخان الكثيف والتلوث الذي عاشته الكويت بسبب تدمير وحرق آبار النفط

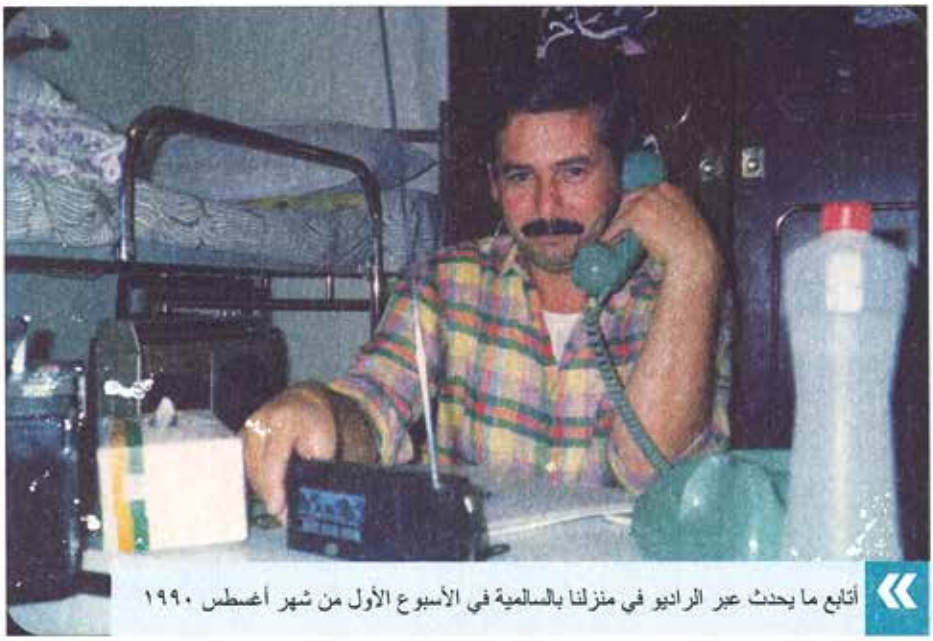

أتابع ما يحدث عبر الراديو في منزلنا بالسالمية في الأسبوع الأول من شهر أغسطس ١٩٩٠

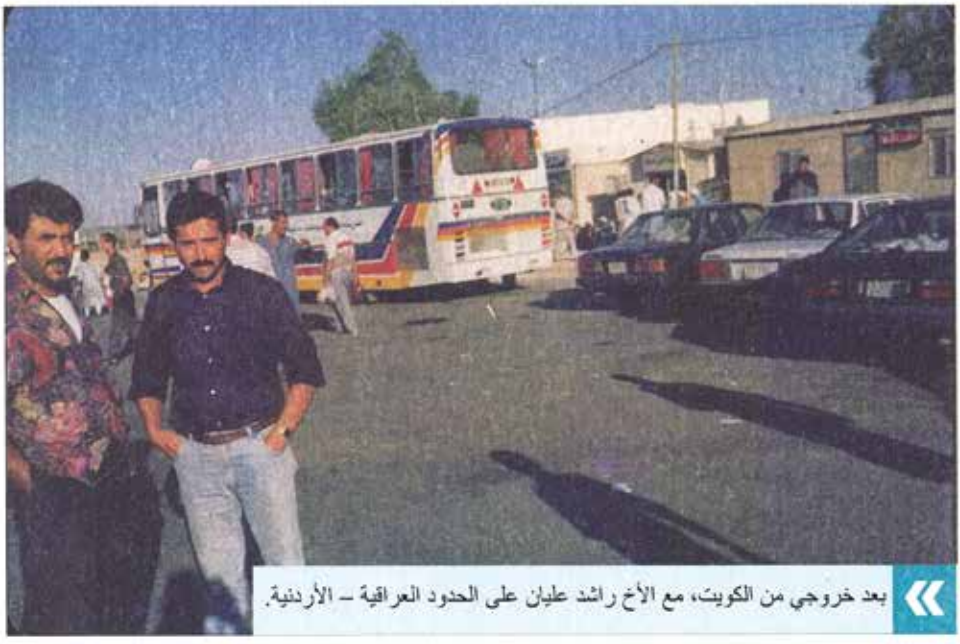

بعد خروجي من الكويت، مع الأخ راشد علبان على الحدود العراقية – الأردنية.

ذهبت إلى منطقة حولي لمشاهدة سقوط حطام طائرة "سمتية" – هليكوبتر – عراقية في الأسبوع الأول من الغزو .

الفصل الخامس

تعلمت منها الكثير

» الى جانب «النهار» وأشياء مهنية.

» مقالب تورط بها أهل الصحافة.

» مواقف محرجة حدثت لي في تركيا.

» عنوان بالمقلوب جعل عبدالناصر عميلاً أميركياً

» ظاهرة جديدة كنت أجهلها.

» بعد ٣٠ سنة عاد ليسألني؟

مدّعون ... وليس في الأمر بدعة.

» صديقي ... وجدوا جثته «متعفنة».

» ٦٠ عاماً من حياته عاشها بالوهم.

» صحفي من طينة لا تقبل .. التكرار.

» سعيد أبو مراد .. ملح الصحافة وأهل السياسة.

» شوهدت وهي تهوي على الأرض.

» يوم دخلت السجن ويوم وصلته زائراً .

إلى جانب «النهار» وأشياء مهنية

جاءتني دعوة لكتابة مقال أسبوعي بجريدة «النهار» ونحن نعيش في ظل الحظر الذي فرضه فيروس الكورونا في الكويت شهر مارس 2020 ...وبصفتي إعلامي لبناني في حقل الصحافة منذ 43 سنة...

عدت إلى الوراء ووجدت نفسي أسترجع شريطاً من الذكريات والعلاقات كانت «النهار» والعاملين فيها محوراً له.

كانت «النهار» بالنسبة لي أسطورة الصحافة منذ أن وعيت على الدنيا.

مَثَّلَتْ لجيلي حلماً يسعى للوصول إليه من وجد في نفسه الطموح للإرتقاء الى سلّم الشهرة..

في الستينات طبعت «النهار» صورتها في ذاكرة المكان الذي لم تبارحه، فمنطقة الحمراء الشهيرة تبدأ بمبناها ولا تنتهي الا به، «كالهرم» جاثم على رأس التَّلة من فوق، هكذا رسمت خطوطها وجغرافيتها.

وأنا في «الحوادث» على كورنيش المزرعة كان الذهاب إلى رأس بيروت يمر «بالنهار» سيراً على الأقدام أوبالسيارة .إقتربت منها أكثر عندما إنتقلت إلى «السفير» والتي لا تبعد عنها سوى أمتار أو كنا إذا أردنا أن نحدد موقعنا نقول إلى جانب «النهار» وهو تعبير تعدى الحدود الجغرافية ودخل في إطار الجوانب المهنية، فكانت المسطرة التي نقيس بها أعمالنا ... ماذا نشرت؟ وكيف تعاطت مع هذا الحدث. وكان على رأسهم الكاتب الكبير الأستاذ غسان تويني وأسماء أعلام رفدت الصحيفة بالتنوع والاحترافية بالتحليل.

أقمت علاقة مهنية وبحدود تعاملي مع «النهار» من خلال مركز المعلومات الذي يشرف عليه الصحفي رياض الريس وكانت لي صداقات مع عدد من المحررين والكتاب.

إنخرطت بأجواء هذه الصحيفة العريقة منذ أن أصبحت لي صداقات مع كل من

الأستاذ سمير عطاالله والذي أمضى ردحاً من الزمن يعمل في صحافة الكويت وتنقل بين «الرأي العام» و«الأنباء» واستمرت علاقته مع شريحة واسعة من أصحاب الفكر والقلم هنا... وعميد الطباعة المخضرم جورج مجاعص ورفيق دربه «المعلم» سامي شاهين وجورج ناصيف، هؤلاء أدخلوني في عوالم «النهار» وكأنني بت واحداً من العاملين فيها، ففي جعبتهم كنوز من التجارب والحكايات الموثوقة المتصلة بتاريخ الصحيفة .. وصاحبها الذي كانت تربطه صداقات وعلاقات واسعة بالكويت وبالشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح منذ الخمسينات وبالشيخ جابر العلي الصباح والذي كان يمضي الصيف في ربوع لبنان وبمكتبه الكائن في بناية الستراند بشارع الحمراء برأس بيروت وهو من اشتراها وصارت ملكاً له.

قد يكون كتاب الشاعرة والشيخة سعاد الصباح، وهو مفتاح الدخول لمعرفة قيمة ومكانة الأستاذ غسان تويني لدى الكويت وهذه المدرسة الصحفية التي بقيت على الدوام تحتل الحيز الأكبر من الاهتمام والتقدير وينظر إليها كنموذج رائد ومشرف في دنيا الإعلام .

الكتاب أشبه بموسوعة، صدر عن دار سعاد الصباح بعنوان «غسان تويني» يؤرخ ويوثق للنهار ولدور «الأستاذ».

عن مواقف «الأستاذ» التي نرويها، أنه جاء الكويت بعد نكسة 5 حزيران 1967 وهزيمة العرب.

يومها عقد مؤتمراً صحفياً بفندق الشيراتون للحديث عن شؤون الساعة .. وكان ملماً بالحالة الإعلامية والسياسية السائدة في عصره وبالصوت الدعائي الصارخ وشعارات جوفاء!

إبتدأ المحاضرة بتصوير واقع العرب المأساوي بعد أن دخلوا في حرب كبيرة دون أن يوفروا أدنى الاستعدادات.. وقال قصة هزت الحضور وبما معناها .. أننا نعيش حالة جنون ومن يقود العالم العربي فيه شيء من ذلك واستشهد بجامعة افلاطون اليونانية متوقفاً عند الشروط التي تفرضها لمن تسمح له بالدراسة فيها وهي أن يجتاز إختبار «أن يكون عاقلاً» ثم أكمل جملته «إذا كان العرب ونحن منهم، ومن

يستمع إلينا في هذه المحاضرة يرغبون بالإنتساب لهذه الجامعة فلا بد وأن يخضعوا لإمتحان سلامة العقل، وأظن إذا جرَّب أحداً منكم الدخول، فلن يسمح له لأنه سيكون فاقداً لهذا الشرط»!

أنقل هنا قصة تاريخية مختلفة فيها الكثير من الدروس التي نفتقدها لدى عدد كبير من أصحاب الصحف في العالم العربي ومنهم أصحاب ثروات وتجار وأغنياء! ...

حدثت أيام جبران تويني المؤسس، عندما عطلت الدولة اللبنانية في عهد الرئيس أميل إده، «النهار» لمدة ستة أشهر ، خلال مدة التعطيل لم يتوقف صاحب المطبوعة عن دفع رواتب المحررين وأجور العمال، مما إضطره إلى بيع مجوهرات زوجته، ولما نفذت المبالغ المالية لديه طلب من صديقه التاجر جورج عاقوري أن يقرضه مبلغ مئة ليرة ذهبية، على أن يسدد الدين لاحقاً وبشكل شهري، استجاب عاقوري للطلب ورفض تحرير سند به عندما علم أن صاحب «النهار» يقترض من المال ليدفع رواتب رفاقه في الصحيفة وقال له «إذا قدرت تسدد المية ليرة بكون مليح وإذا ما قدرت مسامح لأنك إنسان أدمي وصاحب أخلاق» (من كتاب مخزون الذاكرة، لويس الحاج) .

بالمقابل كانت للأستاذ غسان قصة تروى مع كميل شمعون، يوم كان نائباً ولديه مكتب محاماة وفي نفس الوقت يكتب المقالات وينشرها في «النهار» يتقاضى عن كل مقال مبلغ 50 ليرة لبنانية!

في أحد الأشهر توجه نحو مكتب أمين الصندوق ويدعى فؤاد باسيلا يطلب أجرة ثلاث مقالات، اعتذر فؤاد عن الدفع نظراً لوجود «الأستاذ» في السجن ولا أحد غيره لديه الصلاحية بالتوقيع أجابه شمعون .. أعطني الإيصال وأنا أذهب إليه في السجن، وأصر على الذهاب!

دخل عليه في السجن وطلب منه التوقيع على صرف 150 ليرة رد عليه الأستاذ.. صبراً علي أعطني فرصة كي أخرج من السجن والوضع الآن غير مناسب.

لم يرق هذا الكلام لشمعون ليبادره بالقول عندي 150 ليرة أهم من المشاكل التي يعيشها لبنان!!

مدرسة «النهار»

إلى جانب «النهار» كانت مكاتب «الجريدة» و«لوريون لوجور» في سوق الطويلة.. وهو أحد أسواق بيروت المزدهرة في الخمسينات والستينات...
المكاتب متقاربة جداً والعاملين في تلك الصحف يتقابلون مع بعضهم البعض بشكل شبه يومي تقريباً .
كانت «النهار» أشبه بالمطبخ السياسي فيها تجري لقاءات واجتماعات لشخصيات تعمل في الشأن السياسي والإعلامي.
كنت ترى شارل حلو (قبل أن يصبح رئيساً للجمهورية) يدخل مبنى «النهار» للقاء الأستاذ غسان تويني ... كان عليه أن يمر بمحاذاة عُمَّال صف الأحرف على الإنترتيب ... يلقى عليهم السلام ثم يكمل طريقه ... وهناك آخرون، كما يروي الصديق جورج مجاعص، أمثال تقي الدين الصلح بطربوشه الأحمر، والسياسي البارز ريمون إده، حيث صادف مجيئه ليتوقف أمام ماكينة صف الأحرف بالرصاص، عام (1958) سائلاً مجاعص ..كيف تنزل هذه الأحرف ، إشرح لي، كيف تعمل هذه الماكينة وما هي وظيفتها؟
استغرقت العملية دقائق وما كاد أن ينتهي حتي راح يحذر مجاعص ...إنتبه هذه الأحرف تحوى مادة سامة وعندما تكبر ستصاب بالسرطان، قالها باللغة الفرنسية..
ثم رفع الصوت منادياً إسم غسان ! وقبل أن يذهب إلى مكتبه أوصى جورج مجاعص بشرب الحليب يومياً ... سمع «الأستاذ» صوت ريمون إده، جاءه يسأله عن ما حدث! قال .. عليك أن توفر لهؤلاء العمال كأس من الحليب يومياً، رد عليه الأستاذ غسان ... نقوم بزيادة رواتبهم ولسنا مقصرين معهم.. أجابه ليس هذا المطلوب ... عليك تأمين الحليب وعلى حساب الصحيفة.

دار حوار بينهما عن أضرار عمال الأنترتيت والمطابع والمطالبة بزيادة الرواتب، معلقاً «الأستاذ» بأن «النهار» أكثر مؤسسة إعلامية تدفع للعمال أجورهم وبمبالغ أكبر من الصحف الأخرى...

ومن يومها، صار كأس الحليب الطازج يومياً يوضع أمام عمال صف الأحرف بالرصاص... والفضل يعود إلى العميد ريمون إده...

وبما أن الكلام عن سياسيي ذاك الزمن وصحفييه يذكر جورج مجاعص، أن العاملين في «النهار» كانوا يتقاضون رواتب أعلى من زملائهم في الصحف المنافسة الأخرى.. وهو ما دفع يومها صاحب جريدة الحياة الأستاذ كامل مروة للاحتجاج وكذلك أصحاب الصحف على غسان تويني، بقولهم أنه يخرب عليهم ويزيد من الأعباء المالية على كواهلهم نتيجة هذا النهج! كان رد الأستاذ غسان ... «أنا أردت أن أحمي الصحفيين والعاملين في «النهار» وأجعلهم لا يسقطون تحت إغراء السياسيين، فقد كانوا يذهبون على محلات ميشال بارودي بسوق الطويلة، يشترون أفضل الكرافاتات والقمصان ومن رواتبهم وعندما يذهبون لمقابلة أي رجل سياسي، يشترون الكرافات من معاشاتهم التي يتقاضونها من «النهار» ويقدمونها هدية لهم, كانوا في بحبوحة» وهكذا منعهم من أن يرتشوا أو يكونوا محتاجين للمال من الآخرين ... بل وجعلهم أحراراً وأقوياء يمارسون مهنتهم بإستقلالية وحرية...

مقالب تورط بها أهل الصحافة

بسبب خطأ بصورة الوزير ... دولة خليجية أبعدت الباكستاني !

الأخطاء الفنية في الصحافة امر شائع، وكثيرة تلك الوقائع التي يعاصرها من هو قريب من هذا العمل، فبعضها ينتهي باعتذار وابداء حسن النية وبعضها الآخر يورط صاحبها من دون ان يعرف مصيره.

حدث مرة أن شخصا باكستانيا يعمل في احدى الصحف في دولة قطر وفي قسم الاخراج الفني، وصادف أن كان احد وزراء الهند في زيارة رسمية لتلك الدولة عام 1998 وجاءته صورة للوزير اثناء تفقده مشروعا تجاريا وبجانبه عدد من أبناء جالية بلده.

وكان على هذا الفني أن يضع الصورة مع الخبر في الصفحة التي يقوم بتنفيذها لكن «تجري الرياح بما لا تشتهي السفن»، فقد كلف بتنفيذ صفحة ثانية مقابلة للصفحة التي كان يعمل بها، وتحتوي هذه الصفحة على صورة لأفيال في حديقة حيوان تم بثها عبر وكالات الأنباء، وبدلا من أن يضعها في الصفحة الجديدة اسقطها مكان صورة الوزير الهندي، لتطبع الصحيفة في اليوم الثاني وتحدث ازمة دبلوماسية كبيرة لم تنته الا بإبعاد الباكستاني من تلك الدولة الخليجية على اول طائرة تهبط في مطار كراتشي!

مواقف محرجة حدثت لي في تركيا

لم يخطر في بالي انني سأواجه مواقف محرجة أثناء الزيارة التي قمت بها الى تركيا عام 1996 تلبية لدعوة وزارة السياحة، ممثلاً «القبس» ضمن وفد إعلامي ضم حوالى ٣٠ صحافيا من كل انحاء العالم، للقيام بجولة في ساحل البحر الأسود. فمنذ اليوم الأول، وهو موعد الاقلاع الى استانبول، تخلفت عن الوفد ليوم واحد مما اضطرني الى الطيران لمدة ٢٤ ساعة متواصلة دون راحة ولا نوم كي انضم الى المجموعة، وقلنا «عسى خيرا» وربما نعوض هذا التعب بالتمتع بالمناخ الجميل لتلك المنطقة الجذابة.

وكنت قبل قرار السفر الشخص الثالث الذي يتغير اسمه بسبب اعتذار الزملاء، لارتباطاتهم وعدم توافق تاريخ الرحلة مع الاعمال المكلفين بها.

في اليوم الثاني من البرنامج المحدد سلفا، كانت زيارة مدينة «Trabzon» ترابزون، حيث فوجئنا بهطول الأمطار الغزيرة ونحن نعبر طرقا غير معبَّدة، فتوقفت الباصات مما اضطرنا للنزول ودفعها بأيدينا الى الامام لساعات طويلة، وفي جو بارد جدا، حتى أن بعضنا لجأ الى السير على الاقدام لمسافات طويلة، صعودا نحو القرية الوادعة في حضن الغابات الكثيفة، بعد ان وزعت علينا وزارة السياحة معاطف واقية للمطر.

في اليوم الثالث، تعرض الباص لحادث مروري كاد يلغي الرحلة، حيث تسبب بجرح بعض الزملاء وادخال اخرين الى المستشفى، مما جعلنا ننتظر لساعات قبل أن ننزل ضيوفا على أحد منازل مصطفى كمال اتاتورك التاريخية، بحديقته الغناء ومناظرها الجميلة، الى ان استتبت الأمور بعد تشغيل التلفونات النقالة للاطمئنان على الزملاء والاهتمام الرسمي باتصال هاتفي من محافظ المدينة.

وفي ختام الرحلة حط بنا الرحال في مدينة استانبول للراحة لمدة يومين بضيافة وزارة السياحة، وفي الموعد المحدد ذهبت لإتمام اجراءات الخروج

من الفندق، ففوجئت بأن المبلغ المطلوب غير متوفر لدي، وبأنني لا استطيع العودة الى الكويت دون سداد المبلغ بكامله الى ان اقترب رجل مني، بدت عليه ملامح خليجية، وعندما تعرف على حالتي دفع المبلغ كاملا وبالدولار الأميركي، فأبديت له أسفي الشديد على ما حصل، لكن الدكتور حسين المؤمن انقذني حقا من تلك الورطة، فشكرا له على هذا الموقف النبيل.

عنوان بالمقلوب جعل عبدالناصر عميلاً أميركياً!

في حياة البعض مواقف لا تنسى، يسترجعها الراوي متى حان موعدها
إحدى القصص «الخالدة» عند أهل الصحافة، وجيل الخمسينات، سمعتها بالصدفةِ.

الصديق خالد التركاوي، القابع في مفترق الطرق بشارع الصحافة الكويتية وفي مطابع مجلة «الرسالة» وقبل أن ينتقل إلى رحمة ربه إلتقيت به عام 1999 وحدثني عن واقعة كان شاهد عليها وهو يملك ذاكرة حديدية، يستمتع بالحديث عن «أمجاده» ويتخايل بمواقفه، عندما كان يعمل في صحيفة «بيروت المساء» في الخمسينات حدث له ما لم يكن بالحسبانِ

ففي أحد تلك الايام وعندما كانت الصحف تطبع بواسطة «الانترتيب» (أحرف الرصاص)، ويتم تركيبها بقوالب حديدية، حدث ان وضع عناوين الصفحة الاولى بالمقلوب، من دون ان يدري ماذا تتضمن، والمعروف ان تلك الصحيفة، كانت ناصرية الهوى، لدرجة ان الورق الذي تطبع عليه، يأتيها من مبنى السفارة المصرية في بيروتِ.

في صباح اليوم التالي خرجت الصحيفة بالمانشيت العريض، وبالصفحة الاولى تحت عنوان «بورقيبة قائد الامة العربية وعبدالناصر عميل الإنغلو - اميركية»، وما ان وصلت الى مكتب وزير الداخلية آنذاك عبدالله المشنوق، حتى «طار عقله»، كما يقول اللبنانيون، وأمر باستدعاء المسؤول عن هذا العملِ وبعد استقصاء واستفسار، وما هي الا دقائق معدودة حتى جيء بخالد التركاوي من منزله مخفورا بثياب النوم، ليوضع في سيارة يرفرف عليها العلم اللبناني، ويتم ادخاله الى دارة الاستاذ عبدالله المشنوق، وجمع غفير من قيادات العمل السياسيَ.

ما ان اطل برأسه حتى بادره المرحوم عبدالله المشنوق، بمنفضة سجائر

رخامية على وجهه من دون ان يعرف السبب، ثم أكمل عليه ابراهيم قليلات بأول «ضربة كف»، الذي تحول فيما بعد الى زعيم ناصري في بيروتِ وتبع ذلك عدد من الضربات واللكمات من دون ان يعرف مصدرها، ثم فتح تحقيق معه على الهواء مباشرة، وانهالت عليه الاسئلة: من دفع لك؟ ومن اي جهة قبضت؟ وبمن اتصلت؟ لتنتهي تلك العلقة الحامية باطلاق سراحه بعدما امضى ثلاثة ايام في مستشفى المقاصد، وتأكد لهم حسن نيته، وان العمل غير مقصود، وأنه خطأ بالتركيبِ!!

ظاهرة جديدة كنت أجهلها

تعرفت على جانب «جديد» بالنسبة لي في عالم الصحافة كنت أجهله ولم أكن أعرفه.

أصحاب أقلام من «الوافدين» تراهم يجلسون على «كراسي» ليست لهم، يمثلون الدور بالخيال، إنما في الواقع هم «وافدون»، يكتبون بأقلامهم وهذا صحيح، لكن كتاباتهم وما تخطه ايديهم تظهر إلى العلن بأسماء «المعازيب»!

وفي الأوساط الصحفية يدور السؤال في الغالب عندما تنشر إفتتاحية أو مقال في صحيفة ما، من هو الكاتب الحقيقي لها، لأنه بات معروفاً لدى العاملين في بلاط صاحبة الجلالة أن هذا الأسلوب يخص الشخص الفلاني، فلدى بعض الأسماء كاتب متفرغ أو أكثر لكن هذه الظاهرة تبدلت تماماً ، بعد فترة الغزو العراقي عام ١٩٩٠.

من الحكايات المتداولة أنه جرى في أحد الأيام، تكريم لبعض كبار الصحفيين الكويتين في القاهرة، تقدم عريف الحفل وهو شاب مصري يعمل في مجلة «روز اليوسف» .

للتعريف بصحفية كويتية مشهورة وبعد سيل من عبارات الترحيب والإشادة أشار بيده إلى شخص يقف خلف السيدة المكرمة.

وقال بلهجته المصرية «دلوقتي منقدملكو الأستاذ (..) وهو الأستاذ فلان ... القلم «بتاع الست»! وكان بمثابة قنبلة تسمع لأول مرة، ضَّجت به القاعة وعلت أصوات الضحك والقهقهة!

قصة ثانية، ذات يوم دخل صاحب مطبوعة، كما سمعتها من أحد الزملاء العاملين في الصحف، مكتب مدير التحرير وبعد نقاش استقر الامر على فكرة الإفتتاحية، تم تكليف هذا المدير وبعدما إجتهد وتخيل وكتب وأفرغ

ما في عقله وارسل الإفتتاحية لقسم الإخراج الفني، لتصدر في اليوم التالي ليلتقي به صباح اليوم الثاني ويسألة عن رأية في مضمونها.

تكرر الأمر مع زميل آخريعمل في إحدى الصحف، تصادف أن تم الطلب منه تحضير ورقتين حول مؤتمر تعقده إحدى فصائل المعارضة العربية في دولة أوروبية لشخصيتين إعلاميتين.. في الوقت نفسه. وقع الزميل في حيرة من أمره ، لمن يكتب؟ لكنه قرر أن يوزع المعلومة والتحليل عليهما بالتساوي ...

وبعد أن إنتهي من الكتابة قيل له أنه مدعو للمشاركة في المؤتمر الذي ينظمه أحد مراكز الدراسات إعتذر لأنه لم يعد لديه شيء ليقوله!

بعد 30 سنة عاد ليسأل عن تعويض الغزو من الأمم المتحدة؟

بعد 30 عاماً من الغزو، جاءني إتصال من زميل لي كان يعمل في القبس، إنتقل إلى الصحافة القطرية بالدوحة، ساءت به أحواله المادية بعدما إقترب من الثمانين عاماً ... ودعاني لمساعدته بالحصول على تعويض نهاية الخدمة لأنه كما أفصح، لم يستلم فلساً واحداً ...

عرضت الأمر على عدد من المحامين، أفادوا وفقاً للقوانين المرعية في الكويت يسقط هذا الحق بعد أشهر وليس بعد 30 سنة!

عاد ليسأل هل يوجد أمل بالحصول على تعويض من الأمم المتحدة؟

السؤال أعادني شخصياً إلى تجربة مررت بها أيام الغزو وبعد التحرير تستحق أن تكتب وتروى لما فيها من عبرة ودروس.

بعدما دخل الجيش العراقي وإحتل الكويت عمل نظام صدام حسين على إلحاقه بمحافظات العراق إدارياً واعتبر ان المحافظة رقم 19 باتت جزءاً من كيانه... والذي يمتد من البحر الى «زاخو» فيما يشبه العقدة التاريخية التي لازمته بخصوص ان تبقي الكويت دولة ذات سيادة تطل على الخليج العربي وبشواطئ وأميال بحرية، يفتقدها!

إستتبع قرار الضم جملة إجراءات أقدم عليها من بينها «إلغاء» العملة الوطنية الكويتية وهي «الدينار».

وفي حينه لم يكن بالإمكان سحب أي مبلغ من البنوك التي تعطلت بفعل الغزو، بعد حوالي 12 يوماً بقيت فيها بالكويت تحت الاحتلال، شاركني فيها أحد الأصدقاء من عائلتي والمقيم هنا، لم أكن أملك في حينه سوى بضعة دنانير.

خرجت من الكويت وليس في جيبي سوى خمسة عشر ديناراً باتجاه لبنان

عبر حدود ثلاث دول، هي العراق والأردن وسورية، إلى أن وصلنا بيروت ومنها إلى بلدتي في جنوب لبنان.

عدت إلى الكويت قادماً من الإمارات ومن إمارة الشارقة تحديداً بعدما قضيت هناك ستة أشهر أعمل في صحيفة «الخليج» دخلت الكويت أول شهر يونيو 1991 والتحقت «بالقبس».

كانت الكويت تعيش أجواء الحرية والتحرر من الاحتلال وورشة إعادة الإعمار وإعادة الأمن والإستقرار هو ما يشغل الدولة التي سعت إلى طلب تعويضات عبر الأمم المتحدة نتيجة الخسائر التي اصابتها جراء الاحتلال العراقي وهذا ما انسحب على المواطنين والوافدين المتضررين.

الدراسات المنشورة في حينه أفادت أن لجنة الأمم المتحدة للتعويضات وافقت على دفع 41 مليار دولار حتي عام 2006 بينما بلغت المطالبات الكويتية عن أضرار الحرب 178 مليار دولار.

لكن ما يخص الوافد المقيم، عليه مراجعة سفارة بلاده وهذا ما حصل بالفعل، فقد سعيت مع السفارة اللبنانية بحكم علاقتي بهم، لإستلام طلبات لي وللزملاء العاملين معي من الجنسية اللبنانية .

عملية تعبئة الطلب إحتاجت وقتاً لا بأس به، لإستكمال البيانات والأوراق الثبوتية، أتممنا المهمة وأودعنا الطلب في السفارة.

بعد حوالي شهرين تم إبلاغنا أن صيغة الطلبات التي قدمت مرفوضة بعدما تم تعديلها وعليه يتوجب عليكم تعبئتها من جديد للمرة الثانية...

ألححت على الزملاء بعمل ذلك بعدما شعرت بنوع من الرفض والتململ...

لكننا قمنا بالمطلوب ونحن نمني النفس بأن يكون الملف أغلق وأرسل على الهيئة المعنية بالأمم المتحدة للبت في أمر الطلبات.

مضى شهرين أخرين لنفاجئ بأن السفارة اللبنانية إتفقت مع شركة خاصة أسندت إليها هذه المهمة وهذه المرة أضيف إليها شرط جديد وهو الكتابة باللغتين العربية والإنكليزية!

عندها قررت بيني وبين نفسي التوقف تماماً عن تقديم الطلب للمرة الثالثة وترك الموضوع نهائياً ...

دارت الأيام ونحن في السنة الثالثة بعد التحرير جاءني مجموعة من الزملاء الذين أوصيتهم بعدم التراخي وتقديم الطلبات يزفون إلى بشرى جميلة وهي أن الأمم المتحدة وافقت على تعويضهم وبأرقام تتراوح بين 75 و 100 ألف دولار للشخص الواحد طبقاً للراتب الذي كان يتقاضاه وللخسائر التي تحملها وأسرته.. وانهم سيستلمون المبالغ عبر حساباتهم في البنوك.

زميلي القابع في الدوحة والذي صحي بعد ثلاثين سنة ليطالب بتعويضه من الأمم المتحدة لم يعلم أنني لم أحصل على فلس واحد من الأمم المتحدة كتعويض بالرغم من خسارتي الكبيرة التي اصابتني وعائلتي التي انقطعت عنها طوال فترة الاحتلال وذهبت إلى الشارقة بمساعدة خاصة من العم جمعة الماجد الذي غمرني بإنسانيته ودعمه لي وأعمل هناك مع أسرة صحيفة «الخليج».

مُدّعون ... وليس في الأمر بدعة

في حياتنا «مدَّعين» وليس في الأمر بدعة.

ذات يوم جرى حوار بين «مدَّعي ثقافة» وزميل آخر له أدنى مستوى منه، عن أحدث كتاب فلسفي نزل إلى السوق فأجابه فورا، نعم قرأته، وعندما ذكر له اسم المؤلف قال نعم انه «فستوبوليس»، عندها لاذ صاحبنا المسكين بالسكوت، وراح ليكتب مقطوعة فلسفية عن فكر الفيلسوف اليوناني «فستوبوليس» ورماها امام مكتبه دون أن يعلّق بكلمة..

بعد اسبوع نشرت المقالة وجاءه المسكين سائلا: هل قرأت ما كتبته اليوم؟ رد عليه بالايجاب، عندها انفجر هذا المسكين بوجه «مدَّعي الثقافة» فاضحا إياه.. هل تعلم انه لا يوجد مثل هذا الاسم وهو من اختراعي، وان عنترياتك لم تعد تمر علينا!.

هذا النوع تجده عند نفر من المهووسين «بعقدة التفوق»، هؤلاء لديهم عقدة العظمة كلما تحدثت معهم عن اسم يقولون لك نعم لي علاقة خاصة به، وإذا جئت على ذكر احداهن من الشهيرات قال لك تربطني علاقة خاصة وحميمة جدا بها، ولا ارغب في الإفصاح عنها!

والادعاء هنا نابع من وجود حالة مرضية عند طائفة من المغرمين بسرد مآثرهم الهوائية والفارغة على الناس لإحاطة انفسهم بقدر من الهالة والعظمة في المجتمع!

والادعاء أيضا تعثر عليه في جسم الصحافة الذي يزخر بـ«مدعي الصحافة» وأن لهم باعا طويلا في تأسيس عدد من الصحف وملازمة كتاب كبار وعلاقات ذات مستوى عال جدا، وفي لحظة ينكشف المستور عند أول اختبار يتعرض له.

فقد استمرأ هذا «المدَّعي» انه هو من يكتب الافتتاحية بالصحيفة الفلانية،

وانه يقف وراء رئيس تحريرها بكل خطواته، ويعرف أدق التفاصيل عن العلاقات التي تربطه باهل السياسة والمصالح، وعندما سئل عن عبارة نسبت إلى زعيم صيني وردت بالافتتاحية التي نشرت قبل اسبوع مستدلا بها على نجاح الثورة الثقافية هناك، استغرب من السؤال ونفى ان تكون الافتتاحية متضمنة هذا الطرح، فما كان من الممتحن الا ان سحب المقال من جيبه ليقرأه أمام الحضور ويتحول فيها «المدَّعي» إلى متهم بالكذب والمراوغة!.

هذه الأيام تسمع أحاديث عن النزاهة في العمل السياسي وتتأمل بتاريخ «مدَّعي النزاهة» وتراجع سيرتهم، لتفاجأ بأن أكثر الروايات تداولا في الساحة عن المرتشين والواقفين وراء الصفقات هم «مدَّعو النزاهة».

واذا ما رغبت في استكمال الحلقات عن مدعي «السباحة» وهم لا يستطيعون الوصول إلى الشاطئ، أو عن «مدّعي الديموقراطية» وهم أكثر الناس عداء لها أو مدَّعي «حقوق المرأة» وهم من يحاربها ويعمل لعدم وصولها إلى البرلمان فستقع عيناك على ما تريد وتشتهي من الادعاءات..

اللهم ابعد عنا هذا المرض ولا تجعله في ديار المحبين والمحبات انه سميع مجيب.

صديقي ذاك الذي وجدت جثته متعفنة بمدينة «الزرقاء»!

أواسط السبعينات إستقطبت الصحافة الكويتية عدد لا بأس به من الصحفيين العرب، كانت بيروت تصارع من أجل أن تبقي الرئة التي يتنفس منها العالم العربي.

لكن حروب الآخرين على أرضها دفع بأسماء كبيرة للهجرة إلى مدن الخليج بحثاً عن الاستقرار والعيش الكريم. ومنهم من إختار الصدور والعمل من باريس ولندن واللتين شهدتا ولادة صحافة عربية مهاجرة كبديل عن بيروت. في الكويت وهي الأقرب من حيث هامش الحريات إلى الأجواء اللبنانية، عرفت صحافتها حضوراً عربياً، لاسيما من مصر ولبنان وبلاد الشام عموماً.

ووسط حالة من التنافس الشديد بين الصحف الخمس وهي تجهد لتأخذ دور الصحافة اللبنانية التي بدأ نفوذها يخبو من العواصم العربية وتعمل على توسيع دائرة إنتشارها خارج حدود دولة الكويت، استقطبت مجموعة من الإعلاميين والكتاب، حظيت القبس بأسماء معروفة أتذكر منهم الزملاء هنري حاماتي، محمود زين العابدين، إبراهيم سلامة، فؤاد زكريا، يوسف إدريس وغيرهم الكثيرين.

ونحن في العام 1978 ارتبطت بعلاقة قريبة جداً مع الأستاذ محمود زين العابدين، وهو القادم إلينا من مدرسة الصحافة اللبنانية، ومن أيام نقيب الصحافة زهير عسيران، صاحب جريدة «الهدف»، ومن العمل في وكالة «الأسيوشيد برس» وجريدة «لسان الحال» يوم كان يتولى تحريرها بالكامل! دخلنا سوياً برفقة دائمة، وكان دائم الحضور على مكتبه في الطابق الثاني من مبني القبس والذي لم يكن يبعد عن مكتبي في مركز المعلومات سوى

أمتار قليلة، يتفقدني باستمرار.
يحنو علي كالأب، يروي لي حكايات عن الصحفيين اللبنانيين الكبار ومعاصرته لهم.
من جيل المخضرمين في عالم الصحافة، يحمل أفكاراً عروبية متنورة، خرج من لواء الإسكندرون الذي انتزعه الأتراك من الحضن السوري.
قذفته الظروف إلى بيروت ليستقر بها وكانت بمثابة الملاذ الآمن إلى أن شاءت الأقدار أن يحل في الكويت ويعمل في صحيفة «الرأي العام» لصاحبها عبدالعزيز المساعيد .
شخصية تحمل التمرد بقدر ما تتسم بالصمت على ظواهر تحدث أمامه، يتعالى عنها، لكنها تهزه من الداخل.
بقي يعيش حالة العزوبية إلى أخر يوم في حياته، وهو ما انعكس على علاقته بالمحيط والآخرين الذين احتك بهم.
خرج من «الرأي العام» بعد أن وضعوا اسمه على مدخل الدار بطلب من المساعيد مع آخرين، يمنع عليهم الدخول إلى مبني الصحيفة! كان القرار مفاجئاً له وصادماً، كما يروي لي، عاود الذهاب في اليوم الثاني لأخذ حاجاته الشخصية، تصدَّ له «الحارس الأفغاني» فما كان منه إلا أن صفعه بيده، وهو في قمة الغضب لهذا التصرف غير الإنساني!
وهو أي محمود زين العابدين، الذي كان يعطف على الكلاب والقطط بأن رتب لهم «بيتاً» بجانب مبنى الصحيفة يأوون إليه، يتفقدهم كل يوم ، ويصحب معه وجبة غذائية خاصة بهم، يحرص أن يشتري لهم اللحم مرة بالأسبوع!
إعتاد أن يذهب إلى أماكن محدودة وهو في الكويت، مساءاً إلى الكازينو الفضي عبارة عن مقهى بمنطقة «السالمية»، يستقبل فيه أصدقائه لشرب النارجيله والشاي العجمي وكذلك التردد على مطعم الجبري في شارع فهد السالم بقلب العاصمة.

حاد الذكاء، ذو بصيرة عالية، يلتقط الفكرة السائدة ويحولها إلى مادة صحفية، غاية في السرد والإخراج.

مزاجي إلى حدود الإنفصال عن الواقع، وهي صفة لازمته طوال حياته، جعلته يفضل العيش في عزلة عن العالم، أوجد لنفسه صورة فيها شيء من الخصوصية التي يتفرد بها فقد كانت السيجارة لا تفارق يداه ومن فمه وهي متدلية على الآخر، يرفع عينيه تجاه جليسه كأنه يرسل إشارة التعرف دون أن يشعرك بأنه قارئ شخصية الوجوه وصاحب حاسة سادسة بعلم الفراسة يأخذك فيها إلى بواطن مجهولة في حياتك!

ابتدع شخصية «أبورغال» بعد زيارة أنور السادات إلى القدس، ونادراً ما يضع اسمه على ما يكتبه وينشره، إلا في المواضيع الكبرى التي يرى نفسه فيها .

إختار أن يمنح لنفسه لقب أمين عام الحزب القائد، وهو نوع من الإسقاط السياسي على واقع حزب البعث وتوابعه والناقد لتجربته وقيادته.... أراد أن يمارس دور «القائد الملهم» وبما يشبه حال القياديين الحزبيين في العالم العربي، كنوع من «التنفيس» عن ترهل وسقوط تلك الرموز في شباك الإستبداد والتسلط والجبروت!

في هذا الجو الساخر أرادني أن أحمل صفة «أمين السر» «للحزب القائد» فكان يطلب مني إصدار بيانات ثورية بالعزل أو بالترفيع لزملاء يعملون معنا بالجريدة، حيث يعطي رقم متسلسل للبيان والمصاغ بلهجة عسكرية صارمة.

المهم أنه أراد يوماً ان يثأر من أحد الزملاء ويضعه في دائرة الشبهات بعدما وصلته معلومات أنه سينتقل إلى الإمارات للعمل هناك فما كان منه إلا أن إستدعاني فوراً لكتابة منشور، يوزع في صالة التحرير ويرسل نسخة منه إلى منظمة الصحة العالمية، يحذر فيها من وصول شخص، يحمل فيروساً معدياً وعليه يطلب من السلطات الصحية في مطارات دولة

الإمارات بالاسنفار وتوخي الحذر في حال هبوط طائرته هناكّ، ولم يكتفي بهذا «الإنذار» بل طلب من أحد الفراشين أن يجد له حذاءاً مستعملاً ! وعندما أحضروه له، قام بتعليقه على الحاجز الذي يفصل مكتبه في صالة التحرير عن بقية الأقسام وكتب تحته ... شبيه الشيء منجذب إليه... وكانت نكتة مدوية بقيت أصداؤها في التحرير لأسابيع إلى أن تمت المصالحة بينهما!

إفترقنا عن بعض عام 1990، ذهب محمود زين العابدين إلى أبوظبي ليعمل في صحيفة «الوحدة» بعد أن علمت بذلك من شقيقي الذي كان يعمل هناك، إلتقينا مجدداً في الشارقة بعد أن وصلت إليها للعمل في صحيفة «الخليج» فقد جمعتنا المهنة أنا والصديق المشترك ، سعد محيو .. وكان أول اختبار يجريه له، محمود زين العابدين معرفته بطريقة إعداد أكلة «لازانيا»!

دارت الأيام، عدت إلى الكويت واستأنفنا إصدار القبس، ومشت السنوات إلى أن يصلني الخبر المفجع!

لقد وجدت جثة الزميل والصديق محمود زين العابدين في أحدى ضواحي مدينة الزرقاء بالأردن، بعد أن فاحت رائحتها، عندما توقف كلب أحد الرعاة هناك أمام كوخ عتيق، ليجد جثة هامدة، أخبر الجهات الأمنية بها، ليكتشفوا أن صاحبها ، هو محمود زين العابدين ... لك الرحمة أيها الصديق لقد آلمني رحيلك بتلك الصورة المأساوية.

في جلسة خاصة على رصيف مقهى «الهورس شو» بشارع الحمراء جلست مع الزميلين نبيل إسماعيل وراشد فايد نسترجع ذكريات زمن مضى وكان ذلك في صيف 2022 روى لي حكاية الأستاذ محمود زين العابدين مع «النهار» وكان صاحبها الأستاذ غسان تويني يبدي حرصاً غير عادي على المظهر العام للعاملين عنده في الصحيفة، وبضرورة إرتداء «الكرافات»، لم يتسجب الأستاذ محمود زين العابدين في المرة الأولى وتكرر الطلب عدة مرات، وأخيراً وعندما إضطر لذلك ظهر واضعاً «الكرافات» على قميصه الداخلي الأبيض، وفي مظهر أثار إستهجان وضحك كل الحاضرين!

60 عاماً من حياته عاشها بالوهم

حديثي عن «صديق المهنة» الذي ارتبطت معه بصداقة طويلة، أحمد شمس الدين البوز -مواليد -1935 لازمته بسنواته الأخيرة في الكويت، هومن جيل الستينات في الصحافة اللبنانية والكويتية، أي من المؤسسين ، دار بيني وبينه حكايات عن المهنة بعضها مسجل وبعضها احتفظ بها في ذاكرتي، أصيب في حياته بنكبات، أسمح لنفسي أن أعددها كالتالي:

أولاً : توقف مكتب «الحوادث» في الكويت بعد وفاة ملحم كرم والذي انتقلت ملكيتها إليه بعد وفاة سليم اللوزي وانقطاع مصدر رزقه بعد أن عمل معهم كمدير لمكتب المجلة لأكثر من عشرين عاماً خرج منها دون أن ينال شيئا من حقوقه وتعويضاته !

ثانيا: وفاة زوجته والتي كانت بمثابة الروح التي يتنفس بها..

ثالثاً: إغلاق محل ومطعم «الجندول» في «الرقعي» -احدى ضواحي الكويت بعد 30 سنة من العطاء خرج منه صفر اليدين، قام بتأسيسه وبمشاركة «كفيله».

رابعاً: تدمير منزله «فيلا» العمر في بلدته «قلعة الحصن» بسورية أثر الحرب التي اندلعت عام 2011 ولم يعد له شيء يسنده أو يركن عليه!

خسر كل شيء في حياته بقي مبتسماً وصبوراً وبنفس كريمة إلى جانب إبنته الوحيدة «أمل» والتي ترفض أن تغادر الكويت والعودة إلى طرابلس بشمال لبنان، حيث الأهل والمسكن والإستقرار.

سيرته بيضاء مثل كف يده، غلبته الظروف والأقدار، وإنقلبت أحواله إلى الأسوأ، أصبح منعزلاً عن محيطه، بالكاد يخرج من بيته وألتقيه في مطعم «أبومحمد» اللبناني لتناول صحن الفول. نشأ يتمياً، فقد توفيت والدته وعمره سبعة أشهر، بقيت ظاهرة اليتم تلاحقه طوال عمره وهذا الشعور لازمه في حياته أما والده فقد توفاه الله وكان عمره 39 سنة.

رحلة الكفاح إبتدأت مبكراً فقد كان يبيع السجائر من أجل تأمين «ربع ليرة» كمصروف أسبوعي له أثناء دراسته المرحلة الإبتدائية في مدينة طرابلس..
دخل عالم التأمين وأمضى سنوات شبابه في هذه المهنة، ليأتي إلى الكويت عام 1957 ويعمل بشركة التأمين اللبنانية -السورية باعتباره موظفاً سابقاً فيها عندما كان في طرابلس ويتقاضى مائة ليرة بالشهر نزل إلى العاصمة بيروت وهناك التقى الأستاذ وليد عوض وشفيق الحوت ودار حديث بينهما عن الكويت نظراً لأن شفيق الحوت لديه معرفة بأحوال البلد وعمله كأستاذ مدرسة لمدة سنتين وهو الذي تولى مسؤولية مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان لاحقاً.
بعد عمله «بالتأمين» إنضم إلى أسرة صحيفة «أخبار الكويت» لصاحبها عبدالعزيز الفليج عام 1962 واشتغل معه من العدد صفر واستمر لسنوات بدأ بقسم الاعلان وانتقل إلى قسم التحرير:
انتسب إلى معهد الصحافة العربية، دار التعليم العالمية بالقاهرة عام 1963 ولمدة سنتين (63-64) وبمساعدة الصحفي محمد الإمام، شقيق المخرج السينمائي المصري حسن الإمام والذي زامله بجريدة «أخبار الكويت» ثم انتقل إلى جريدة «الرأي العام»
عام 1972 إفتتح الأستاذ سليم اللوزي صاحب مجلة «الحوادث» مكتباً للمجلة في الكويت حيث تربطه علاقات ومصالح فيها على مستوى عال، وكان ذلك في شارع فهد السالم، قلب المدينة وعَّينه مديراً له وبقي «بالحوادث» الى مرحلة ملحم كرم، نقيب المحررين اللبنانيين بعدما آلت إليه المجلة، عقب إغتيال صاحبها المرحوم سليم اللوزي في بيروت!
جاء إلى جريدة «السياسة» عام 1968 بعد أن اشتراها الأستاذ أحمد الجارالله تسنى له أن يكون أحد الصحفيين الذين ساهموا وعملوا بأوائل الصحف الكويتية بمراحل التأسيس وعرف رؤساء التحرير عن قرب، وارتبط بعلاقات مباشرة مع خالد يوسف المرزوق، صاحب ومؤسس جريدة «الأنباء» وعلى مدار الستين

عاماً التي قضاها بالصحافة تراكمت لديه المعارف والمعلومات و»الأسرار» عن أصحابها، وقد أعجبني اهتمامه الشديد بحفظ الوثائق والصور والمجلات والصحف التي غمرت مكتبه ولم تترك له مساحة للتحرك سوى محيط المكتب الذي يجلس عليه، اضطر مرغماً أن يتخلى عنه، عندما ضاقت به الدنيا.

دائماً ما كان يردد على مسامعي، «عشت حياتي في وهم، »! وبالرغم من الحالة المزرية التي وصل إليها في السنوات الأخيرة.

لم يتنازل عن كرامة العيش والعلاقة مع الآخرين... وضع مسافة بينه وبينهم ... أراد أن تكون صورته مضيئة، بالجد والكفاح وفوق ذلك مرفوع الرأس، لم ينكسر أمام العواصف وإغراءات المال والجاه...

في أحد أيام «كورونا» وفي الشهر السادس من عام 2021 علمت من زميلنا المشترك المقيم في كندا، أسعد الصابونجي، أنه يرقد في مستشفى الصباح ويمر بظروف صحية صعبة.

ذهبت إليه متفقداً في المستشفى، لم يكن يسمعني جيداً، وقفت على باب غرفته، بعد أن رفعت يداي للسلام، أراد ان يقول لي كلمة وداعية... «أنا مدين للكويت، وأكتب هذا على لساني... في داخل البيت الواحد يحصل زعل أو منغصات بين افراد الاسرة الواحدة لكن البيت يجمعهم، وأنا 63 سنه من عمري داخل هذا البيت، كلنا خطائين، ولسنا معصومين المهم أن يعترف الواحد فينا إذا أخطأ وليسامح من أخطأ في حقه».

بعد خروجه معافى من المستشفى ترافقنا لتناول وجبة الفول في مطعم صديقه اللبناني، «ألف ليلة وليلة» في منطقه شرق، وكان قبلها في شارع السور، قريب من مبنى وزاره الخارجية، جلسنا على الطاولة موجهاً كلامه لي وهو يضع الكمامه الزرقاء على وجهه...» ثلاثة حقائق لا يجوز الشماتة فيها خسارة المال والمرض والموت» .

أضاف «في جعبتي الكثير من الحكايات والأحاديث وأنا في سبيلي لإعداد كتاب، بعدما قطعت شوطاً لا بأس به، أعتزم اصداره قريباً حكايات حصلت معي وكنت أميناً بنقلها، منها ما ينشر ومنها ما لا ينشر»...

صحفي من طينة لا تقبل .. التكرار

إلتقيت في حياتي المهنية بأشخاص ذو ملامح وسلوكيات متباينة وغريبة بعض الشيء، لكن يبقي على السطح أفراد لا يقبلون القسمة ولا الجمع، طبعة خاصة وفريدة تلفظ، التكرار أو النسخ!

هذا «الفريد من نوعه «لديه قصص ومواقف تسجل في كتاب «غينيس للأرقام القياسية» لشدة الغرابة عندها.

دخل علينا في «القبس» بصفته مترجم لديه خبرات باللغة الألمانية يجيدها بالإضافة إلى الفرنسية والإنكليزية.

للوهلة الأولى ينتصب أمامك رجل ضخم ،ممتلئ الجثة، طويل القامة، ذو بشرة بيضاء يشبه أهل «بافاريا» ، عينان زرقاوان ، ولحية فيها الكثير من الموديل الألماني تغطي نصف ذقنه ، يرتدي بنطلون على الطريقة الفرنسية القديمة ذو الربطتين اللتين ... تحيطان بالكتف.

لم يترك أحد من الزملاء إلا وجلس معه في الأسبوع الأول من إلتحاقه بالعمل في قسم الترجمة، وبات جليساً مرغوباً فيه من الجميع يتخاطفون عليه!

إقتحم «عرين الأسد» وإجتاز أسوار مكتب مدير التحرير العصي على الدخول إليه بسهولة دون إذن مسبق.

تمكن وبأعجوبة من تطويع مدير التحرير واصطحابه صباح كل يوم إلى شاطئ الخليج العربي، لتعلم اللغة الألمانية، وهو عمل خارق لم يسبقه إليه أحد من قبل!

يأتينا كل صباح، يدخل إلى مكتبي بـ»ستايل جديد» متأبطاً صحيفة أو مجلة، مسترخياً على كرسي هزاز ليروي مقالبه التي لا تنتهي، بعد أن يتناول فطوره، الصباحي وهو عبارة عن سندويش من الجبنة القشقوان المسخن وفنجان الشاي، وعلى حسابنا!!

سألني عن رأيي بما هو منشور «بالقبس» نقلاً عن «Frankfurter Aligmeine» الألمانية ولم يدعني أن أرد عليه، حين قال: هل تعلم أن الترجمة

منقولة من مجلة «الوطن العربي» وإن كل ما أضفته، هو أنني وضعت أسم الصحيفة وإسمي على الموضوع..! هكذا وبكل ثقة وأريحية، عندما استفسرت منه، لماذا تفعل هذا؟

أجاب ... أنهم لا يقرأون ومسؤول الصفحة يدعي المعرفة وأنا قصدت أن أفعل ذلك لكي أختبر قدرتهم وتفاهتهم على حد تعبيره!

نشأت بيننا حالة من الود، صار يفصح عما بداخله من أسرار وجوانب تتصل بحياته.

أحد الأيام وصل متأخراً عن الوقت الذي اعتدنا رؤيته فيه، وإذ به إنسان آخر يظهر أمامنا بلباس إسلامي محتشم يرتدي دشاديش أهل السلف، يمسك مسبحة طويلة بيده و بالأخرى المصحف الكريم يعلق مسبحة أخرى حول عنقه...

ماهذا يا غازي وماذا حل بك؟

قبل أن يبدأبسرد حكايته الجديدة، أصر على طلب الفطور الصباحي وعلى حسابنا كالعادة؟ استراح قليلاً وهو يبتسم وراح يروي تفاصيل المشهد الدرامي!

خرجت من منزلي في منطقة «جليب الشيوخ» قاطنيها غالبيتهم من الآسيويين والوافدين وتوجهت نحو مخفر الشرطة سيراً على الأقدام ما إن إقتربت من المكان، رفعت صوتي ... أين أنتم يا أمة الإسلام؟ أنظروا ماذا يفعل الكفار بنا! ... إلى أن تقدم منه شرطي المخفر، مستوضحاً ماذا لديك؟ وما كان به إلى ان رفع وتيرة الصوت مستنهضاً أمة الإسلام على ما يفعله «السيخ» بأئمة المسلمين!! اصطحبه الشرطي إلى رئيس المخفر، هدأوا من روعه سألوه ما الحكاية، قص عليهم أنه يتعرض إلى مضايقات من جيرانه الهنود السيخ، بعدما علم طبعاً أنهم حرروا عريضة لتوقيعها من الجيران تطلب إخلاءه ورحيله من البناية التي يسكنوها؟

لحظات حتى يأمر الشرطي الدورية بأن تذهب إلى بيت الهندي وتحضره

إلى المخفر وترميه بالحجز، أما هو فقد خرج حراً طليقاً إلى مبني «القبس» بمنطقة الشويخ القريبة...

غازي ضاشوالي، من أسرة عريقة في دمشق ، والده إمتهن الصحافة وكان لديه جريدة يصدرها أيام الإحتلال الفرنسي، ساقته الظروف لمغادرة سورية والتنقل بين المدن الأوروبية، إختار من بينها ألمانيا كمستقر له.

مضى عليه حوالي السنة إلى أن أخذ بالتبرم من الحال الذي يعيش فيه ، فعنده ان الوضع يحتاج إلى «نفضة» !

ما هي إلا أيام وإذا به يجول شارع فهد السالم التجاري قلب مدينة الكويت، باحثاً عن «وكلاء» كويتيين لشركات ألمانية، بإعتباره «ألماني من أصل عربي» يسعى لتسويق تلك المنتجات بالسوق الكويتي هكذا وبكل بساطة، دون سابق معرفة بأصحاب المكاتب الذين قصدهم!

حصيلة الجولة وقوع عدد من أصحاب المكاتب ضحية له بعدما طبع «بروشرات» باللغة الألمانية ووضع عليها صور المصنع الألماني في دوسلدروف مع نماذج من إنتاجه المخصص للتصدير!

يومها هاتفني بعد الظهر ودعاني لزيارته في فندق «الهوليداي إن» الكائن على طريق المطار استغربت من الدعوة واعتذرت من المجئ لكنه أبدى استرحاماً لا فكاك منه بضرورة القدوم إليه، وما كان مني إلا الإستجابة!

ذهبت فوراً وصعدت الطابق العاشر ولم يدعني، أطرق الباب بل تركه مفتوحاً لأفاجئ بصورة لم تشهدها عيناي سوى في الحلم...

جثته منتفخة مغطاة بعشرات الدنانير وهو عار من الثياب، ما أن رآني حتي قام منتفضاً وبصوت عال، قائلاً ... هذه الأموال حصلتها من تجار كويتين أوهمتهم بأنني أملك توكيل لشركة ألمانية تعمل على تسويق بضاعتها في الكويت!

ذهلت لما شاهدته وكأنني في حلم لم أصحو منه، وقف أمامي ليرتدي ثيابه الأنيقة مودعاً «بعد نصف الساعة سأكون صاعداً إلى طائرة «اللوفتهانزا» ووجهتها ميونخ!

لم تتوقف المفاجأة ففي الشهر السادس من عام 1990 وقبل الغزو العراقي كنت في مهمة صحفية أتابع قضية قطع مياه الفرات عن سوريا والعراق بعد بناء سد أتاتورك الشهير ضمن مشروع «وادي الغاب» .

وأنا في مساء ذاك اليوم نجلس في فندق ماريوت بمدينة حلب، مع مدير مشروع «سد تشرين» وقيادات من الإعلام ووزارة الري، سمعت صوتاً هادراً ينادي إسمي، عبر مكبر الصوت بالفندق، تقدم نحونا وإذ بغازي ضاشوالي يكيل المديح لشخصي وبصوت جهوري وعال وأمام مرأى ومسمع من الجميع!...

كنت في حالة ذهول لما يجري أمامي ولساني إنكمش عن النطق من هول المفاجأة....

وقف أمامي موجها كلامه لجلساء الطاولة عرفتك انك متواجد هنا من دمشق وأبلغني «الرفيق» غازي كنعان بحضورك، لذلك جئتك لأعرب لك عن إعتزازي بك وترحيبا بقدومك...

سادت لحظات من الصمت ليشاركنا الجلسة والسهرة ونفترق بعدها أعود أنا إلى الكويت وأجد رسالة بريدية ممهورة بإسم الناشط والإعلامي الإسرائيلي يوري أفنيري، مرسله لي من تونس وبداخلها رسالة كتبها غازي ضاشوالي الذي جعلني أدور حول نفسي عشر لفات!!

سعيد أبو مراد ... ملح الصحافة وأهل السياسة

أيام العمل في مجلة «الحوادث» في بيروت كانت زاهرة بأسماء لم تفارقني أتذكر منها «سعيد أبومراد» هذا الرجل علامة فارقة في تاريخ الصحافة اللبنانية، له من الحكايات الكثير وعنده من «القفشات» ذات النكهة الشامية كالتي تلامس أذنيك قبل أن ترحل .

ينتمي سعيد أبو مراد إلى «الطبقة العمالية الكادحة» وهو التعبير الشائع في الستينات من القرن الماضي، خاصة في أوساط أهل اليسار والحزب الشيوعي وحزب البعث والقوميين وهو القريب منهم جداً، دون أن ينتسب لهم أو يحمل بطاقة حزبية..

في التصنيف المهني، كان سعيد أبومراد «محرراً صحفياً» يمتلك مواصفات خاصة تميزه عن غيره من الزملاء. لا تخطئه العين أينما ذهب في مهماته لتسجيل مؤتمر صحفي أو حضوره لندوة، تراه واضعاً تحت إبطه حقيبة مهترئة منتفخة بالملفات والأوراق، يعمل على التخلص منها تباعاً، بعد أن يكتب بخط يده الخبر على ورق أبيض يجلبه من المطابع مرفق معه أوراق من الكربون بعدد الصحف التي يراسلها!

كثيراً ما كنا نشاهده في الشارع أو على مدخل إحدى الصحف والمجلات حاملاً «كعكة الزعتر» إلى جانب الملفات والحقيبة المهترئة، يلتفت إليك مداعباً بالسؤال عن حالة البلد وما فيها من أخبار لعله يلتقط شيء منها .. كان يحرص على النزول إلى مطبعة «الحوادث» الكائنة في كورنيش المزرعة والجلوس مع «العمال والكادحين» مستفسراً عن قضاياهم أو منسقاً مع بعضهم لتحركات يعتزم القيام بها في الوسط العمالي، خاصة مع زميله الرفيق فواز بشارة معلم صف الأحرف بالرصاص على الإنترتيب، وهو والد المناضلة سهى بشارة.

وعندما يلمحه مدير المطبعة محمد عقيل، يستشعر بالقلق مما يحيكه أو يسعى إليه.. يومها إقترب سعيد أبومراد ومعه مجموعة من «العمال الكادحين» من مكتب مدير المطبعة، مهدداً إياه إذا لم يقم معلمك سليم اللوزي حفلة خاصة لعمال المطبعة أو يدعوهم فسنعلن الإضراب ولن يصدر العدد الأسبوعي من المجلة !

راح محمد عقيل يهدئ من روع سعيد أبومراد طالباً منه إعطائه بعض الوقت ليتفاهم مع «الأستاذ» لكنه رفض، ليحضر بعد ساعة سليم اللوزي شخصياً إلى المطبعة مبدياً تفهمه لمطالب سعيد أبومراد العمالية وأنه على إستعداد ليقيم لهم حفلة خاصة، بخلاف الحفل الذي دعي إليه عليّة القوم في فندق الكارلتون الفخم في منطقة الروشة! وهذا ما حصل.

إنتقل الخبر إلى الطوابق العليا من التحرير وصار حديث أهل الصحافة والسياسة وكان فيه سعيد أبومراد، النجم الساطع بعد أن خطف الأضواء من الحاج والشاعر الشعبي شفيق ستيتية، ذاك الرجل الذي أضفى نكهة خاصة إلى ملح السياسة اليومي لاسيما في وقفاته الإستعراضية أمام مبنى «الحوادث» وإصراره على مقابلة سليم اللوزي وهو بالطربوش الأحمر بعد أن يلعلع صوته في الخطابة والتمجيد بمواقف «الأستاذ» أو بنزوله إلى ساحة النجمة أمام مجلس النواب وتجمع الصحفيين من حوله ومعرفة من النائب الذي يريد أن يتواصل معه..

قصتي مع طلال رحمة «وفلسطين الثورة» شوهدت وهي تهوي على الأرض

علاقتي بالصحفي والكاتب طلال رحمة تجاوزت حدود الزمالة، وكان صديقاً لي منذ تعرفت عليه أثناء عملنا في مجلة «الحوادث»، تولى مسؤولية قسم الثقافة وله إسهامات كثيرة في حقلي الأدب والعمل السياسي .

إستمرت العلاقة بعد إنتقالي لجريدة «السفير» عام 1974وتوطدت أكثر بمرور الأيام، إلى أن وقعت الحرب الأهلية عام 1975، كنا نلتقي به أحياناً في منزله في بيروت والذي كان يتردد عليه «الختيار» سراً، وهو الإسم الدارج عند الرفاق لأبوعمار، وأحياناً أخرى في مقاهي الحمراء.

في تلك السنة إشتدت المعارك العسكرية وكان من المناصرين والداعمين للمقاومة الفلسطينية، ويكتب في مجلة «فلسطين الثورة» ويتردد عليها بإستمرار في محلّة الفاكهاني وله فيها صداقات وعلاقات حميمية، سواء مع أبوعمار أو مع رئيس التحرير السيد أحمد عبدالرحمن، ذات يوم طلب مني المساعدة بتنظيم أرشيف المجلة تطوعاً وتدريب عدد من الرفاق على الأرشفة .

ووسط أجواء من التأييد في الشارع اللبناني والأحزاب اليسارية والتقدمية للثورة الفلسطينية وكفاحها المسلح ضد «العدو»، ونظراً لمعرفته بي وعملي في جريدة «السفير» ذات النهج اليساري والعروبي وبإعتبارها من الصحف المنضوية تحت لواء الدفاع عن القضية الفلسطينية، دخلت مبنى «فلسطين الثورة» بشارع عفيف الطيبي، القريب جداً من مبنى جامعة بيروت العربية والتي كنت منتسباً إليها، أدرس علوم سياسة وإقتصاد في السنة الأولى ..

كنت أتنقل سيراً على الأقدام من الجامعة إلى البناية التي تشغلها «فلسطين الثورة» بالفترة الصباحية ثم أكمل مشواري إلى «السفير» قرب فندق البريستول، أول نزلة شارع الحمراء، والذي تعرضت خلاله إلى مخاطر كادت أن تضع إسمي وصورتي في عداد الشهداء نتيجة إستخدام المدفعية والقذائف بين المتقاتلين وعلى كافة الجبهات والتي تتساقط علينا كزخات المطر!

إصطحبني طلال رحمة إلى الطابق الرابع في مبنى المجلة ليعرفني على شاب من عائلة «الجردي» نسيت إسمه الأول- ونتجول سوية في قاعة التحرير، لنبدأ في اليوم التالي، زيارات متواصلة إستمرت لأشهر، وأنا أستمع للصديق طلال وقوفاً أمام أحد الخزائن الحديدية ذات الأربع أدراج، لفت إنتباهي الدرج الأخير لأنه خال من أي كتابة، سألته ما هذه الصور؟ أجاب مجموعة صور خاصة تستخدم في حالات الضرورة.

زاد فضولي لمعرفتها، قال .. مجموعة صور تم إلتقاطها لحطام طائرة هليكوبتر عسكرية إسرائيلية سقطت في الأجواء اللبنانية منذ سنوات .. يلجأون إليها عندما يرغبون بإصدار بيان عقب أي مواجهة مع العدو لم تنجح، يستغلون هذه الصور ليذيلوا البيان العسكري، بعبارة «شوهدت وهي تهوي على الأرض» للدلالة والتأكيد على أن المقاومة الفلسطينية نجحت بإسقاط الطائرة ! وفي كل مرة يتم نشر جانب أو لقطة من مئات اللقطات التي تم الإحتفاظ بها !

هذا «السر العسكري» لم يستوقفني في حينه لكنه بقي عالقاً في الذهن كلما إستدعت الأحداث تلك الصور التي يتفنن الرفاق فيها ليس بتضليل وخداع «العدو» بل بتضليل الرأي العام الفلسطيني والعربي ويكشف مدى الإستهتار والإستخفاف بالجمهور العربي !

لم يطل بي الوقت طويلاً وأنا أتردد على «فلسطين الثورة» حتى كان ذلك اليوم الذي خرجت فيه من المبنى متجهاً إلى جريدة «السفير» قاطعاً مسافة طويلة، أتنقل فيها بين شارع وآخر، لأحتمي من القذائف التي تنهار فوق رأسي دون سابق إنذار! وبشق الأنفس وتحت وطأة الرعب التي عشتها صباح ذاك اليوم وصلت إلى مبنى «السفير» أول شارع الحمراء من فوق، جلست على مكتبي أتابع عملي اليوم، وما هي إلا لحظات ليدخل علي «الرفيق الجردي» متجهماً، سألته ما الخطب؟ وما بك ؟ قال .. صديقنا أعطاك عمره؟ لم أعرف من هو المقصود، أكمل كلامة.. «الرفيق طلال رحمه»؟ كان الخبر صادما غير مصدق؟ راح يشرح لي كيف سقط شهيداً؟

كان مرافقاً لبعثة تلفزيون فرنسية لحظة تلقيه قذيفة في صدره أودته شهيداً، لم يكن متدرباً على الإنبطاح أرضاً في مثل تلك الأحوال؟ في حين نجى من كان معه، بعد أن وقع الإختيار عليه بموافقتهم وبطلب من أبوعمار شخصياً بأن يكون طلال رحمة «الدليل والمترجم» لإتقانه اللغة الفرنسية.

ذهبنا إلى منزله في منطقة «رمل الظريف» ببيروت في اليوم التالي لتقديم العزاء ومشاركة الزوجة والأصدقاء «فاجعة الرحيل» وكان من بين الحضور قيادات الصف الأول من حركة فتح وعلى رأسهم «الختيار» و أحمد عبدالرحمن رئيس تحرير مجلة «فلسطين الثورة» لنودع زميلاً كانت له جلسات وحكايات لم تنسى، ولعل واحدة من بينها رواها لي عندما كان يدرس الفلسفة في جامعة دمشق في الستينات، مستمعاً لمحاضرة مملة جداً بعنوان «الحد الأدنى من الإحساس والفارق بالشعور» والنتائج المترتبة عليه ؟ يقول : « شعر الأستاذ أن الطلبة غير مكترثين بالشرح فإستعان بتجربة حيّة جعلت الحضور في حالة تفاعل وإندهاش .. أحضر كوب من الماء وفي داخله ضفدعة وربطها بسلك كهربائي، وراح يدير مفتاح الكهرباء ثم يطفئه وفي كل عملية كانت الضفدعة تنتفض، لكنها سرعان ما تتكيف مع الحرارة الجديدة وتستكين ... إلى أن خَوَتْ قدراتها تماماً ولم تعد تشعر بالفارق .. لتعلن إستسلامها لأي صعقة كهربائية جديدة !

تلك الحادثة غالباً ما كان يستشهد بها ويسقطهاعلى الواقع العربي الذي وصلنا إليه، بحيث مات الغضب وأصبحت الجماهير والأنظمة معاً في حالة «عدم إحساس بالفارق» تجاه ما يحدث على الأرض الفلسطينية وما يجنيه «العدو» من مكاسب ويحققه من إنجازات وقبول عند بعض العرب، وهذا ما بدى منذ منتصف السبعينات قبل زيارة أنور السادات إلى القدس عام 1977 وما تبعها من «معاهدات سلام» مع دول المواجهة وتنتقل بعد ذلك إلى عمق العالم العربي وإلى الخليج وبما يمثله من ثقل إقتصادي.

يوم دخلت السجن ويوم وصلته زائراً

علاقتي بالسجن بقيت عن بعد، إلى أن وصلت الكويت وعشت فيها، في ذاكرتي ملمح من صورة «سجن الرمل» في بيروت عندما كنت شاباً بحكم ترددي على منطقة «طريق الجديدة» حيث مقر السجن، أو سجن «رمل الظريف» الواقع في أحد الأحياء السكنية ، والقريب من منطقة «راس بيروت» .

عالم السجون مليء بالحكايات في الذاكرة مخزون لا ينضب عن قصص بطولية وأخرى مأساوية وروايات كتبت من قبل أشخاص عاشوا تجارب مريرة أو قصائد لشعراء مشهورين، نرددها عفوياً عندما نود الإستشهاد بمواقف أحدهم .

في الكويت دخلت السجن مرتين وفي ذهني تلك الصور التي إختلط فيها «المجرم» مع «السياسي المعارض» أو المحكوم بإختلاس الأموال مع مخالف لأنظمة المرور! ولم أكن في وارد أن أكون ذات يوم أحد «النزلاء» إلى أن وقع ما ليس مقدراً .

الأولى، بعد التحرير أوائل التسعينات من القرن الماضي، مكثت أربعة أيام بسبب مخالفة مرورية، لإجتيازي إشارة «صفراء» في شارع فهد السالم، إستوقفني رجل الشرطة الذي تبعني بدراجته النارية وإطحبني معه إلى المخفر ولم يعطني الفرصة لأشرح له السبب الذي دفعني لقطع الإشارة الصفراء؟

صباح اليوم التالي وجدت نفسي جالساً في قاعة محكمة المرور أمام القاضي الذي لم يغفر لي صراحتي وإعترافي فأمر بسجني أربعة أيام عقاباً على ما فعلته .

بقيت صورة السجن عالقة في مرآة الذاكرة أتأملها وأجري حواراً مع

نفسي عن دواخلها ما إذ كنت تعرفت على أدب السجون من خلال قراءاتي والتي تصور الحياة خلف القضبان والظلم الذي يتعرض له السجناء ومن أشهرها رواية صنع الله إبراهيم بعنوان «شرف» .

لم يتسنى لي أن أكتب يومياتي، فقد كانت الفترة قصيرة جداً، «زائر عابر»، إنما أستطيع أن أروي ما حدث لي من اللحظة التي أقلتني فيها سيارة الشرطة إلى «زنزانة المرور» ثم الإنتقال إلى السجن العمومي والمبيت فيه والتعرف على بعض النزلاء والأسباب التي أدخلتهم السجن.

في تلك الأيام الأربع بقيت داخل غرفة يتقاسم فيها العيش نحو عشرة أشخاص، لكل سجين ساحة محددة يفترش فيها الأرض وينام عليها، خرجت أثناءها لمرة واحدة عندما زارني شقيقي يحيى عليان وزميلي المرحوم مبارك العدواني للإطمئنان، علمت منهم بالإتصالات التي تمت من قبل رئيس التحرير وزملاء آخرين للتوصية بي والإهتمام بمعاملتي.

كان حالي كحال الآخرين بوجبات العدس والأرز التي نحصل عليها وإن شعرت بتجاهلي من قبل بعض السجناء بعدما عرفوا أن مدة الحبس قصيرة جداً بحيث لا تستحق التقرب والتعارف ! لكن لحظة الإفراج كانت مثيرة للدهشة، فقد رافقني الزميل المرحوم عبد السلام العوضي إلى مكتب المدير في منطقة الجابرية لإتمام إجراءات الخروج! والوصول إلى منزلي حيث كانت زوجتي وأولادي بالإنتظار واللهفة على معرفة أحوالي والأيام التي قضيتها في السجن ؟

في المرة الثانية التي كنت فيها زائراً برفقة أحد الزملاء لصديق مشترك تجمعنا به وبوالده علاقة ممتدة لسنوات، سعيت فيها أن أطمئن عليه وأرفع من معنوياته ..

إجراءات ما قبل الدخول تنقلك رأسا إلى عالم السجون وتضعك أمام جملة من القيود تجعلك فاقداً لحريتك وقرارك ؟

فكل حركة هنا مسجلة ومراقبة، فسلامة الدخول تقتضي أن تتخلص من ما لديك بإستثناء ما يستر جسدك .

قبل أن نلتقي «بالصديق السجين» رحنا نتبادل المعلومات حول الظروف والأسباب التي أوصلته إلى هذا المكان وإرتدائه الزي الموحد للمساجين، وبإمكانية خروجه سالماً؟

دخلنا «العنبر» ونحن متأهبين لملاقاته وإذ بنا أمام بهو طويل في منتصفه شبك حديد ذو فتحات تسمح لك بمشاهدة السجناء دون المصافحة .

جلسنا على الكراسي بإنتظار «الضيف»، وما هي إلا دقائق حتى أطل علينا بترحيب حار وبنبرة صوته الممتلئة بالحيوية، وإبتسامته المعهودة. مبتدئاً الكلام والحديث الذي يألفه .. لم يتغير عليه شيء.

إستمر اللقاء إلى نحو الساعة وهو ينتقل من موضوع إلى آخر دون ملل أو توقف، شاركنا في بعضه، موظف آخر يعمل في المؤسسة التي يمتلكها .

لم أجد فيه شخص مختلف، بل مليء بالأمل والنشاط، عنده فائض من التفاؤل يكفيه لقرون قادمة من الزمن، لم ينكسر من داخله بل شعرت أننا نحن السجناء وهو الحر والطليق.

عدنا من حيث أتينا دون أن ينطق أحدنا بكلمة واحدة .. أمعنّا النظر في وجوه بعضنا البعض لنستقل السيارة وتبدأ الصور تتوالى والتعليق يتواصل

كانت الزيارة أشبه بالصحوة وأخذ العبرة والدرس لكي يتفادى المرء أخطاء وهفوات قد يتعرض لها في حياته وتبقيه بعيداً عن القضبان الحديدية .

محطات الفصل الخامس بالصور

مع فرانسوا عقل "راهب" جريدة "النهار" اللبنانية وأحد القياديين المخضرمين في التحرير.

مع الصديق جورج مجاعص والذي توفاه الله يوم ٢٠٢٣/٤/١٦ وهو في لبنان إبن جريدة "النهار" اللبنانية وفؤاد هرموش المشرف على التصحيح والذي تدرب علي يديه وتعلم منه الأستاذ وليد جنبلاط وكان يناديه "يا معلمي".

السيرة الذاتية

» حمزة سلمان عليان

• لبناني
• درس في الجامعة اللبنانية (علوم اجتماعية ١٩٧٥)
واقتصلد واعمال في جامعة بيروت العربية (١٩٧٤)

» الخبرة

• إعلامي وباحث وخبير في مراكز المعلومات الصحفية .
• مؤسس ومدير مركز المعلومات والدراسات في القبس منذ العام (1976 – 2019).
• سكرتير تحرير القبس (2015 – 2019).
• مستشار في جهاز التحرير في جريدة "الجريدة" منذ أكتوبر (2019 – ٠٠٠).
• مستشار إعلامي في مجلس الأعمال اللبناني – الكويتي والذي يعمل تحت غطاء السفارة اللبنانية في دولة الكويت.
• كاتب مقال تحليلي في صحف عربية .
• في الأول من شهر يونيو 1991 وبعد عودة الكويت حرة إستأنفت "القبس" الصدور بتاريخ 17 يونيو 1991 وأسندت إليه مسؤولية الصفحات التالية وبشكل يومي:
الصفحة الأخيرة – صفحة المقالات وصفحة الترجمة- وصفحة الكتب،
إستمر هذا الوضع لغاية 28 مارس 1992.
• 75 عاماً في العمل الصحفي، ومراكز المعلومات في بيروت والكويت والإمارات.
• المشاركة في العديد من البرامج التلفزيونية والإذاعية من حيث الإعداد والكتابة والتحدث، وكان من بينها فيلم تاريخي وثائقي للحدود الكويتية – العراقية عرضته قناة بي بي سي العالمية سنة 2003 وفيلم وثائقي عن تاريخ الصحافة الكويتية عرضته قناة "الجزيرة " .
• المساهمة بنشر تحقيقات وأبحاث في مجلة "العربي" و "الهوية" و "التقدم العلمي" ونشرة "أفق" الصادرة عن مؤسسة الفكر العربي في بيروت.
• وضع أول خطة متكاملة في مجال تكنولوجيا المعلومات 1995 وتأسيس مشروع ميكنة الوثائق بواسطة برامج إلكترونية في مركز المعلومات بصحيفة القبس.
تولى وظيفة مسؤول قسم المعلومات في المؤسسات الصحفية التالية:
• مجلة الحوادث (بيروت) 1964-1972
• مجلة الدستور (بيروت) 1972-1973
• جريدة السفير (بيروت) 1974-1976
• جريدة القبس (الكويت) 1976- 2019
• جريدة الخليج (الإمارات) 1990- (سبعة أشهر أثناء الإحتلال العراقي للكويت)

» إصدارات كتب

• المياه .. أزمة وصراع – حوض الفرات ومشاهد الإنفجار عام (2000) – دار أصدقاء الحرف – بيروت 1996 .

•العلاقات الكويتية – اللبنانية (1962-2000) التشابه والقدر المشترك – مركز البحوث والدراسات الكويتية .

•"وجوه من الكويت" الجزء الأول – دار اصدقاء الحرف –2003

•"وجوه من الكويت" الجزء الثاني – دار أصدقاء الحرف – 2008

•"وجوه من الكويت" الجزء الثالث – ذات السلاسل – 2012

•"وجوه من الكويت" الجزء الرابع – دار سعاد الصباح – 2014

•الكويت ولبنان بين جغرافيتين ثمن الموقف والتميز – مركز البحوث والدراسات الكويتية – 2011

• زمان الكويت الأول – مشاهد وذكريات – دار ذات السلاسل للطباعة والنشر – الكويت 2011 – الجزء الأول

• زمان الكويت الأول – مشاهد وذكريات – دار ذات السلاسل للطباعة والنشر – الكويت 2012 – الجزء الثاني

• اليهود في الكويت وقائع وأحداث – ذات السلاسل – 2012

• ممنوع من النشر – تاريخ الرقابة في الكويت – دار ذات السلاسل – 2013

• المسيحيون في الكويت – دار ذات السلاسل للطباعة والنشر – 2014

• قراءة في تاريخ العلاقات الكويتية – اللبنانية – مركز البحوث والدراسات الكويتية – 2016

•"وجوه من الكويت"، الجزء الخامس دار ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع – 2017

•"وجوه خليجية"، دار ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع – 2017 .

• المسيحيون في الكويت طبعتين بالعربية والإنجليزية – دار ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع – 2017

• الكويت وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP 1963 – 2010 .

• الكويت في الخمسينات – مركز البحوث والدراسات الكويتية – 2020.

• التثمين في الكويت وأثره في التطور العمراني (إصدار مشترك مع فهد الشعلة) – دار آفاق للنشر – 2021

• الأرمن في الكويت – ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع (2202)
• موسوعة الأوبئة الوثائقية – كورونا من المهد الى اللقاح -ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع (2202)

» المساهمة بإعداد الكتب التالية

• الماسونية – منشورات دار القبس للصحافة والنشر (1988)
• كاريكاتور ناجي العلي – 2007 – دار القبس للنشر (إعداد) .
• دليل القبس للديوانيات 2008 – دار القبس للنشر (إعداد وإشراف) .
• إربعائيات أحمد الربعي – دار القبس للنشر (إعداد).
• جاسم حمد الصقر – شهادات وسيرة – 2006 – (إعداد) .
• الكويت في الوثائق البريطانية ج 1-2 – 2017 – دار القبس للنشر – (إعداد) .
• جامعة الكويت، خمسون عاماً من التميز – 2016 – جامعة الكويت (أحد الباحثين) .
• خلدون النقيب سيرة وذكرى – المفكر والكاتب والأكاديمي – 2011- (إعداد) .
•41 سنة من عمر القبس – إصدار دار القبس – 1986 . (إعداد) .
• مسيرة العطاء .. تاريخ وحقائق – القبس – 1972-2010 (إعداد) .
• فهرس الصحافة العربية – إصدار دار سعاد الصباح للنشر 2001 بالإشتراك مع الدكتور يوسف قزما خوري .
• ذاكرة الكويت وتراثها – أيوب حسين الأيوب – 2013 – المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب.
• لوحات وسير المبدعين – 2014- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .

» مهام وأعمال صحفية :

• إصدار صفحة أسبوعية تحمل عنوان "قضايا وشخصيات" منذ بداية عام 2001 تتضمن رصد لوجه في الأحداث وتستعرض بالتحليل أهم قضية كويتية وخليجية وعربية مع مواد أخرى، توقفت بتاريخ 23 سبتمبر 2018 بعدما صدرت تحت إسم "أحداث ووجوه " .
• المشاركة بعمل ملف أسبوعي يحمل إسم قضايا القبس (1988-1989)
• نشر المقالات والتحقيقات والدراسات في صحيفة القبس وصحف عربية ومجلات كويتية منها : صحيفة "المستقبل" اللبنانية و "الديلي ستار" باللغة الإنكليزية وصحيفة "النهار" اللبنانية و»الوسط» البحرينية .

» مشارك كباحث ومعدّ في عدد من الموسوعات:

• «موسوعة شخصيات كويتية – كلام من ذهب» – إصدار الشيخة إنتصار سالم العلي الصباح – 2012.
• «موسوعة الشخصيات الكويتية» – الإكليل - والتي أصدرها السادة : صلاح الساير وصالح الشايجي – 1997 .
• «الموسوعة الدستورية» – عبدالله نجيب الملا – 2017 – 8102 (3 أجزاء) .
• موسوعة أعلام الكويت – ماضي الخميس – 1997 .

» دورات ومعارض ومؤتمرات

• دورة في صحيفة «Le monde» الفرنسية كمتدرب على أعمال الأرشفة والتوثيق (1973) .
• معهد «New Horizons» – شهادة برنامج Microsoft Office (1999).
• ورشة عمل «الفهرسة الآلية لأوعية المعلومات الإلكترونية على الإنترنت» – جمعية المكتبات المتخصصة – فرع الخليج العربية (2004) .
• دورات متخصصة في مجال الفهرسة والتوثيق وإدارة مراكز المعلومات والمشاركة بمعارض ومؤتمرات علمية في الكويت والخليج حول قضايا الصحافة والنشر الإلكتروني وتكنولوجيا المعلومات والإتصالات.

الندوات والمحاضرات والأبحاث

• ندوة كلية العلوم الاجتماعية – جامعة الكويت – «تكنولوجيا بنوك المعلومات الصحفية – 15 مايو 2010 .
• تجربة «القبس» في مكننة الأرشيف الصحفي – أثناء مؤتمر نظمته شركة I.D.S في بيروت – 2016 .
• ندوة «الصحافة الورقية .. الواقع والتحديات» – الجامعة الأهلية – البحرين – 2016 .
• محاضرة حول «مراكز المعلومات الصحفية « – كلية الإعلام والتوثيق – الجامعة اللبنانية

– 2005 • محاضرة «الأرشفة الإلكترونية» للعاملين بمركز التوثيق التابع لوزارة الإعلام – دولة الكويت – 2006 • محاضرة «كيف يقوم الصحفي والإعلامي بتغطية الأحداث والأزمات» – دورة تدريبية بجمعية الصحافيين الكويتية – 2012.

• بحث «مصداقية المعلومات بين محركات البحث على الإنترنت ومراكز المعلومات الصحفية - •

•• • مؤتمر الكويت الثالث لإدارة الوثائق والأرشفة – 2013 .

• بحث « أزمة سوق المناخ» وتحويله إلى سيناريو- أنتجته شركة «سنيار» – فيلم وثائقي – 2009 .

• بحث « الساحر أحمد الربعي – فارس الكلمة والرأي» – شركة إنتاج فني (الإمارات العربية المتحدة) – فيلم وثائقي – 2019 .

• بحث أكاديمي «الإعلام الثقافي في الخليج العربي» – مؤسسة الفكر العربي (بيروت) – نشر ضمن التقرير التاسع للتنمية الثقافية السنوي – 2016 .

• بحث أكاديمي «ناجي العلي – أيقونة الفن الكاريكاتوري» – مؤسسة الفكر العربي (بيروت) – نشر ضمن التقرير العربي الحادي عشر للتنمية الثقافية تحت عنوان «فلسطين في مرآة الثقافة والإبداع» وقدم في مؤتمر الفكر العربي السابع عشر – 2019 .

• ندوة عن واقع ومستقبل مراكز المعلومات الصحفية في الكويت – في الملتقى الثقافي – طالب الرفاعي – 2013 .

» مشاركات بأفلام وثائقية وبرامج تلفزيونية

• برنامج صباح الخير يا كويت – عرض للصحافة اليومية – مدة ستة أشهر .

• معد برنامج «ديوانية الأسبوع» – تلفزيون الكويت – تقديم د. شفيق الغبرا (2006 – 2007)

• مشارك في برنامج وثائقي عرضته محطة الجزيرة الوثائقية حول تاريخ الصحافة الكويتية (2016) .

• لقاءات مفتوحة عبر video conference مع السيدة فارعة السقاف مديرة عام مؤسسة «لوياك» - عن تاريخ العلاقات الكويتية - اللبنانية (2020) .

• معد صفحات خليجية – تلفزيون المستقبل – بيروت (2006 – 2007) .

• برنامج تلفزيوني – تاريخ المقاهي الثقافية في لبنان والأردن – قناة البوادي – الكويت (2016) .

• برنامج تلفزيوني حول شخصيات أدبية وشعراء في الكويت – قناة البوادي (2018) .

• برنامج تلفزيوني وثائقي بعنوان (الحقبة) من انتاج تلفزيون الراي - الكويت منذ النشأة الى العبور فبراير 2023.

• معد ومحاور في سلسلة ندوات أقامتها مؤسسة (لوياك) عامي 2022 و 2023 تحت عنوان إعادة إحياء ذاكرة مسرح وسينما الأندلس في الستينات

» التكريم

• الملتقى الإعلامي العربي مع 74 صحفيا من الإعلاميين العرب الذين أمضوا ثلاثين عاما في الكويت تحت رعاية وزير الإعلام ووزير الدولة لشؤون الشباب الشيخ / سلمان الحمود الصباح (2012/12/28).

• تكريم من الأنبا بيشوي بيغول راعي كنسية الأقباط المصرية في الكويت وراعي الكنيسة الوطنية الإنجيلية القس عمانويل غريب ورعاة الكنائس المسيحية على إصدار كتاب "المسيحيون في الكويت" 2014 – 2015.

• تكريم أقامته دار سعاد الصباح للنشر في رابطة الأدباء لعدد من المؤرخين والمهتمين بتاريخ الكويت تحت رعاية الشيخ مبارك العبدالله الصباح بتاريخ (5 فبراير 2014).

• تقدير خاص من الممثل المقيم لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP نظراً لإصداري كتاب يتناول تاريخ العلاقات بين البرنامج ودولة الكويت منذ الستينات.

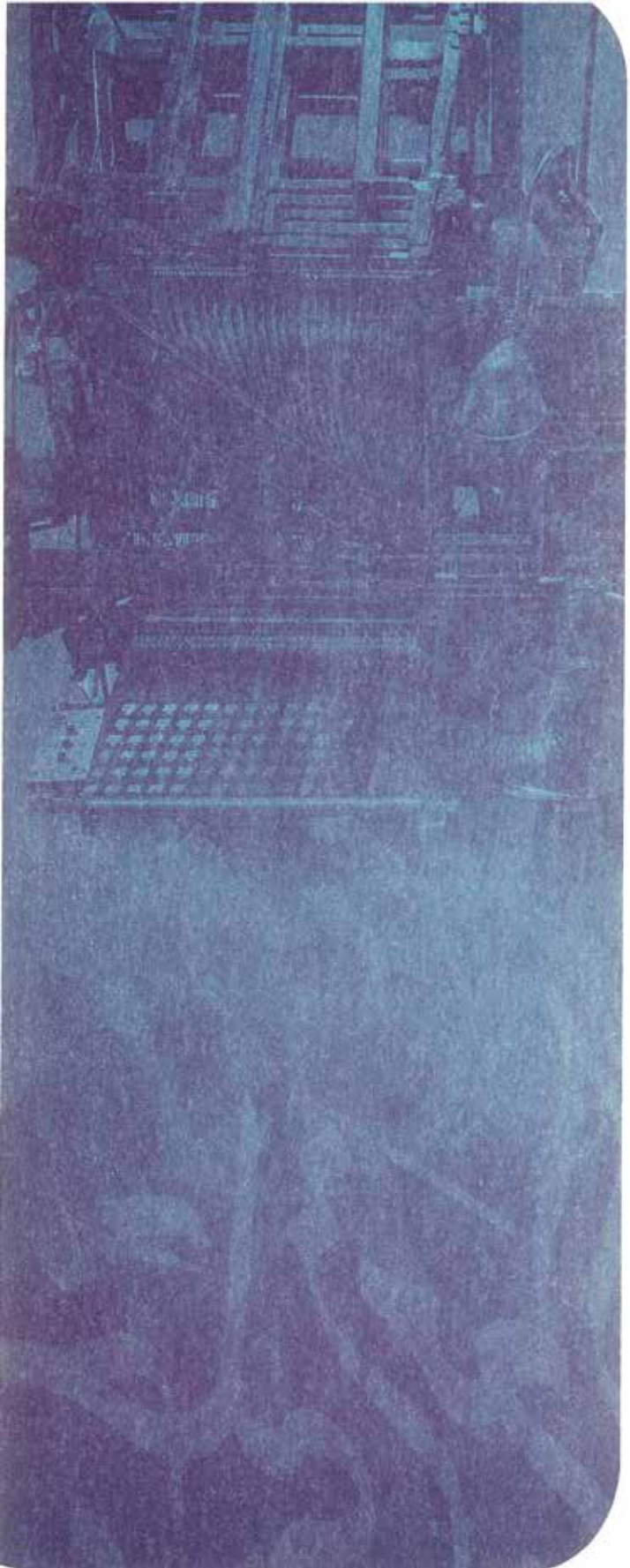

محتويات الكتاب

» المحتويات

	رقم الصفحة
الإهداء	٣
تقديم	٤
المقدمة	٥
الفصل الأول	
لماذا وكيف صدرت «القبس» ؟ بين الفكرة والتأسيس	٨
الانطلاقة الكبرى	١٣
التجديد الثالث عام ١٩٩٩	١٩
رواية أول مدير تحرير لقصة الصدور	٢٣
«مسيو» قبيسي جمع بين الإدارة والصحافة	٥٠
حديث المطابع والعصر الذهبي	٥٣
سيد حافظ موسوعة «القبس»	٥٧
أسماء ومواقع	٦٤
تجربتي في بناء مركز المعلومات والدراسات	٦٦
خمس سنوات في المطبخ الصحفي كسكرتير تحرير	٨١
فريق العمل	٨٢
الراحلون من رفاق المهنة والعمل	٨٤
الفصل الثاني	
حكايات من الوطن	١٠٩
يوم رأيت فيه البحر بصحبة سيارة أبوعزّات	١١٠
سليم اللوزي و«الحوادث» خيمتي الكبرى	١١٤
كِدْنَا نذهب للموت بسبب «الكوفيه» و«الكلاشينكوف»	١٢١
مشهد لاينسى بعد حرب ٥ حزيران ١٩٦٧	١٢٤
مزاج «الأستاذ» ... وكرسي الإعتراف	١٢٦
... سأعود إلى بيروت	١٣٠
«خَبِيبِيْ» إنت وين يروح»	١٣٢

» المحتويات

	رقم الصفحة
اليهودي «مزراحي» قادني إلى قصر العدل	١٣٤
الفصل الثالث	
رسمتُ خطاً في حقول الألغام	١٤٩
لا تقترب من الماسونية حياتك في خطر	١٥٠
الخرائط الجغرافية أيام حرب الثماني سنوات	١٥٢
سَنَدُكْ «أتاتورك» بصواريخ الحسين!	١٥٥
ممر الدبابات بإتجاه البصرة	١٦١
خلّي عينك على الملحق الإعلامي العراقي	١٦٣
أحداث صادمة، ليس كل شيء على ما يرام	١٦٥
الفصل الرابع	
ذَهَبَتْ عائلتي إلى بيروت وبقيت تحت الاحتلال	١٨٨
عشرة أيام تحت الاحتلال العراقي	١٩٢
قصتي مع عبدالكريم قاسم وبينهما الكويت	١٩٥
من الكويت «المحتلة» باتجاه لبنان .... ويا قلبي لا تحزن	٢٠٧
ستة أشهر في الشارقة الطريق إلى «الكويت الحرة» يمر عبر الإمارات	٢١١
ما الذي جرى ليلة الصدور؟	٢١٧
أمام حقل «برقان» وهو يقذف حممه	٢٢١
الفصل الخامس	
الى جانب «النهار» وأشياء مهنية	٢٣٦
مقالب تورط بها أهل الصحافة	٢٤١
مواقف محرجة حدثت لي في تركيا	٢٤٢
عنوان بالمقلوب جعل عبدالناصر عميلاً أميركياً	٢٤٤
ظاهرة جديدة كنت أجهلها	٢٤٦
بعد ٣٠ سنة عاد ليسألني؟	٢٤٨
مدّعون ... وليس في الأمر بدعة.	٢٥١

» المحتويات

	رقم الصفحة
صديقي ... وجدوا جثته «متعفنة»	٢٥٣
٦٠ عاماً من حياته عاشها بالوهم	٢٥٧
صحفي من طينة لا تقبل .. التكرار	٢٦٠
سعيد أبو مراد .. ملح الصحافة وأهل السياسة	٢٦٤
شوهدت وهي تهوي على الأرض	٢٦٦
يوم دخلت السجن ويوم وصلته زائراً	٢٦٩
السيرة الذاتية	٢٧٥
المحتويات	٢٨٢

وأنا في سبيلي لترتيب أوراقي والملفات التي تراكمت في مكتبتي الخاصة عبر سنوات العمل، ولم يكن عندي الوقت الكافي للنظر بأحوالهم.. في تلك الأجواء جاءتني فكرة الكتاب، لماذا تبقى حبيسة الأدراج؟

أشركت أبنائي بالمشروع ووجدت الترحيب والتشجيع، منهم من حثني على كتابة حكايات حصلت معي أثناء رحلتي مع الصحافة، لها قيمة ومعنى وفيها شيء من الإثارة والغرابة؟.. سألت أحدهم، لماذا التركيز على هاتين النقطتين أجابني.. لأن الناس تريد أن تتعرف على تلك الجوانب في حياتك المهنية.

ليست مذكرات ولا هي بسيرة، بل صفحات من الذاكرة وأوراق من العمر، كنت أحرص على تسجيلها والاحتفاظ بها، تناولت جوانب منها وما قد ينفع الناس وأهل المهنة والأصدقاء والأبناء وتركت ما عداه في طي النسيان.

منشورات
ذات السلاسل
الكويت

الناشر: ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع P.O.Box: 12041 Al-Shamiyah, 71651 Kuwait

Thatalsalasil
www.thatalsalasil.com.kw
www.online.thatalsalasil.com.kw
info@thatalsalasil.com.kw

+965 22466255
+965 22466266
+965 22438304